

3
512
51A

اهداء الكتاب

الى مليكتنا المفدى صاحب الجلالة احمد فؤاد الاول خلد
الله ملكه وادام سلطانه

فى عهدك اليمون استروحت مصر نسمات الحرية وذقت
حلاوة الاستقلال وفى ظل رعايتكم الظليل وفق رجال عاملون
الى خدمة قضية البلاد . وانما بمددك وعونك وفقوا وبحولك
وقوتك اعزتموا وصمموا وبهمتكم العالية خاضوا الغمار وساوروا
الاخطار . وبعزيمتك الماضية ابتدروا فى سبيل رفعة الاوطان
غاية المجد والفخار . فان كان لهم فى ذلك فضل فمن معين مواهبك
الغزيرة تتزفه دونه . ومنك واليك فى كل حال مبتدؤه
ومنتهاه .

فاليك يا مليك البلاد اتقدم باهداء هذا الكتاب المضمن
كلمات صدق واخلاص عن اولئك الرجال ابطال دولتك - حاملي
رايتك . ومنفذى ميسيتك ولا بسي مطارف فضلك ونعمتك .
وانى اصرح الى الله سبحانه وتعالى أن يصون دولتك
وبحوط سلطاناتك ويبقيك لرعاياك المخلصين ذخراً عتيداً . وظلاً
مديداً . وروضاً مريماً . وكهفاً منيعاً . وان يقر عينك وعميون

المصريين جميعاً بولى عهدك المفدى الامير فاروق كعبة آمالنا
ومطمح امانينا.

ليحى جلالة الملك فؤاد الاول وولى عهده الامير فاروق
ورجال دولته المخلصون .

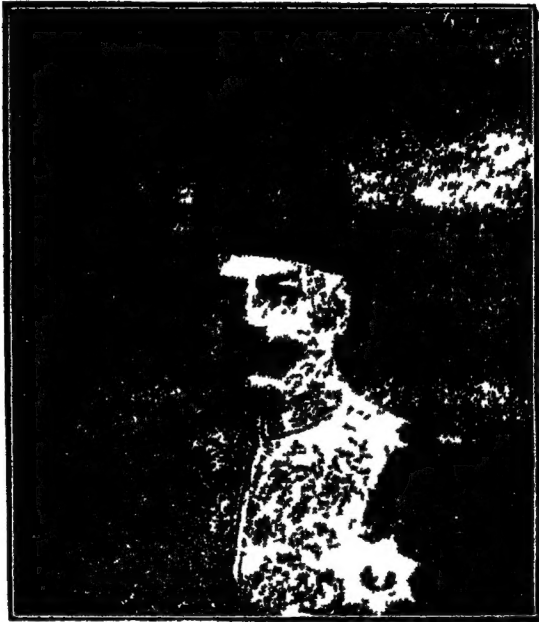
عبدكم الخاضع
محمد السباعي



حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول
واهب الحرية والاستقلال ومانح الدستور



حضرة صاحب الدولة عدلي يكن باشا
رئيس الوفد الرسمي



حضرة صاحب الدولة حسين رشدي باشا
رئيس لجنة الدستور



حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا
رئيس أول وزارة معصرية في عهد الاستقلال

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ان عصور النهضة في كل امة لا تزال مملوءة بمعظائم
بالحوادث مزدانة بعظماء الرجال والحقيقة ان كل حركة او نهضة
تعتري الشعوب الساكنة المطمئنة فتحدث فيها تطورا او انقلابا
انما هي في الحقيقة نوع من الزلزال فلا عجب اذا رأيت هيكل
الامة قد تفجر عما يستكن في جوفه من ملكات ومواهب
وفضائل ومناقب وتفتحت كنوزه فباحت بخفايا بدائنها
وابرزت خبايا ودائمها . وهناك يقذف النجم ياقوته وعقيانه .
ويلفظ اللج لؤلؤه ومرجانه . وهناك تظهر فحول الرجال . وعظماء
الابطال .

وانك الفحول والعظماء من جلة رجال الامة يبرزون على
مسرح النهضة فيلبس كل دوره الذي اعدته له الفطرة والطبيعة
وهيأته لتمثيله الظروف والاحوال .

لكل رواية دورها المصيب المسمى في الاصطلاح التمثيلي
ازمة الرواية او « قمتها » حيث يبلغ السيل الربى ويصعد الترمومتر

الى درجة الغليان . ويجلس القدر على منصة الحكم وينصب الميزان .
واذ ذاك تتشوف ابصار وتشرئب اعناق وتتحقق افئدة وتبهز
انفاس ويلوى القلق والاشفاق اوتار القلوب ويقوم الشعب بين
الخوف والرجاء على سراط الشك المرهف الذليق . الاملس
الزليق . الملق فوق هاوية التلف والخسار يؤمون لدى نهاية هذا
السراط وادى السعادة والنعم مسترشدين فى مأزق هذه الرحلة
الخطرة الضوفة بكوكب الأمل الدائم الخلقى واللعان .

تلك هي حالتنا بالدقة فى دورنا الحالى الخطير وان كنا قد
اجتزنا بعد من مناطق هذا السراط اشد هاخطرا واورعها مسلكا
ودخلنا فيما نستطيع ان نجمله بفضل الحكمة والحزم منطقة
سلامة وخطة نجاة .

وبديهى ان مثل هذا الدور المصيب من ادوار رواية الجهاد
الوطنى جدير ان يحرك بعظيم احداثه من نفوس الكتاب مالا
تحركه المصور الخاوية الفارغة وان يثير من خواطرهم بما يديه
من مآثر الرجال ومفاخر الابطال ما ليس تثيره الاوقات الساكنة
الموسنى باشخاصها الصغار العاديين — اجل ان عصر النهضة
خليق بفضل حوادثه وابطاله ان يهز جذران النفوس من ارسنخ
أساسها ويبرلجج الارواح من عمق اعماقها حتى تقم الاذهان

من مزدحم الافكار والعواطف بما يأتي الا التدفق على اسلات
اللسن والاقلام لعجز اربابه عن حبس طوفانه في أوعية صدورهم
ودفن نيرانه في حنايا صلوعهم .

وكذلك الكلمة الحارة هي كالدمعة الحارة ان تفتت أراحت
وفرجت . وان كتبت امضت وارمضت . ففى مدفونة فى
الجنان - اخبث داء . ومنطلقة من اللسان - انجم دواء . ووب
كلمة خزات فى الضمير فكانت منية صاحبها وآخرين . وكلمة
لفظت فكانت حياة صاحبها ومنجاة ملايين

فبديهي بعد ما تقدم ان اصبح كغيري ممن تصدوا للكتابة
عن عصور النهضة يأتي ضميري لإلافت ما يحول به وزدحم
من سوانح الفكر والخواطر عما يدولى من حوادث هذا العصر
وما أثر رجاله وابطاله .

وسأؤخى فى كتابتى ان شاء الله وصف الواقع لا اقل ولا
أكثر ونعت الحقيقة جهد طاقى محاولا ان اكون فى ذلك كالمرآة
للبنسطة تعكس صورة الأشياء كما هى دون ادنى تحوير او تبديل
وليس كالمرآة المحدبة او المقعرة التى تعكس شبح الشئ مفراغا
فى قلبها المشوه - وان اجمل من خيلى مجازا ومعبرا للحقائق
ليس الا - تدخل من أحد طرفيه وتخرج من الآخر ثابتة على

حالم لم يخاطبها مزاج ولم تشبها شائبة — متعاشيا ان اجعل مني
 مفكرتي وعاء طيب وغالية تمر به الحقائق فتخرج مضخة بذكي
 فشره وعاطر اريجيه . واسكني سأجعل من يراعى معزفا ترنل عليه
 للطبيعة الحان الحقائق خالصة حرة صريحة — لم يتعرض لها ملحن
 الاثانية فيطبعها بالحان الاغراض ويوقعها على نبرات الحب
 والبغضاء والسخط والرضى

والله اسأل ان يجيء هذا السفر غير خال من النفع والفائدة
 وأن يجعله وسيلة هداية وارشاد في ظل صاحب العرش الكريم
 المحفوف بالعتاة والتأييد جلالة ملك مصر والسودان فؤاد الأول
 ادام الله ملكه وسلطانه واغدق على رعاياه المخلصين بره واحسانه
 وارفعهم من جناته الفسيح في اخصب واد . والطيب منتجع
 ومستراد . واحله من ركنه الوطيد في اسمى ذروة وقمة . وامنع
 ملاذ وعصمة . ما هبت نسمة . ولاحت نجمة . والله سميع الدعاء
 محمد السباعي

الفصل الاول

م شروع كرز ن

والذكره الوبصامه

ليست حياة الأمة الناهضة الساعية الى استقلالها بالحياة
السهلة الهينة ولا مسيرها الى غايتها المجيدة بانزهة الجميلة بين
الحد ثق والبساتين في سنارونق الساعات الذهبية وعلى شجا
ترتيل النغمات الشبية . ولكنها حرب طاحنة ضروس وجهاد
شاق في أوعر المسالك وأضيق المآزق . ولا تزال مثل هذه الأمة
تنتقل في تاريخ نهضتها من طور الى طور وتحول عن دور الى
دور وكل أدوارها وأطوارها صعب شديد وان تفاوتت في درجة
الشدة والصعوبة تبعاً لتغير الظروف والأحوال — على انها
لا تلبث ان تصل يوماً ما الى ذلك الدور الذي يصح لنا بحق ان
نسميه عقدة العقد وعقبة العقبات والباب الموصل والغل المحكم
حيث يخيّل للمرء انه ليس ثمة من منفذ ولا خلص ولا مستروح
ولا متنفس . وأن متن الرجاء قد انبت . وظهر السعي قد انبت
وانحسر . وان ملائكة العون والمدد قد رقت أجنتها وضرت

وان القلم الاعلى قد سجل حكم الشقاء على الأمة في صحيفة الأبد.
مثل هذه الازمة المصيبة والساعة السوداء لم تكد تخلو
منها سير الأمم الناهضة أثناء حركاتها الثورية وقد أصيبت بها
الحركة المصرية الحالية في أول ديسمبر سنة ١٩٢١ وذلك حينما
رمتنا السياسة الانكليزية بمشروع كرزن ومذكرة اللورد النبي
الايضاحية التي شفع بها ذلك للمشروع

لقد كانت لتلك المذكرة الايضاحية اسوأ وقع في نفوس
الشعب عامة وآلم أثر في قلوبهم وأشد صدمة لآماله ومطامحه
وأدمى طعنة لعمزه وكبريائه. ذلك ان الشعب المصري بعدما أنه
دعوة للمفاوضة من جانب الحكومة الانكليزية في أجمل شكل
وأحسن صيغة مال الى حسن الظن بتلك الحكومة وقال في
نفسه لا يبعد ان هذه الدولة الجبارة قد اهتمت أخيراً الى ان
أقصد السبل وأتجمع الوسائل الى حل مشكلتنا وتسوية مسألتنا
هي سياسة الصراحة والوضوح والأخذ بمبدأ العدالة والحق بعد
ما تبين لها فشل سياسة الختل والخديعة، وبناء على ذلك فلوضت
مصر انكلترا على اسان وفدها الرسمي الذي كان يرأسه دولة
الرئيس الخطير عدلي يكن باشا. فكيف كانت نتيجة المفاوضات؟
كيف كانت نتيجة ما ادعاه الانكليز من سياسة الصداقة والوداد

والحماية والمصافاة والعمل على توطيد دعام السلام ونشر اعلامه ؛
كانت هذه النتيجة هي قطع المفاوضات من جانب وفدنا الرسمى
بما شرفه وشرف الأمة جمعاء . واعلان انكلترا تلك المذكرة
الايضاحية المعرحة بما لا يتفق مع ما ادعاه القوم من الميل الى
المسألة والمصافاة والنية على توطيد دعام السلام ونشر اعلامه -
من مظاهر الاستبداد الذى ليس دونه استبعاد وآيات الاستبداد
الذى ليس وراءه استبداد . كانت نتيجة ذلك هي تلك المذكرة
التي صورونا فيها بصورة شنيعة منكرة تبريراً لما أعدوه
لنا من اغلال الرق ونير العبودية حتى قالوا انهم يرون من واجبتهم
حماية عرش سلطاننا وحماية بعضنا من بعضنا كأننا الشعب المصرى
قد بلغ من همجته وانحطاطه انه صار عدو نفسه وهي امرى
نقيصة يرا منها الى الله أشد الأمم همجية وانحطاطاً . كانت
النتيجة انهم لم يكتفوا باعلان ذلك المشروع البغيض حتى كلفونا
ان نرضاه ونقره - بعد ما علموا وعلم العالم اجمع رغباتنا ومطالبنا
واطلعوا على برنامج وفدنا . كانت النتيجة - وذلك أشنع فصولها
وأكثر أركانها - انهم اذرونا وهددونا بتنفيذ مشروعهم على
الكره منا وعلى الرغم من انوفنا بالانقصر والقوة .
من أجل ذلك كله نقول ان يوم ٣ ديسمبر الذى أعلنت فيه

والهاب العزائم حتى تندفع في سبيل جهادها الشريف باضعاف ما بها من قوة وحدة . فلتتنبط الامة باحزانها في سبيل قضيتها او ليس ذلك الحزن مقياسا لمبلغ ما عندها من شعور واحساس ومن مقدرة وكفاءة بل من غلبة وظفر وانتصار ؟ الا ان حزن الامة المجاهدة ماهو الا صورة معكوسة لمقدار ما لها من عزة وشرف ونبل فلتتنبط الامة المصرية الكريمة باحزانها ولتبتهج باشجائها ولتجعلها مصدر همة وعزم ومضاء .

ولتوقن ان هذا الاستعباد الانكليزى انما هو ابطولة واكذوبة وكل اكذوبة فالى الزوال مصيرها مهما امتدت بها العصور وتراخت بها الارمان . بذلك قضت نواميس الطبيعة وحكمة هذا النظام للقدس فانه لادوام للباطل . بل ان الحق ذاته لا يدوم على صورة واحدة ولا بد له ان يغير صورته ويبدل شكله وصيغته من آن الى آن حيث يخلق خلقا ثانيا ويولد من جديد اما الاكاذيب - وعلى الاخص اكذوبة استعباد الامم والافراد التى خلقها الله حرة طليقة - فلقد - جل عليها حكم الاعدام منذ الازل فى صيغة الاقدار - ففى تسير بغيثنا اوسريما الى ساعتها المحدودة - الى حينها المحتوم . وحتفها المحموم . والسر فى ذلك ان هذه الحياة لا يمكن ان تقوم على اساس الباطل - وهذا الانسان

(لئى هو صورة الله فى الارض - معها شابت قداسة روحه
شوائب الخبائث والذنابات) لا يمكن ان يقوم على اساس من
الكذب والضلال . ولكن السياسة - تنفيذ لما ربه الاثانية
واغراضها الاستعمارية تجهل ذلك او تتجاهله . وليس يتافها هذا
الجهل او التجاهل ازاء ناموس الطبيعة العادلة وسنة الله الحكيمة .
واستبدادها العقيم مقضى عليه بالفشل محكوم عليه بالفناء مهما
طال اجله وتراخت مدته

لقد ينجى الى زمرة الساسة والاستعماريين ان استمرار
سياسة الظلم والجور فى ارض الله بلا قمع ولا مبيد وتماضى دولة
الاستبداد والاستعباد دون ان يصدر وينفذ عليها ما تستحقه
من حكم العدالة الالهية دليل على خلو هذا العالم الارضى من
قانون العدل والانصاف . ولكنهم فى ذلك غفطون غافلون
فان حكم العدالة الالهية فى هذه الحياة الدنيا قد يؤجل اليوم
واليومين بل القرن والقرنين ولكنه حقيقة مؤكدة لارب فيها
ولا مناص منها - حقيقة محتومة كالحياة نفسها وكالموت فاته .
ولا جرم فانك ان انعمت النظر فى زوابع الحياة الدنيا - تلك الزوابع
المضطربة العاصفة الموحشة البادية لعينك كأنها كلها هرج ومرج
وتشويش واختلاط - وجدت انه فى اعماق اعماقها يستقر وينطق

أله منصف عادل - والفيت ان روح هذه الدنيا انما هي الحق
والمدالة ، فهذه الحقيقة الهائلة التي ما برحت منذ كان الانسان -
تبدو امينه ناصعة باهرة سواء كان مسلما او كاتيا لو بوذا او
وثنيا - وسواء سكن قصور باريز او غابات امريكا او زوهرير
للقطب او سمير الاستواء - هذه الحقيقة الهائلة اذا جهلها الساسة
فقد جهلوا كل شيء وقد باعد الله بينهم وبين النجاح كما باعد بين
الارض والسماء . وأنى لهم بالنجاح وقد ظلوا يتناوثن ويمادون
ناموس الطبيعة وروح الوجود ويكافون الكون اجمع في معركة
لن يخرجوا منها الا متقلين بافدح اعباء الهزيمة والخسران
الا ان في كل شيء خيراً . وقد كان للامة المصرية في تلك
الذاكرة الايضاحية خير وان بدا متلفعا برداء وهاج من طيب
الآلم وضرام الحزن للتسمر . لقد كانت الامة أصيبت من قبل
ذلك بشر ما يصيب لأم الناهضة المجاهدة من الملل والأدواء -
أعنى بداء الانقسام والتحزب وكان ذلك الداء الخبيث قد قشا في
جسدها ونقض من أسباب ائتلافها وتمسكها وقسم من عرى
اتحادها وتضافرها وهدد كيائها بالهدم والانحلال وكاد يحسها في
صميم نفسها ويذهب بما قد ملأ قلبها من روح الوطنية لعالية
والتضحية السريفة : هو الا ان اطمتها السياسة الانكليزية تلك

اللطمة للقامية . ولطمتها تلك الطعنة الدامية حتى أفاقت من
سكرتها . وهبت من رقدتها . ونفضت عن اعطافها غبار الفتور
الذى كان جلها به ربح الشقاق والتزاع كما ينفض الأسد المصور
غبار الكسل عن لبدته ثم تحركت ونشطت كأنما قد افهم قلوب
ملايينها العديدة روح واحدة لا تقبل الانقسام والتجزئة .
واعلنت بلسان واحد وبصوت واحد يملأ الفضاء الرحب ويهز
هيكل الأرض من اعلى جذورها ودعائمها ويصدع اديم السماء
« انها حية يقظة متحفزة ناهضة »

أجابت مصر على الذاكرة الايضاحية بذلك الجواب المفهم
الحاسم — اعنى بما كانت أعلنته قبل ذلك على لسان جماعة
الكونتنتال حين شعرت بأضراره لها الانكليز من الشر وسوء
النية — أجابت بذلك القرار الذى كان الموحى به في الحقيقة هو
روح مصر المنبثة في فضاءها . الطائفة في جوها للرغوة على
مضاجع أهلها وعلى سواهم وانديتهم الحائمة على مهود أطفالها
واكنان عمائرها وشيوخها — على الاجنة في بطون امهاتها وعلى
الأموات في بطون اجدادها — الحدية العظوف على أمانيتها وآمالها
الحذرة الفلقة للشفقة على ماضيها ومستقبلها .

بهذا الجواب المفهم الحاسم أجابت مصر انكتر بلسان

واحد وصوت واحد - علت من نبراته صيحة الانسانية المتألمة .
وتأججت في هزاته جرة الوطنية المتقدمة . وما أعظم صوت
الأمم والشعوب وما أقواه وما أقهر سلطانه وما أشد وقعه ؛ .
ألم تر الى صرخة الشعب الواحد الغضبان كيف تعم أذن الظالم
وتقرع حبة قواده بل كيف تكاد تشل خالجات روحه . وتكاد
تحرق زهرة الحياة في منارس نفسه ووجدانه

قال توماس كارليل في كتابه « الثورة الفرنسية » « ما أجل
صوت الجماعات وما أخطره ؛ صوت غرائزم التي هي اصمدق
من خواطرهم وافكارهم . اما ان هذا الصوت لأجل وأخطر
ما يصادفه الانسان بين تلك الاصوات والاشباح التي يتكون
منها هذا العالم الزمنى . فكل من يجرأ على مناقضة هذا الصوت
ومقاومته فقد خرج بنفسه عن دائرة الزمان وعن حدود
نواميسه وشرائعه »

اعلنت الامة المقاطعة واعلنت وجوب الاضراب عن
تأليف الوزارة تأييداً لمبدأ عدم الاشتراك مع الانكليز في حكم
للبلاذ ودارة شؤونها . اذ كان في ذلك الاشتراك دليل على
الرضا بيسومنا الانكليز من خطة الذل والخسف والهوان .
أعانت ذلك الامة المصرية وتمسكت به أشد تمسك ولم تسمح

لنفسها فيه بهوادة ولا لين ولا تساهل وحصنت نفسها بامنع
دروع الاصرار والتصميم والاباء والمائدة وتمسكت انكلترا من
الجهة الاخرى بخطتها اشد تمسكوا ظهرت ان مشروعها الاخير
هو القضاء الفصل والحكم النهائي الذي لا يقبل تغييرا ولا تبديلا
ولا تقضا ولا ابراما . وكذلك انفرجت مسافة الخلاف بين
الطرفين واستحكمت حلقاته وبلغت المشادة والمائدة اقصاها
واظلم ما بين الامتين وجف بينهما الثرى وعظم الخطاب واستفحل
الداء .

وهنا دخلت الامة المصرية في اصعب ادوار حركتها الجهادية
واشد ازماتها وافطع ساعاتها - ذلك الدور الذي سميناه في بدء
كلامنا عقدة المقد وعقبة العقبات والباب الموصل والفنل المحكم
حيث خيل للمرء انه ليس ثمة من منفذ ولا مخلص وان متن
الرجاء قد انبتر وظهر السعى قد انحسر . وان ملائكة العون
والمدد قد رقت اجنحتها وضارت وقد سجل على الامة الكريمة
حكم الشقاء في صحيفة الابد .

هنا جاء على الامة المصرية شنع ادوار حركتها الجهادية
واسود الافق وحجبت نور السماء سحاب النحس فاذا نصنع؟

وكيف نواجه هذا الكلث ؟ وكيف نعد العدد ونجهز آلات
الدفاع ونشعد سلاح الهجوم . وأي عدد لدينا وأي آلات وأي
أسلحة ؟ دروع الصبر والجلد وسلاح السكينة وعدة الأمل
والرجاء . ونم الدروع والآلات والأسلحة (لا أقول ذلك هازئاً
ولا ساخراً معاذ الله وقد أوضحت آفاقاً استبداد الظلم
الكذوبة وأنه كسائر الأكاذيب مقضي عليه بالفشل محكوم عليه
بالاعدام في النهاية وإن صوت الأمة للظلمة أقوى صوت في
العالم وإن مآكل الحق إن يتغلب على الباطل وإن الأمل ميراث
الإنسان وذخيرته وإن الدنيا اسمها دار الأمل) . أجل لا أقول
ذلك هازئاً ولا ساخراً ولكني أقول إن هذه الأسلحة السلبية
إن أحرزت النصر والظفر لم يجيء ذلك إلا بطيئاً . وليس النصر
البطيء بأحسن أنواع النصر . وليس الفرح بالمتاع الآجل البعيد
الذي قد لا تمني نفسك بأن تراه لا أنت ولا أعقابك ولا أعقاب
أعقابك كالفرح بالمتاع الذي يزف إليك عاجلاً تلبس جميل زينته .
وترشف عذب ريقته .

أقول لا مشاحة في أن ذلك الدور كان أشنع أدهار قضيتنا
وتلك الساعة كانت أسود ساعات حركتنا . وحق لنا إذ ذاك أن
نحار ونهت وإن نأسي ونحزن . وحق لنا أن ندور بأعيننا بين

لأبناء أمتنا المجيدة فنفتش في نخبة رجالها وصفوة أبطالها عن رجل نرمي به هذا الحادث الجسيم . وننتقب عن بطل نصدم به هذا الكثر العظيم

ان الطبيعة التي تخلق أدواء المجتمع الانساني وعلاه تخلق أيضاً أدوية هذه العلل والادواء . والطبيعة التي توجد آفات الحياة الانسانية توجد أيضاً وسائل ابادة هذه الآفات . وذلك لأن الطبيعة أسسها العدل وروحها النظام وغايتها الصلاح والنمو الحسن والرفي . فان هي خلقت الادواء والعلل والآفات فلم تقصد بذلك الى الفساد والخراب ولا الى الفشل والفوضى (وان ظهرت تلك العلل والآفات في دورها الاول بمظهر الفساد والفوضى) ولكنها تقصد الى الصلاح والنظام والرفي في النهاية وانما هذه العلل والآفات - مع ضررها المؤقت وشرها الزائل - عمليات ضرورية لا بد للمجتمع من اجتيازها في طريق نموه ورفيه - هلا نظرت الى أوراق الشجر وأجزاء النباتات حين تعصف بها الرياح المروج فتسقط وتذبل ثم تعفن وتبلى وتحل فبخيل عليك انها فسدت وماتت ولا موت ولا فساد في الطبيعة ولكن هذا الذي يخيل اليك بلى وفساداً انما هو عملية انتقال من حال إلى أحسن منها فلا تلبث هذه المواد النباتية ان تستعيد حياتها

وتجدد بهجتها وقد تستحيل بعد عدة من هذه العمليات الألية المحزنة في ظاهرها الى صنف أجود وأحسن - سنة التعسن والتقدم وقانون النشوء والارتقاء الذى هو روح الطبيعة وعملها وغايتها .

فول ان الطبيعة التى تخلق أدواء المجتمع تخلق أيضاً أدوية هذه الأدواء . والطبيعة التى توجد آفات الانسانية توجد أيضاً مهلكات هذه الآفات . واذا اشتد الجذب صاب الفيت واذا أربد الغيم بدده شعاع الشمس . واذا تكاثرت المصائب على أشخاص من سة الابرياء فوق المسرح وتكاثفت الارزاء وأخذ الموت بانسكظم وبغت الروح التراقى - ظهر على المسرح من حيث لا يرجي ولا ينتظر بطل الرواية ففير مجرى الحوادث وحوو منهج الكوارث فجلى دجى الخطب وأشرق على لابرء بنور الصفو واخير والسودة .

وكذئف ادلهمت مأساة السياسة على مسرح الحياة المصرية وانتهت هذه المأساة بفضل للذكرة الايفاحية الى زمة الازمات وعقدة العقدة كما أسافت وعظم الكرب واستفحل ... - ظهر على مسرح لا يادة الشقاء واسداء خيرو واصد . بل الروبة المصرية الحالية - عبد الخالق ثروت يش

ان العناية الأزلية لما بصرت بتناهي البلاء في ههنا البلد
الأمين وبلوغ الشقاء والكرب أنصاء نثرت كنانتها بين يديها
ثم فقتشت عيدياتها فوجدت ثروت أمرها عوداً وأصلها معجماً
فرمت به الحادث الجلل والمحنة النكراء .

أى رُوت ! أيها الرجل القوي التين ! ماذا امامك من العقْد
والمشاكل والازمات والمعضلات ! أمة مظلومة مهضومة واجدة
على الظلمة غضبي على جوراة بتأجج صدرها بركانا ويتفقد في
أخاظها لهيب ما أضوت عليه الجوانح من نار الحنق المكتومة
وتقذف السماء بصيحات احتجاجها على الجبارة وبصرخات تهمتها .
أمة نخمر في أفئدتها عوامل الهياج . وتفرخ في نفوسها جرثومة
تفتنة ويحب عيب غيظ . ويخر تيار غضبها وتجيئش أعماق
روحها بدوافع الثورة - امامك خضم زاخر يتذر مسامعت من
اعماقه نشيش غليان العنفيان . وازير فوران الطوفان . - امامك
في افق البلاد المظلم لمربد آيات العاصفة وامارات الزوامة يتندب
مسامعك من لذه دوى قصتها مخوفاً رهوباً . واهت من
'لجهة الأخرى الدوة القوية الخيمية على ارجاء المصور المسكة
بأطراف الماء المائنة الأرض بمدافعها والبحر بأساطيلها والجو
بمناضيدها - جبارة متكبرة طاغية مصرعة على تنفيذ ارادتها منه

أوامر العاطفة والانسانية ونواميس الحق والعدالة وعلى الرغـ
من الأفضية والأقدار . مصممة أبادة مطرقة كالافعوان والحية
الرقشاء لا تؤثر فيها الري والتعاويد - قاسية جامدة مما كالقدر
أو كمنوت !

وفوق هذا وذلك امامك من أمتك الفئة ذت الاهواء
ولاغراض الذين لا يريدونك ولا يحبون ان يكون على يدك
انفراج الازمة وحل لمعضلة وزوال النعمة وحل النعمة -
الباذنون أقصى الجهد في العمل على تنحياتك عن مواطن المجد
وموقف الفخار .

في روت : أيها الرجل الجلد المكين : ما أخرج مركزك
وأصعب موقفك : فيحكك ماذا أنت صانع وسط هذه الموامل
المتزعزعة والقوى المتدافعة والعناصر المتكافئة المتضاربة : وأنت
دمع ينه منرداً . حيد كالجبل لباذخ تعصف زوابع الهوجا -
حول هدمته الشفاء فلا تحرك من سكينتها ولا تستخف من
رزائها وتثور الزلازل حول أسسه فلا ترزعزع من ثباته - وقد
سمت ثمة أعياء فوق سحب الاهواء ولاغراض وضباب
احز زات الشخصية ولاحن الانانية وواجهت شمس الحقيقة
السلمة والتزاهة الخاصة .

تقدم ثروت باشا الى أمته فصرح لها انه لن يقبل الوزارة حتى تجاب له شروط فيها رضى الأمة ووفاء بأقصى ما يصح ان تعامح اليه فى هذا الدور من قضيتها : تلك الشروط هى إلغاء الخلية وإعلان الاستقلال التام وتأسيس برلمان تكون حكومة البلاد مسؤولة امامه وحصر مشاكل الخلاف بين الأمتين فى أربع نقاط يتولى تسويتها البرلمان المصرى بعد انشائه مع الحكومة البريطانية . وزاء هذه الحقوق المستردة لا تعطى مصر انكترا اذنى شيء ولا تنقيد لها بشرط ما

تقدم ثروت باشا الى الحكومة الانكليزية بهذه الشروط المغلية وشد دكل التشدد فى طلبها وأكد لها انه لن يتنازل البتة عن شيء منها وأنه ان يتولى الوزارة الا بعد احبة شروطه هذه بمحض فيرها

كيف تقبل هذه الشروط الجسيمة وتجب هذه اصاب العظيمة وترضى لهذا الحكم المائل انكترا سيدة "بحار وأفوى دول العدا" وأين ذهبت جيوشها وأساطيلها وسفنها الباسط جناحيه على المشرق والمغرب ؟ بل اين ذهب كبريؤهم وجبروتها وشرها الاستعماري ؟

تصعبت انكترا فى أول الامر كما هو المنتظر وتمت . وفى

ذلك للمشقة العظمى والصعوبة الكبرى :

وأما مصر فلم تكذب تصديقاً نياً هذه الشروط والمطالب وحسبته حلاً من الاحلام اعتقاداً منها أنه يكاد ان يكون من المستحيلات قبول انكثرا مثل هذه الشرط الجسيمة . (لقد كان الوفد المصرى من قبل ذلك لا يطمع فى اكثر من ان تعطيه الحكومة الانكليزية قبل دخوله معها فى المفاوضات مجرد وعد بالناذ الحماية اثناء التفاوض اولا تناس اولى الاغراض والاهواء والاحن والحز زت ندين مع فرض استمضامه هذه الشروط واعتبارها كالا حريم أخذو يرجفون بأن الامر ليس بالجد وانما الاعيب سياسية يقصدون بذلك فى ترويح سوء الظن بدولة الوزير الجليل ويتنون فى لامة من روح انتشاؤم ما يبطا لهم ويفل العزائم . بين هذه 'العمل' متنزعة والقوى المتدافعة والعناصر المتكافئة متضاربة . - ي 'رحم' كمؤ صريع يكذب ويعمل مضى فى تؤدة منصتات فى .ة ص رم فى رفق جريشا فى حزم - والامة المصرية و لامة الانكليزية و'ودوب' والعالم أجمع ينظر اليه نظرة إعجاب وكبر ويشرب لاسنطلاح نتيجة عمله العظيم واستكشف غية شوصه خطير وشو'ه الرائع - كأنهم يرمقون عشارد أو نستوى نساء سيرته لشرقة الرهرة . ودورته

للتألق الباهرة .

وقف العالم ينظر الى ثروت باث ثناء تلك الفترة الخرجة
العصيبة - تلك الفترة التي باتت تتمغض السياسة اثناءها عن
ميلاد مستقبل امة - لا يعلم ايجيء موفوراً فحجاً تاماً ، مبتوراً
منقوصاً مشوهاً ام ما هو شر من هذا - يولد ميباً .

وقف العالم ينظر الى هذا الخاض اسيسى الهائل برقب
تيجته بقلوب خائفة حتى كاد يخيّل الى مرء ن اريج ولاء صير
ذاتها قد حبست انقاسها والافلاك شأوها وأن رمن نفسه وقف
مبهوتاً يتأمل .

أرك أيها اوزير خطير في بحر السياسة البعيد النور
انصوف اموج العصف لعا صير والاول ، سر سفينة بوطنية
قطنكب بها مكامن العصور وامهاك وتمتحنى بها مساب لامن
والسلامة تدير دفتها بيد مباركة ميمونة رائدها انوفيق والنجاح
تكن في ساربرها اسرار احدثق والمهارة تؤم بالسفينة انفسية
سه حل الفوز والنجة

وأراك في يده سياسة المحوفة تقود الشعب الكريم
خارجا به من ير عبودية الجبرة مجتذراً به تيه الاضاليل السيسية
تؤم بالتعاقلة افق الاستقلال وفضاء الحرية لرحيب .

أبواق المجلات وطبول الجرائد ؛ إلا أن أمة تخلو من أمثال هؤلاء
أو يقل منهم ، نصيبها الخليقة أن تختل حالها ويسوء ما لها . ويكون
متابها كمثل غابة خلت من الجذور والاصول واستحالت كلها ورقاً
وفروعاً - فهي لا تلبث أن تدبل وتموت . لنا الوباء والتكحل إن كان
كل عبادنا وذخيرتنا هو ما لدينا من الكلام والطائفة والاشياء
التي نعرضها على الملأ ونرفعها لآعين المتفرجين والنظار . ألا قدس
الله عام الصمت ؛ انه لا سمي مقاماً من الكواكب وأعماق غوراً
من ماء الموت ، وانه وحده هو الذليل والعظيم والجليل - وكل
ما عداه حقير صايل ذنه ؛ فلتلزم أمتنا فضيلة الصمت ولتعتصم بها -
واتدع غيرهم من الأمم المواماة بالجلبة والضوضاء وحجب التظاهر
تصيح في كل موقف وتملأ الدنيا صياحاً بكل صغيرة وكبيرة من
شؤونها وتحمل بلادها سرحاً نرفص عليه وتلمب على مرأى وسمع
من المتفرجين والنظرة - فأنه - هذه الأمم ، تضاهرة العجاجة
متصيح حاجلاً وجلالاً غابات لا جـور ولا اصول - ما لها
لذبول والموت . ألا ما أقدم الصمت - ، ستمد من ملكوت
السماء ؛ فترى بروحة مضية في آفة تحده . أبت أب
عام تنمو في آثم صمت ، سكينته تترى سمع صورها - لا تسمع
ذلك إلا حين يحين خفت في رية ذم عام ، انه يقطعها

حينئذ تسمعك الدوحة صوتها . حينئذ تعلن الدوحة عن نفسها
بتلك الصرخة الشديدة - صرخة الفناء والموت - صوت انصداعها
وانقصامها . فهل أسمعك الدوحة صوتها ساعة البذر والغرس
للبارك حان ثروت بدرتها من حذور بعض الرياح الميموة . هل
أسمعك صوتها ساعة اكناست حلال الورق النضر ووشى الزهر
للقوف (وما كان أمتعها ساعة واملأها بالافراح والمسار) .
كلام تسمعك الدوحة صوتها في تلك الاوقات الهنيئة وهـ تبس
بحرف واحد اعلا ، لهذه الحوادث المفردة . ثم أسمعك صوتها
ساعة المصاب والفجيرة - ساعة الموت والفناء .

وهكذا رأينا روت وسط الزوامة السياسية يكبد ويعمل
في أتم سكونية وصمت لاثرثرة ولا فحار ولا دعوى ولا اذاعة
للوقت الثمين في انجادات العقيمة المجردة وخوض التنزيت
الخيالية المستحيلة ولا في التسقشفة الهدرة والخذعة الخائفة
والكنه وقف مجودا له المطسة على كبد مذنب وحمر حمراء
الجسيمة في امل متوصل وبارك الله في لاعاب به أحـ وأعظم
من لأفوس . لا تـ لا تـ لا تـ لا تـ لا تـ لا تـ لا تـ لا تـ لا تـ
بمادتها لغزيرة رخرقة رخرقة رخرقة رخرقة رخرقة رخرقة رخرقة رخرقة
برغ صديتها حقيقة منيرة رخرقة رخرقة رخرقة رخرقة رخرقة رخرقة رخرقة

والفوائد . والاعمال تزكو وتنمو كالشجر المبارك الثمار وهي تمر
فراغ الوقت وتعلأ فضاء الزمان وتكسوه خضرة ونضرة
تروت باشالاييل بطبعه الى الجدل والثروة ولا الى المباحاة
والفاحرة ولا الى الاعلان عن كفاءته ومواهبه . فاذا كان دور
الكلام والاسترسال في ميادين النظريات المستحيله والشروط
الخيالية والمباحاة بأساليب المنطق الاجوف الفارغ المؤدى الى غير
نتيجة وبفوق سهامه الطائشة التي قصارها أن تزل من فوق
سطوح الحقائق المتينة القاسية دون أن تصيب أكبادها . وتزاق
من فوق أديم الحقائق الخسنة الجافية دون أن تنفذ الى صميمها .
فتسقط في السهام متعززة خائبة عن أجساد الحقائق وتبقى
الحقائق مد ذلك على حالها لم تدال ولا تمتك ولم يقبض على
أزمها . تواجهت . كما كانت من قبل . مرة أليلة قاسية . قد
نفدت جعب والكنائن دون أن تؤثر فيها مثقال ذرة وكأنما
لم نصنع شيئاً . وكأننا انتهين من حيث ابتدأنا . أقول اذ كان هذا
الدور . دور الكلام والخيالات والمستحيلات . رأيت روت باشا
قد اعترى اليبدان لأعن ملان ويأس ولكن تحيناً للفرصة وتحفزاً
لوثبة تم رخص في مكمنه وخدر في غيله سمير افكاره وأنيس

ولكن اذا جاء دور العمل ووجهتنا الحقيقة المرة الاليمية وتبادر
الرجال لتذليل هذه الحقيقة وفك معضلتها والاخذ بناصيتها
والقبض على زمامها واستثمارها لمنفعة البلاد وصالح الاوطان -
ورأيت رجس النظريات المستحيلة والمنطق الاجوف يرسلون
سهامه الضالشة على هيكل تلك الحقيقة فتزل من فوق سطحها
وتزاق عن اديمها الاملس الذي كأنه جلدة الافي وكذلك نستمر
افى الحقيقة سائرة في طريقها سايمة مصححة كاهداً ما كانت
وانتم بالا - اذا كان هذا هو قصارى زمرة الخياليين التندقيين
ذوى المنطق الاجوف - تم جاء دور ثروت باشارأيت ذلك الرجل
العملى قد هاجم افى الحقيقة وساورها وقبض على ناصيتها واخذ
يكظمها وطفق يعالجها اشد علاج ويصرعها عنف صراع ليرى
أهواؤه هي شد بأساً وصعب مرأساً - يجالدها ويكافح بقوة
جنانه أعنى بقوة جلده ومنابرته فى أمل ورجاء بل فى استايش
وسمانة وصبر لا ينفذ وايتن عميق وذكاء منوقد

كل هذه القوى العفوية والخلقوية تبرز من مكمنها حينما
يصارع ثروت باشاً وغيره من عظماء رجال العمل الأعوان
الحقيقة - وفى هذه المعركة وحده - وعند هذا الصرع فقط -
يمكنك أن نفيس مقدرة همة نرجس ووزن مبلغ كفته وقدرته .

العمل وحده عنوان الفضل وآية القدرة ومسبار غور الرجل
ومقياس عمقه . وعلى صحائف الاعمال يوح في سطور من النور
بأن ما يكمن في صدور الرجل من كنوز الفضل والحكمة
والادب والنهي ومن ذخائر الصبر والجهد والجد والمثابرة والحزم
والعزم والاخلاص والامانة وصحة النظر ونفذ البصيرة والحذق
والرأفة - اجل كل ما ينطوى عليه لرجل من قوة يلوح متلألئا
في أحرف من النار والنور على صحيفة عمه . أو ليس العمل الجدى
المخلص هو ان يوجه نرجل الطيبة رعاياها الابدية فيعالجها
ويمارسها يسيرها في سبيل مقصده وعرضه . وعلى قدر فهمه
لاسررها ومضامنه فوينه يكون مبلغ فوزه ونجاحه . وهي
الطبيعة تصدر على نرجل وعلى كنهه حكمه حسب ما تراه من
أسلوه في معجته ومسيرته - د فخور في حكمها على الرجل
هذا مبلغ ما وجدت فيه من فضل وكفاءة - هذا القدر لا اكثر
ولا قل - هذا مبلغ ما فيه من قدرة على فهم سرارى والاثتلاف
معي وشورى وتسير على مذهبي ومروءة شرعي ونواميسى -
ونى حسب هذا كذا كذا وخيانه وسعدته أو شقوته كما
ترى وتشهد .

سعر فى أشد مات جهدها وصيق مرقه (عقب اعلان

للذكر (الايضاحية) أصبحت بأمر حاجة إلى رجل العمل الدائب
 والكد الشديد والمجهودات الهائلة لقد جربت من قبل ذلك
 العجب والعضوضاء والصراخ وجرت الشفاشق الهدارة
 والجلاجل الدناءة وجربت طواحين الهواء والالاعاب النارية التي
 تملأ الجوف طينينا ودوبا وألهيب وهاجه وشدلا برافة تساور
 السماء وتلامس الجوزاء ثم تسقط راداً وتبدد هباء - جربت
 هذا وذلك فلم ينف في غير ولا نصير . وإن كان 'ودم' تب
 الحقيقة الخطيرة وهي أن الكلام في موضع العمل عبث بطل .
 و - نزاع والشقاق في مقام التضامن ولا أحد ضال من مبدئ وأن
 الصياح وحده هو - يهب في فؤاد - وإن الصبح في بحر الخيال -
 تزي - حبيب - حبيب -
 ينقشع من تحت قدمي وهباء - فر من بانث - وليس يؤدي -
 ساحا الخفة المذبة الصلبة التي توحده في - كمت وتقع في حوز -
 - حبيب - حبيب - حبيب -
 فذ - خذ - خذ -
 وهذف - وهذف - وهذف -
 رت - رت - رت -

الحياة المضل للمعد الذي أبى أن ينحل على الرغم مما صبت على أم رأسه من بارودها المتنافى وقنابلها « الأسقاطية الأحيائية » تحننت عليها الطبيعة ورق لها فؤادها الكبير وتقدمت لعونها وامدادها . وقالت لها استريحى هنيهة . واختارت لحل اللغز وفك المعضلة رجل العمل والدأب والحزم والعزم والحجى والدهاء . عبد الخالق ثروت .

وكذلك الطبيعة السمحة للسخية ما كانت لتضن على الشعب المجاهد بالرجل العظيم عند الحاجة اليه . ولا يزال كلما ارتطمت الامة المجاهدة فى المأزق الضنك والزلحولة الزل اسرعت الطبيعة الى اسعافها فاساقت اليها رجل الساعة وبطل الميدان فلا يلبث ان يقبل عثرتها وبأخذ ييدها ويهديها سواء السبيل . ذلك دأب الطبيعة وديدنا الذى لن تعدل عنه الا اذا كانت قد أرادت بهذا العالم الارضى خراب السريع والدمار للعاجل .

ولما اختارت لحل اللغز وفك المعضل رجل الجد والعمل ثروت باشا ودفعت به فى جوف الزوبعة كما أوضحنا آنفاً وفى وسط العوامل المتنزعة والقوى المتدافعة والعناصر المتكافئة المتلازمة ارتح لذلك العقلاء واستبشروا وقالوا : اما والله ما كانت قط زوبعة فوضى فرمى الله فى جوفها بروح النظام ممثلة فى رجل حازم

الا بدأت فيها حركة مباركة نحو ائتلاف العناصر المتنافرة والتوفيق بين القوى المتضاربة واستبقاء النافع واسقاط الضار من الاسباب والموامل - حتى تري الفوضى سائرة الى النظام والثورة الى الهدوء والضجيج الى السكينة وتبصر مكان الجذب والعمم الانتاج والاعمار - فتوقن بحسن المآل والماقبة، ولا جرم . فما من فوضى تقيم في وسطها روحا عالية نبيلة الا آلت الى النظام والخير والفلاح بفضل ذلك . هذا وان الطبيعة تحب النظام وتبفض الفوضى ولا تطيقها ولا تحتماها ولا تصبر عليها الا ريثما تهيب لها روحا سامية تعالج بها شرها وتزيل خطرها . وهذا الكوكب الارضي النبيل المقدس الذي نعيش فيه وتقلب معاً طال صبره على هروجي المهرج والفوضى فهو في النهاية لا يطيقهم ولا يلبث ان يرمح نفسه منهم . وهذا من أشد ضرورات العالم اذ كانت سنته الصلاح والرقى وكانت مادة الخير فيه اكثر من مادة الشر وكان الحق فيه متغلبا على الباطل .

وأى خير في الفوضى الا اذا أصبحت تتجه نحو النظام وأى بركة في الثورات السياسية لا اذ تولى المصاحون تنظيمها برسم الخطط والبرامج العملية .

أي ثروت! ايها الرجل الحازم البعير . قد نفذت بك نصيحة

في مضلة السياسة وتبها وفي مجاهلها ومهالكها حيث اشتبهت
 المسالك واشكلت المناهج وخفيت وجوه الرشاد وخبث مصايح
 الهداية فانظر ما انت صانع ؟ وأي السبل تسلك وأي الوجوه
 تنتهي ؟ الا فاعلم ان راكب الصعاب وولاج المآزق مثلك اذا
 تشعبت في وجهه السبل ووقف ينظر ايها يسلك الى غرضه
 الاسمي فتقد يوجد أمامه بلا شك بين هذه السبل منهج واحد
 هو اقصد ها وأهد ها - منهج يكون سلوكه في ذلك الظرف
 وتلك الآونة احق ما يأتية واصوب ما يصنعه - منهج واحد
 اذ يتبع - وكه ضوء وكه كره - كان احازم البصير والاريب
 الداهية - كان رجل المكتنن الرجولة للوقوف الى ما يرضى
 الرجل ولاهية مسير لا تظلم الضيعة ونواميسها لانماضه اخفية
 في صبيحة - كوني حجة - رحب به - الرحيل ويستف له
 ورحى - بر - نبش في عميد - يكوش تين رائده والنجاح
 حبيبته هيات - ايا - رجل النير ووزير الجبر ستين
 بن - حيث في تمة سيرة - في تبهها -
 من - - - - - منهج نحو الاو -
 في قصص - في رغبات الاسير - - - -
 لوطن مبتغى وبغيتة - وكذا - - - في الحرية

والاستقلال؟ سئى ذلك قريباً

سنراك وقد قذفت بك الطبيعة وسط زوبعة السياسة
الهوجاء وعواملها المتنزعة وعناصرها للتكاخفة تؤلف بما اوتيت
من عزم وحزم بين هذه القوى المتعددة الطاغية . وبين هذه
اللزومات المتضادة للتعادية . ترد شواردها وتكبح جوامعها .
آونة بسوط بأسك وسطونك ولكنه بأس الحازم المتدبر
المتأهب على مصلحة بلاده وسفيرة انصف الله در احب على
منفعتها . وآونة بكف ينك انغريزى المغروس فى طبيعتك .
ورقةك الفطرية المركبة فى سحيتك . دأبك ذلك بلئى أن تقوى
ناك عاصفة السياسة الهوجاء فترتد الفوضى نظاماً . وزوبعة نسيمها
الحرب سلاماً . انك وذاك كن تراكب فى بحكم تشروف
والأحرار أن تعمل وسط زوبعة نسيمه نورت رمنية .
وسط ما يصح لنا أن نسميه نوعاً من الفوضى . ذلك حبك
ونجارت رجل نفع لارح . فرصى . واتاب عبيعة انظم كفة
كده تجبوع على حب نفعه . انك وذاك كن تراكب فى بحكم تشروف
الرجل اعظم . انك وذاك كن تراكب فى بحكم تشروف
ما يجب أن يكون شية كبر . انك وذاك كن تراكب فى بحكم تشروف
سركى عن من أتمم دأبك فى هذه الخطة مورد نوضى

الى النظام «؛ أوليس كل نى حرفة وصناعة موكل في هذه الدنيا أن يجمع المواد الطبيعية للبعثرة في أنحاء الكون المشتتة في ارجاء الوجود المتباينة جوهر التنافرة صفات وطبعا فلا يزال يوفق بينها ويؤلف حتى يضم شتاها ويجمع بددها ويفرغ تفاريقها في قالب محكم بديع عجيب الصنع محدود بالقواعد الهندسية والحسابية؛ كلنا مولودون بفطرتنا اعداء للفوضى عشاقا للنظام - هذه مزية البشر عموما وهي في الرجل العظيم اصناف اضماها في الرجل العادى .

النظام يقتضى الشدة ويتطلب الصرامة احيانا - وهذا بلا شك نوع من الحذر والاشفاق على المصلحة العامة - وفي هذه الظروف الضرورية يصبح اسم « الشدة والصرامة » غير منطبق تمام الانطباق على المعنى الحقيقى لما يتبعه الرجل الحازم من خطئه الصرامة الشديدة التى يكون أحق بها وأولى وأقرب إلى معناها الحقيقى أن تسمى « رقة معكوسة » و « عظاما مقلوبا » اذ كان باعها الحقيقى هو العطف والرفقة . والحنان والشفقة وكما أن الطبيعة تنجز اسمها وتنتج نتائجها آنا بالنسيم اللطيف وآتة بالاعصار لعنيف وتارة بالجدول السلسل وأخرى بسيل الجرف فكذلك الرجل الناصح الذى هو شعبة من الطبيعة وفلذة من.

كبدها يحدث آثاره النافعة ومآثره الجليلة باللين تارة وبالشدة
أخرى كالطبيب الحاذق يداوي بالمسل وبالصاب وربما أزال السم
بالسم وشفي الداء بالداء .

قول لما عضل على الأمة المصرية لغز السياسة المعقد واعتاص
حله ولم تغلح فيه سهاه المنطق الأجوف وزخارف الآمال واخاديع
الاماني ولم توفق الى حله طمحات الاوهام وسبحات الخيال
والاستناد على النظريات المستحيلة والاحتجاج بالاقتراضات الوهمية
معززة بقذائف « الهتاف » والقنابل « الاسقاطية الاحيائية »
تقدم الى معالجة هذا اللغز المعضل العويص رجل الحقيقة والجد
والعمل عبد الخالق ثروت . ووقفت مصر وانكلترا والعالم أجمع
ينظر إليه نظرة الحب والدهشة ليرى ما هو صانع ازاء ذلك
للشكل المعضل .

وقف رجل العمل والذكاء والدهاء امام ذلك اللغز المخوف
وكانا بذلك اللغز يخاطب « رجل العظيم فلا له » أتفقه معنى هذه
الساعة العصبية ؟ أتفهم لغز الحياة في هذه العقبة « كؤود ورفوف
الخرج ؟ » أن الآهة تواجهك بسؤال معجز ولغز معضل فهل
عندك جوابه وهل لديك حله .

فلتوماس كارليل في كتابه « المضى والحاضر » تقدم جدي في

أساطير الاوان ان جنية كانت تربض على قارعة الطريق للسارة
تواجه كل عابر باحيتها الصعبة وانزها العويصة اذا استطاع حله
مرسانا منا في سربه ولا هلكته وأوردته حنقه . ويزعمون
أن هذه جنية كان لها وجه حورية حسناء وصدرها الناهد
وأعناقها اللينة . ولكن بذنها الغض الرشيق ينهي بمحنة ابوة
ضارية ومخاب سبعة عادية .

و كذلك الحية هي كتمان الجنية لافرق ولا خلاف -
فالحياء تواجبك بجمال حورية وحسنها الفردوسي الذي معناه
"نظام" بديع و"الحكمة" العالية و"خضوع" تقانون العقل الأزلي
السرمدى ولكن فيها مع ذل - عنفاً وطغياناً وظلمة ، هلاكاً -
أحق أن تسمى "ت جهنمية" . وهذه الحياة أو الضيعة "الزائر" -
كتمان الجنية - تأتي على كل انسان بمبر سبيلها لصوت رقيق
وخيم عذس - سر - خور - رعب - أتمهم - في - يزداسي
ت فيه - نسه ممزى هذه الساسة - تدري أى مشكاة تراحمك
وكيف تحاها - وفي سبب لست في ذلك .

حور - حية - الضميمة أو وجود - والقدر - كيف
سميت هذه حية - في لا يستطاع لسمتها - و - يش
في وسطها - ونحوه - فهي حورية فردوسية - و - ودية وريح

وغنية للارباب اللبيب والذى الالمى الذى يستطيع أن يتفهم
أسرارها ويحل لغزها ويتبع قوانينها ويصدق بأوامرها . وهي
جنية فتاكه وشيطانة مهلكة من لا يفعل كذلك ولا يستطيعه .
فافهم اسرارها وحل لغزها تسلم وتغنم .

أما إذا تعن بذلك ولم تأبه له ومغضبت فى سبيلك دون أن
تحل ذلك اللغز وتحيب ذلك السؤال فستحاط لك حنية الحياة
وسيطرة الطبيعة - سنجدها - شتى من التحيرات والتداعيات ،
احادة من تصادف فيم . سوى لبزة ضاربه وسبعة عادية وحية
رقشا . أبادة صماء لا سمع دعاك ولا ترق اشكوك . ولا بلين
لركة . .

تقدم رجل الحقيقة واخبره ان القصة صحيحة وسكن
انه ضل بعد ما تحزنه خيالات والاهواء والحب والعز
والاستحيل - وقف بروت بش على ذرعة السبيل ووجده
تيمه سياسة لغزها ، اعووض ربه بنه ربح وحب -
فب - هو محني - ومصيب - هو في معرض - هو في
الحب واليأس - هو في نظرة الرصد والتسامة للارباح -
الى منهج التوفيق وسينجح - سترى ذبا قريبا - يري ربحا
من سر خيالات ووهام ولامعة ، ذبا خيرا .

والمستحيلات ولكن رجل الحقيقة والواقع - رجل الممكن
 والجائز - رجل الغريزة الصادقة والبدية الحافلة والبصيرة النافذة
 رجلا يسلط شعاع عينه الثاقبة على المشكل والمعضل فيبدد عنه
 ظلمات الشكوك وغيسوم الريب والشبهات كما تسلط العدسة
 البلورية طائفة الأشعة على الأشباح فتجلوها في أسطح مظهر
 من الوضوح والبيان - رجلا ينفذ بنور بصيرته إلى اكناه الأمور
 وجواهر الأشياء واكباد الحقائق حتى يقهرها ويمتلكها آخذاً
 بنواصيرها قابضاً على أعنتها - وذلك بفضل ما فاق به غيره من
 رجاحة العقل وصدق العزيمة وقوة الروح - ذلك رجل لا ينظر
 إلى الدنيا ومشكلاتها بمنظار النظريات والقياسات ولكن بعين
 مجردة نافذة البصر ساطعة الشعاع ككشافة السموات - رجل
 الاخلاص العميق والغيرة المنتهية والقباب الذكي المتأجج . والروح
 الحى المتوهج .

سنرى رجلا مطوياً على غريزة الاهتداء إلى سر الحقيقة
 وجوهرها أينما كان - رجلا قد ثبت قدمه على أساس الحقيقة
 توصيه برسخ - رجلا يستضيح أن يتبين بصادق نظره ونافذ
 بصره من خذل التماقيد والارتباكات اباب الشيء وجوهره
 فيعمد نحو ذمت ويسدد إليه خطوته . فقد روي عن نابليون

الأول أنه لما كان أمين قصره يعرض عليه يوماً ما استجده في القصر من فرش وأثاث وقد جعل هذا الأمين يطرى هذه الأمتعة والأدوات ويثني على صناعتها ويقول أنها قد جمعت إلى جودة الصنف ونفاسته رخص القيمة وقلة النفقة لبث نابليون أثناء تلك الأقوال المنسوبة والخطاب المستفيضة صامتاً لا ينبس بحرف واحد . ولكنه بعد نهاية هذا الكلام المطول أمر أمين القصر أن يجيئه بمقص ثم عمدي هدية ذهبية من هدايا إحدى الستائر فقصها وطواهاني جيبه وانصرف . وبعد مضي أيام قلائل أبرز الهداية من جيبه في الفرصة المناسبة فعرضها على منجد القصر الذي كان صنعها فارتفع ذلك الصانع التمس وأرعدت فرائضه : لقد كانت تلك الهداية مغشوشة - لم تكن ذهباً كما زعم ولكن صفيحاً ! هذه النادرة على تفاهتها تبين ماهية ضيعة الرجل وعنصر خلقه - تبين أنه رجل عمل لا كلام وإن غريزة نفسه الصادقة تدفع به إلى كبد الحقيقة مباشرة ضرباً صفيحاً عما يحيط بها وبحجبها من الأقويل والأراجيف ومن الشكوك والشبهات . كذبت كان نابليون الأول وكذلك كان غيره من رجال الحقيقة والجد والعمل - وكذلك تري عبد خاق ثروت .

هذا الرجل العظيم - ثروت باشا - يعرف بغريزة الصدقة

والكرم والهمة والروءة والوطنية الملهبة وخصال الصبر والجلد
والحلم والرفق والتسامح .

ألا فقدس الله نور القلب وضيائه ! - أليس ذلك هو الذي
يجلوك ما يستكن في ضمائر الاشياء من روح النضام والائتلاف -
أليس ذلك هو الذي يوضح لك مغازي الضيعة ومقاصدها وما قد
تحفيه تحت قشورها خلسة ومظاهرها الكريهة من المعاني
الموسيقية (منه ايس من سى - كثن في هذا نوحه لا يستكن
في أعماق جوفه معنى موسيقى أى روح نظامه يكون قومه
ومساكنه وعماده وملاكه . ونفيره لا يترك ولا يكرن) فبور
الغاب أو ايمان لتأقية نى علماء الرصد فى ثروت شخصية
هي اى تسيه فى روية اية - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر -
مواد الخير والمنفعة واصنع - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر -
ومن المر حلو ومن السم دريع كما سترى قرو .

لقد تقدمت أيتها روية - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر -
صرح الامة - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر -

يحول مقوده - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر -

وحول الية زون - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر -

ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر - ر -

فخصاعبك حجة وممة عليك شاقة - أحجار وجملامد صلبة صماء تتأبى
وتتصر - ورجال تنأف وتتنصجر - وأمور متناقضة وشؤون
متضاربة وظروف عاتية متمردة - فلتقهرن هذه جماء ولتتغلبن
عليها إن قدرت - وإنك على أمثالها لقادر .

إن المصاعب والآفات والمناعب والمثرات قريبة ظاهرة
عجاية تتأفك لدى كل خطوة - وإن عون الطبيعة ومددها
وإسعافها (وإن كان في النهاية مؤكداً مضموناً) لمستريحتي -
فاستثره من مكانه ونقب على خفاياه بالصبر الجليل وبالجلد العزم
والإخلاص - بقوة رجولتك ومضاء همتك - تملب على كل عقبة
وصعوبة وحاول بكل ما أوتيت من حول وطول أن تشيد من
هذه الانقراض المبعثرة المتوشة صرح الاستقلال التام لبلادك
راسخ القواعد موطن الأركان منبع الجوانب شامخ القدرى -
لست الورير الجليل عبد خالق ثروت باشا ثلاثة أشهر
طويلة بدافع عن حمي بلاده ويدود عن حياضها ويكافح عن
حقوقها ويناضل إزاء الداء الخصوم واعتاها وأشدّها استبداداً
وجبراً - ويضارب بتحقيق مص - وطن العزيز وأمانيه الكبيرة
- لذة أشرفهم فيها جدمشمر معتره مستبسل في سبيل
الحق مقدم صدق شاعري روح أرضية مألوية والتضحية

الشريفة . فكيف كانت نتيجة مساعيه وثمره مجهوداته .
في نهاية هذه الأشهر الثلاثة أذعنت لشروطه وأجابت
مطالبه اقوى دول العالم فاعلنت في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ إلغاء الحماية
عن القطر المصري واعلنت استقلاله التام . وان يكون للبلاد
دستور وحكومة مسؤلة
جزاك الله أيها الرجل العظيم عن البلاد وأهلها أكرم الجزاء
وقدرها على القيام بواجب الشكر نحوك

الفصل الثاني

التصريح لمصر

بإلغاء الحماية وإعلان الاستقلال التام

وكذلك في غرة شهر مارس سنة ١٩٢٢ خطت مصر أفسح
خطوة وثمنها نحو غايتها المتصودة وأمنيتها المنشودة فصعدت
عن تمسكها بالسياسة الأجنبية وتخاصمت من ربة الحكم
ببرهانها وبعثت قسما على قدرة طريق النجاة والسلامة
وبرزت من خزانة سجن اليهودية إلى فضاء الاستقلال الطلاق
لرحيب وإلى جرة الشرق المستنير وتأسست أول أمية الحرية
التي كانت مضمونة بعبء نبي هي غدا في الأمم ومادة
لأرواح وحياة ذكوات هي السر في أول النهضة الأمم
من يشهد ثمة ترو ولا تعاضد وحجر أساسي لبناء صرح نهج
و... ك... ب... ر... والغد والرخاء...
... ي... ي... ي... وحيدة والحياة السياسية...
... كانت... في... مصر... حرية والاعتراف

بالاستقلال التام وأن يكون لمصر برلمان يمثل الامة تمثيلاً صحيحاً
وحكومة مسؤولة أمام الامة ممثلة في برلمانها وأن تتولى مصر
بنفسها دون أدنى تدخل من الدولة الانكليزية أمر تأسيس
البرلمان وسائر مهمات الحكم والادارة في بلادها. وأن يمحصر
الخلاف بين الامتين في أربع نقاط وهي :

(١) حماية المواصلات البريطانية داخل حدود القطر
المصري (٢) حماية الاقليات ولاجانب (٣) لمضاع عن مصر
ضد كل اعتداء أجنبي (٤) مسألة السودان . فهذه المسائل
الاربعة ينظر في تسويتها وحلها بواسطة مفاوضات مستقبلية
تدور بين الحكومة الانكليزية وبين البرلمان المصري الذي يكون
هو بحده صاحب الحق في تحديد موعد هذه المفاوضات
والشروع فيها حسب ميله ومشيتته اخيرة المعلقة . وفي مقابل هذه
الفوائد الجمة والغنائم العظيمة التي استخلصها عبد الخالق تروت
بشخصه من بلادته من يداخضه لانه المعاند بين دول الرئيس
لاجل ذلك انخرجه أدنى ثمن في صورة شرف وتمتع وقيد
- بل احتياز لما ومن هذه الثمرات المبركة غنائم لا غمر وطعمة
رسانة هنية وعربون م سرف سترقية مصر على يد برلمان في

للفاوضات المقبلة من موفور الحقوق ومستكمل المطالب
كل ذلك فآله مصر بمعونة الله العلي الأكبر جل شأنه وبهمة
ملكها المعظم وفضل مساعيه الجليلة ومجهوداته العظيمة محتذية
في ذلك حذو آبائه الاقيال الاماجد واجداده الصييد الصناديد
جارية على سننهم الاغرا الاوضح ومنهاجهم الانبل الاشرف متبذرا
غاية من المجد والثناء تقع من دونها سابعات الآمال وطامحات
الاماني وتنحصر عن شأوها المديدأحت مطايا الحمد واوحى سوابق
الثناء والشكر . ادام الله سلطانه . ودعم بالعزيز بنيانه ووطد بالعدل
أسسه واركانه . وايد بالفتح المبين صولجانه . واسح في بحبوحة
النعم ارجاءه . واخفق في رياح النصر لواءه . وجعل عهده اليمون
مراد خصب عيبه . ومرقع عز مقيم . وفاتحة خير للبلاد لا تجف
على الزمان اخلافه . ولا يحمد على الحقب والاجيال هطاله
ووكفه انه سميع الدعاء . مجيب الدعاء .

نات مصر كل هذه الموائد والفتائم بفضل الله عز وجل
وبفضل ملكها المعظم ادام الله عزه وخلد ملكه وبفضل الوزير
الاجل عبد الحق ثروت باشا الذي رد إلى البلاد بفضل حكمته
وحزمه ومهاريه وجهده وفر قسط من حقوقها المسلوقة . (وأنه
على استعداد تام لمره ديوب) . واني محبا ما كان أصاب

كرامة الاوطان من وصمة المذكرة الايضاحية « واسى ما كانت
أحدثته فى أديم تلك الكرامة من ندوب وجراح - دون أن
يقيد البلاد باعطاء أدنى مقابل من شرط أو تمهد .

وبفضل مجهودات الشعب المصرى ذاته الذى ما قصر فى
المطالبة بكامل حقوقه ولا فرط ولا وفى ولا تبدل والذى أظهر
فى الساعة العصبية والمحنة التكرار (عقب اعلان المذكرة
الايضاحية) من ضم الصفوف وتوحيد الكلمة ما شد أزر الوزير
الجليل ثروت باشا وايده وكان من ورائه حصناً حصيناً فى
مناهضة الخصم وكهفاً متيناً وعروة وثقى .

وكذلك فى أول مارس ١٩٢٢ هب على مصر من نفحات
رضوان الله نسيم الاستقلال وحيا مسامعها من موسيقى انضمام
لأبدى نفحات حرية المطربة السحرة خيا الله فى الأيام ذات اليوم
الأغر المحل وقدس الله فى الساعات تلك الساعة السعيدة زهره
ساعة هبط علينا البشير يحمل إلينا صحيفة السعادة الخادمة ممسكة
بذكى من شدى المطر مصقوله الضراز بهي من سنه فخر .
وئى ساعة أحل وأعظم واحق بالتحميد والتحية من ساعة
تنطلق فيها روح الله بية بدر ضوئ سر وحسن من قيود
لرق وعلان خفف وأعسف فمهض وتجهب - وير حشه .

اثناء ذلك شيء من الدهشة والارتباك والحيرة - وتنشط من
عقلها حائلة بالنزى خلقها وسواها لتكوين حرة وتيقن طليقة؛
الحرية وما ادراك ما الحرية، هي جوهر الروح وعنصر النفس
وهلاكها الذى لا تقوم بغيره وقوامها الذى لا تصح ولا تسلم إلا به.
وهي البغية والطلبية التي لا تزال تنزع اليها الروح من أعماق اعماقها
وتشرئب وتطمح وتصبح مفصحة أو معجبة مينة أو مجحة
نطاب بها السائب المكتسب مناوئة منابذة ولو هدها بما في
الأرض والسماء من قوة وهي التي في سبيلها وحدها يبذل بنو
الإنسان بحكمة وبلا حكمة كل كد وعناء ومجهود وجهاد وينشون
كل ملحمه ومعتك ويقسون كل ألم وكربة وبلاء اجل ما اجل
تب ساعة وما اعظم - ساعة تنسم الامة انفاس الحرية المنعشة؛
ساعة يبدو القافلة مكدودة الطلأى خضرة الروضة العشبية وسط
'عفرة جرد - يقر عيب رفيف يكما لضر في وقعة المهاجرة
ونفحة نزع...

فقلت كبر تروصروت باشا وحابت مطالبه انفكت
لأزته رية و... ذ - لوزر - جنبه نه لا بأس عليه في
نا - لصر - ... - وزارة - حنذاك رأيت جلالة
ناب - ... - ... - فاجر دمرت - ميك - عهه نبيه - وسرع

إلى طاعته صادم بأمره محتلا في سبيل خدمة البلاد اعباء تلك المهمة الشاقة ثم اختار دولة الرئيس للوزارات المختلفة رجلا من صفوة أبناء الأمة ونخبها واعتادها في الازمات والشدائد وذخرها في الملمات والمضائى - من كل فاضل كفوء وحازم بصير مديد التأمل ورجل الدراع بميد المهمة وحسبك أن يكون بينهم رجل كصاحب المعالي اسماعيل صدق باشا - ذلك الفذ النافذة الدكي الأملى الذى كراما تموقد بر حيينه كوكب "لك ومصاييح الحلك ، ذاك المشهود له بدقه الدهن وصفاء لقرينه لا يضيأش له فى حومة النضال سهه . ولا يخبو له فى ظلمه الشكوك نجمة . وقد ضاب عجمته حوادب . وعركته لكوارب . هانقه صد الصفوة . حيد لحصاة لآمن حيوته . ولا تتر عرمته وكذنه - به خطوب السياسة فى المآزق والمضيق فى راعنا الا خروجه منها طافرا وادع القلب وضاء الجبين . وكده نبلا وتبره نه كن موضع اختيار لرئيس الاحر وبه مارن مرصن لفته واعماده .

وحسب ايضا أن يكون من بين من مصطفى رئيس
 نصا صاحب المعالي مصطفى ماعريش - وهو ذنب رجل حـ
 تقدير على العمل الذى فعله معه . كمت يومه من

من موقف في ميادين الاعمال الجسم اظهر فيه الحكمة مقرونة بالصرامة والتؤدة مشفوعة بالعزم والمضاء وقد أحسن الرئيس كل الاحسان في اختيار مثل هذا الشهم الهام لوزارة المعارف لانها أحوج الوزارات الى عميد ينفعها بروح من عنده ويبعث في كيانها تياراً ملتهباً من « بطارية » ذهنه للتقد - وجذوة حامية من مرجل حميته المحتدمة . وما ذا عسانا بعد أن تقول في رجل رآه الرئيس اهلاً لما ناط به من ذلك العمل الجليل والمنصب العظيم كذلك تألفت الوزارة باختيار ثروت باشا من رجال اكفاء سبقت لهم في خدمة البلاد اياد يضاء . وما أثر غراء . تجلى فيها اخلاصهم وصدق وطنيتهم في حذق وبراعة . وقد تبنوا اولئك الوزراء مناصبهم في وزاراتهم المختلفة حيث أخذوا بالمبدأ السياسي الجديد - مبدأ لا نفراد بل عمل والاستئثار باسطة فقبضوا على أزمة الحكم وتسلموا مقاليدهم وحققوا معاني ذلك المبدأ الجديد وأغراضه تحقيقاً تاماً لا يقبل شكاً ولا ريبه - فاصبح المرء لا يكيزى من عت درجته مرؤوساً للوزير مرغماً أن يخضع لأمره . ويصنع بأمره ويس رئيساً مستبداً مطلق السلطة متحكماً في جميع من حوله . مرؤوساً لا يرض لحكمه ولا رد حكمته ورؤ . ستبد على نوزير نفسه واغتصب سلطته

وأخضعه لمشيئته ورغبته - كما شوهد كثيراً في العهد السالف .
 غها نحن أولاء أصبحنا نرى بعين قريرة جذلي كبار وجالات
 الانكليز يتقلص ظل سلطاتهم عن منصات الحكم داخل بلادنا
 ويطوى بساط نفوذهم عن دوائر حكومتنا ويتمسك شبح صولتهم
 للرهبنة ويزول عن أبصارنا ويحل محل هذا كله سلطة وزرائنا -
 أهل جلدتنا وأبناء آبائنا وأخواننا في الله والوطنية وشركائنا في
 السراء والضراء - الواردين معنا حياض المناعم واللكاره والشاريين
 بالكس التي بها نشرب أن عاقماً وإن شهداً - ورفقنا في قافلة
 الجهاد وزملائنا في سفينة الاقدار - السائرين معنا الى الهلاك
 أو النجاة . الى الموت أو الحياة . المقرونة اسماؤهم الى اسمائنا في
 سجل القضاء الازلي . الخبوء لهم من القسم والخضوض مثل مخبيء
 لنا في خزانة النيب ومستودع المجهول . الجارى لتأويلهم باسمود
 والنحوس نجم واحد في فلك واحد . فليس من المعقول ولا من
 الجائز قياساً أو فرضاً ولا بما يسوغ في "خفايا" ويمر على نحو ضرر
 أن اخواننا لوزراء - من تبحش عروقهم بدمنا وتنبض قلوبهم
 على دقات قلوبنا - ينزرون لا على ردتنا - أو يتوخون سوى
 أغراضنا ومقاصدنا ولا يسمعون في هذا العهد "لهم" وفي هذا دور
 المتقدم من قضيتنا وبعد ما أعلن الانكليز رحمة لهم بالحياة

ومستشاريها الانكليز واستبدلت بهم وكلاء وطنيين . وهانحن أولاء لا يكاد يمر بنا برهة من الزمن الا رأينا بعض كبار الموظفين الانكليز يعزل منصبه في الحكومة المصرية فيعين مكانه مصري من ابناء البلاد . وهانحن نرى الوزراء المصريين قد ملكوا نواصي الشؤون والاحوال . وامسكوا بدفة المسائل والاعمال في وزاراتهم المختلفة فأحاطوا علماً بكل دقيقة وخطيرة ولم يغادروا صغيرة ولا كبيرة . . ومن ذا الذي يطاع في الجرائد السيارة على قرار صاحب الديار اسماعيل صدقياً بهذا الشأن وفي ذلك الصدد . ذلك القرار الحاسم الجازم . الذي أماط كل لثام وجلى كل شك وشبهة عن هذا الامر الخطير فمد يدع مجاًلاً للنقد ولا موضعاً للاعتراض .

هذه كلها من فوائد العهد الجديد ومن ثمرات نفوذ السيسى المبين الذى احرزته البلاد بمعونة الله عز وجل وبفضل جدها ومجهودها واهمتها وتضحيتها وعلى الاخص بما ظهرت من الاتحاد والتضامن (عقب اعلان المذكرة الايضاحية) وتقيم فى وجه الخصم الالذ المعاند متساندة متماضدة كأنها روح وحدة فى جسد واحد . وبفضل مجهودات وزيرها الاجل ومهارته وحكمته السيسية وكفاءته النادرة فهو الذى استطاع ان ينحس من صمت

موقف الامة وقوة تضامنها أحسن وسيلة وأضمن ذريعة الى اقناع الخصم واستمالته والتأثير في أعصابه حتى أمكنه أن يستخلص للبلاد من قبضته ما استخلصه من تلك الفوائد الجمة والغنائم العظيمة.

ولكن كيف كان موقف الامة ازاء هذا التغير السياسي العظيم وبماذا استقبلوا هذا الهدم الجديد . وما ذا كانت آراؤهم فيما قد تآنى للبلاد من تلك الفوائد والغنائم ؟

انقسمت الامة بهذه المناسبة وفي هذا الموقف من حيث الظنون و لآراء شيعاً بدداً . وطرائق قدداً . . فتم المستبشر المتفائل الفرح الجذلان بما نالته البلاد من ذلك الغنم العظيم وان وقع دون أقصى غاية البغية والمراد وتقاصر عن أبعد مرامي المقصود و مرغوب وذيسم إلى ما تطمح إليه الامة من الاستقلال التام بكل معانيه . وفي إسعي مراقبه . وأنى بماليه . فهذا الفريق من أهل البلاد يعتقد أن هذه المرحلة الأخيرة فوز صريح ورجح حاسم ونهائي . في جدل خطوة إلى الأمام . وخطوة واسعة قد تربت من نية مودة شوطاً بعيداً . وشأواً مديداً . وحسبت موقعة وحصنت مركزه ورفعتنا من وهدة ضعف وحضيض مهينة كنفية تحت مدفعية خصم نصلي نيران سطوته

ولهيب صولته لانستطيع له مطاولة ولا مصاولة - فرقمنا هذه الخطوة إلى روبة عزة ومنعة وهضبة حصانة وقوة أصبحنا بها أولي قدرة على مناهضة ذلك الخصم ومناجزته وأقدر على مواصلة سعيينا إلى أمنيتهما المنشودة أعنى الاستقلال التام المطلق من كل قيد المجرى من كل شائبة - أولم يصبح هذا النعم الذي استفدناه أخيراً أقوى سبب وأمتن وسيلة نستطيع أن نتذرع بها إلى أحراز الفوز الأتم والنجاح الأكمل أعنى تحديد الضمانات التي تمنحها بريطانيا العظمى ونقصها وتلطيفها بما لا يتعارض مع استقلالنا ولا يضره إلى أن يحين الوقت للعدول عنها وإطراحها فتخلص مصر اخلاص التام من كل قيد من هذا القبيل وخلافه .

هذا فريق التفوؤل والتمين الذي هو في الحقيقة أقرب من غيره إلى الصواب والمعقول . لأن جميع ما يحيط بالمسألة من شواهد الظروف وقرائن الأحوال تصدق رأيهم وتؤيد حجته وثبت فريق آخر يناقض الفريق الأول في رأيه ومذهبه . فهو لا يثق ببريطانيا على الإطلاق بل يفضل ترك الحانه معلقة - حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً - على قبول ما هو معروض الآن على مصر - محتجاً بمذهبه هذا بأن الانكليز ما برحوا منذ بدء احتلالهم هذا القصر بمنون أنهم بباطيل المواعيد وسبيل الضماني

فاذا استسلمنا الى وعودم هذه المرة أيضاً فقد تضعف المزائم
وتتخدر الأعصاب ويتأخر سير القضية الى غرضها الاسمي
ومرادها الاقصى وفي هذا البلاء والشركة .

ونحن نعرض على هذا الفريق ومذهبه بأن انكلترا اليوم
ليست بانكلترا الأمس . لقد علمتها الحوادث والخطوب أن
أمم الشرق وشعوبه الواقعة تحت سيطرتها ليست بالرمة البالية
المنقبورة في مدافن الدثور والمغاء ولاهي بالخشب المسندة الملقاة
في زوايا لاهل والزيان رهائن العجز والتبذد والحدود والجود .
تقد كات كنز تحسب أن الامة المصرية وسائر أمم الشرق
لم تشارك الشعوب الغربية المنهزمة فيما أحدثته الحرب الكبرى
في صميم كيانها من تلك الثورة الفكرية والغايات السياسي الذي
استحدث حركات "عادية وسيرها المأثوف في سبيل لرش انضمامي
التمريتي حرة ساية محتو عيها بوع - (ولو بضوء وتريث
وبعد تعطيلات اعقبات والعراقيل) - بحكم السنن الكونية
و"نواميس الطبيعية . فكأنه بدو غم من اعترافها للشعوب الغربية
باعتبارها كسائر الامم . حرب الكبرى من الثورة الفكرية
السياسية بدو غم من ذلك حكم هذه ثورة - أعني حكم السنن
الكونية و"نواميس الطبيعية تدعو عن مصر في بادئ الامر

وهنا يجدر بنا أن ننوه بما كان من سلوك ثروت باشا في تلك الآونة الدقيقة وكيف كان موقفه إزاء اللجنة منذ وبماذا أشار عليها : قابل ثروت باشا في ذلك الحين اللجنة المذكورة منفرداً (كما قابلها عدلى باشا منفرداً) لا مقابلة راغب في مفاوضاتها . - حاشا لوطينته الشماء أن تفعل ذلك . - ولكن مقابلة من أحب أن يبلغها جواب الشعب للصرح واعتقاده الصحيح معبراً عن جنانه . ناطقاً بلسانه . فانبأها بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن الشعب للمصرى ان المصريين قاطبة قد أصروا على أن لا يكون لهم مع اللجنة شأن ما وان لا يدخلوا معها في مناقشة أو مباحنة . - ذلك لأن لهم وفداً يمثلهم أصدق تمثيل وأصح . فبه لا يرضون غيره محاميا عن القضية ولا يتقون بمفاوض سواه كائنا من كان . هذه المأثرة الجليلية من مآثر ثروت باشا مدالة على ما ينطوى عليه قواد الرجل الكبير من صدق الوطنية وروح التضحية أقل ما يؤثر من عظيم مآثره . وجسيم مفاخره . وأدنى ما يذكر من مساعيه الجليلة في سبيل خير البلاد وصالحها . ولكن ربنا أن نودرها هنا تذكرة لمن نسي وتعميلاً لمن لا يعرف . فليعلم الناس ان وطنية ثروت باشا ليست واعدة لليوم ولا بات الامس بل هي عريضة فيه متأصلة منذ دلى به عامه خذوا

الوجود . - منذ

سأله الله للخطوب من الغي ب كسل المهند المغمود
وكذلك كل رجل عظيم لا تكون فيه الوطنية مجرد عادة
يتأدها أو خصلة يتحلى بها أو إداة يتذرع بها إلى شئ من
مقاصده وأغراضه - بل تكون فيه غريزة غالبة وطبيعة
مسيطرة على جميع مشاعره ومداركه ونزواته . وعواطفه
وشهواته - تكون مزاج دمه وأساس كيانه والجوهر الذى صيغت
منه نفسه ولعنصر ذى صورت منه روحه

فمن ريف يابا وقت من سكرتها بالنسبة المسألة
أهصرية به قدمت لا تقدر عن بهرها ما كان ران عليه من
غساوة لغمة وغرور وعن قبحها ما كان قد غشيه من حجب
للقسوة
سرس
وقد
لا
ودم
وحف

والاجتماعى عن منزلة ان الشعب — بل ادركت برعنا نياكل
هذا وجبتهما الحقيقة عداية خستة كالصغير النماء — ارادت
استرداء الامة معارفة وحرر بلون فند بتسوية قضيتها المرأة
لعدالة رسة رضى منوا لجنه من اتي ذكره ما كان
من سباب بفضل جماع التبرير على مء صم بلعنى — امة
وانتيدع محمد التبرير —

في حضم الجهد واما تصغر بقدر الذرة اليقينة فتزدها الى موضعها
من اكمل مجد لبلاد و مده الى نصيبها من تاج حسبها الجيد.
وعزها التمدد امدعه بريها يه انه ليس لا غرب ان يفخر على
السرقة رعبه منه وورسها منه في مرايا الهوض و تتدنه واه
ذلك منه قلب و ايا روم رصى جوهره اكرمه عنصرا -
امدعه بريها يه انه بريها يه - لا عرب ذو هبة - لا - من
سما - كتاب عتق - - - - -
لا سرقة ولا عرب ذو حر - - - - -
وارمحه وجس تماره في - قرد - - - - -
لوصيه له - - - - -
حشيرة - - - - -
لا صبر راحي - - - - -
هكلا - لا - ن - مقم - - - - -

السحابة السارية ، الى الانسان الحي ، الى أقل فملة من أفعاله وأدنى كلمة من أقواله - أجل ان الكلمة اذا خرجت من فم الفائل مضت كالسهم النافذ لا ماحى لأثرها . وأشد منها وأقوى الفعلة الواقعة . أو لم يتغن لنا الشاعر « بتدار » قدما بحكمته المأثورة « ان الآلهة أنفسهم اشجع أن تمحو أثر الفعلة المفعولة » لقد صدق « بتدار » فان هذه متى فعلت بقيت على الأبد لا يد مفعولة أي دائمة المفعول والأثر - بقيت مسترسلة في فضاء الزمن اللانهائي - وسواء لبثت ظاهرة لنا بادية . أو مستترة خافية . فستبقى فعالة تزكو أبداً وتتمو غنصراً جديداً لا يفنى ولا ينعدم في غضون مزيج الكائنات اللانهائي . بل ماذا تحسب هذا المزيج اللانهائي ذاته الذي نسميه « الكون » - أترأه سوى فملة أو مجموعة من الأفعال أو القوى ؟ أترأه سوى مجموعة حية (يعجز الحساب عن جمعها وحصرها في جداوله وان بدت أعيانك مكتوبة على صفحة الزمن) - مجموعة حية لهذه الثلاثة الآتية : كل ما فعل ، وكل ما يفعل وكل ما سوف يفعل . فاعلم - علمت خبير - ان ذلك الكون الذي ترأه لنا هو فعلة - هو النتيجة والمظهر لقوة مبدولة . هو البحر العديم السواحل الذي من ينديعه تنفجر القوة - والذي في عباب حوخته تبحر وتموج القوة ذخارة منسقة منتظمة فسيحة

وأن تتعزات مجات الحمد وعادياته . وسابحات البناء وسلاوته . من
 رفيع مقامه في ذروة المجد الشامخ . وذؤابة الحسب الباسق
 الباذخ ! ما دعا عسانا نقول في رجل حملته الامة امانتها فأحسن
 الحمل والاداء . وزجت به في حومة النضال عن حقوقها فأجاد
 الذود وصدق البلاء . أولم يدفع عدلى بحر وجهه الكريم ما أرادت
 بريطانيا أن ترمي به وجه الامة المصرية من آيات الخسف والهوان
 ممثلة في ذلك المشروع الذى رفضه هذا الهام فكفى بذلك أمته
 غضاصة منافسة المشروع والنظر فيه ؟ أولم نبعث به مصر فى تلك
 الفارضة نائبا عنها وممثلا فكان خير عنوان على مالها من نبل
 وكرم . وأتفة وشمم . وشرف رفيع . وعز منيع ؟ أولم تكن طلعت
 الوضاء البلاء . وغرته الوضاحة الزهراء . صفحة صدق تتألق
 بنور الامة والاخلاص ويسطع فى جنباتها رونق اليقظة والايمان
 ويتفرق ماء الحياة والعفة والزاهة ؟ أولم يقرأ الانكليز أنفسهم
 فى أسارى جيئته الأغر . سطور الحزم . والعزم . والحلم والرفق
 والحكمة والحذق . والمضاء . والدهاء

ألم ينتشل عدلى بأشأ الشعب المصرى الكريم من وهدة
 الضعف والفتور التى كن القاء فيها دعاة التخاذل والتواكل وبغاة
 التفرقة والانقسام ؟ ألم يستنقذ عدلى بأشأ ، ته المجيدة من حضيض

الدواني والاسترخاء الذي كان اعبطه فيه بحار الفضل والحرية
 وروحوا شاطات السوء عن الوفد الرسمي الذي اثبتت مآثره
 وحسناته أنه كأكرم وانبل من اتحدت أمة للمطالبة بحقوقها
 والدفاع عن قضيتها . والذي سجل له للتاريخ أشرف سطور الفضل
 واسنى آيات الوفاء في أحد فصوله وانصاع صحائفه ألم يبيض عدلى
 باشا وجه أمته بما أحرز لها من النصر الباهر بموقف الشمم والاباء
 والعزة والكبرياء . الذي وقفه ازاء خشمها الالذ وقرنها العنيد ؟
 ألم يفهم الانكليز أن الذي يرفض مشروعهم ينتهى الالفه والنخوة
 والاباء هو الأمة المصرية بأسرها ممثلة من شخصه الكريم في مرآتها
 الحماكية بمجموع نزعاتها ورغباتها وامانيها وعواطفها . وفي لسان
 حالها الناطق باخفى ما يحنه ضميرها وادق ما يمكن في خبايا
 سريرتها ؟ ألم يكن في افهامه الانكليز هذه الحقيقة وتقريرها في
 اذعائهم مازع من مقام الأمة المصرية في عيونهم بعد ما اسقط
 منه ظهورها في انكر مظاهر التفرقة والانقسام . ألم يكن
 في مجيد عماله هذا ما اعاد الى قلوب الانكليز تلك الهيبة واخشيعة
 التي كانت اوجدتها ثمت الأمة المصرية بفضل ما اظهرت في بدء
 حركتها من روح التضامن والاتحاد والتضافر ؟ ألم يشرف عدلى
 بموقفه العظيم ومآثرته الكبرى أمته العزيزة ودعلى قدرها ويرفع

ممتزعة غير وانية ولا فثرة - وانها كغيرها من السعوب الغريبة
مندفعة بحكم السنن الكونية والنظم الذبيعية في سبيل النهوض
والنقد لاخذ المكان المقدر لها زايافى مراى الحياة ؟

كذلك فى سبيل الحق والحرية صاح عدنى كن صيخته
الى اسرعى بها مسامع أمانه وأتمتها من غمرة الناساخن والنطاحن
الى تلك الحقيقة الكبرى . وهى ان كل نزع بين أبناء الامة
مؤثره عايق . ومنه حصص يتوزع بين فروعها .

ونك قواها بتوسيع الخرق بينها وعدم كين وحدتها . وتزيق
سفوفها بردد سهاها بالوحدة اثر حصصه فى نحره هى وتزيق
مجهودتها بالردونه . وروى فى حقيقة منه .

يا احب قلوبى من سمج سميتا . ريتا رك
هذا وكبر . تجمع بدناك كيه . وكم . وروب .

أزري . وراى ان تها جند . من طمته حائمة . وراى . نزع
خز . وراى . وراى . وراى . وراى .

سوف . وراى . وراى . وراى . وراى . وراى .

ان امرت . وراى . وراى . وراى . وراى . وراى .

لن نجد التاريخ بدأ من أن يسجل له هذا الفضل على بلاده ولا
من وضعه في مصاف الأبطال متقدي شعوبهم ومجري أوطانهم
— أمثال شمشون إلا أنهم تغلبوا على دليلة « الختل والتدعية » فلم
يستطع قهرهم واذلالهم .

كل هذا صنعه عدلى لامته . ولا عجب فانه عظيم وقوة
الرجل العظيم وحوله تدعّم أرض الله وتوطد أركانها . وبهمة الرجل
العظيم ونجدة يثل عرش الظلم ويشاد صرح العدالة وينجاب
غيوب الباطل ويسطع نور الحق . وبمكارم خيمه ومحامد شيمه
ترق حاشية الزمان ويخضر عوده ويورق . ويخضل روضه بشدى
الخير ويتفرق . ويشرق صمّوه بسنا الصفاء ويتألق . خياك الله
عدلى يكن ! لقد طاب في كنفك العيش واحلولى . واقترعك
مبسم الدهر وتلالا . وقد حسنت بك الدنيا وملحت . وتأرجت
بمبير ذكرك ونفحت . وقد شربنا بك ماء الحياة كوراً . ونشقنا
نسيمها عنبراً . وانتمعنا غيثها ثجاجاً . وتوسدنا جناها أنيق الروض
مبهاجاً . جزاك الله أحسن الجزاء عن أربعة عشر مليوناً من عباده
رفقت بالمر هامهم . وثبت في مدحضة المعترك العنيف أقدامهم .
وطهرت بحيفة أعراضهم من كل شائبة ووصمة . وتقيت أديم
أحسابهم من كل ريبة وتهمة . وبعد فان ما تركت هذه الجلى التي

علونا عبداً وفيها حقها من الحمد والشكر ليست لعمرك أخرى
 ما نورك . وإن تكون بحال ما خاتمة مساميك ومفاخرك . بأن
 لك ذلك فرط حبك لبلاك وعطفك وحنانك على أبنائك
 الذين هم أبنائك البررة وصدق وحنانك العميقة . وحنانك العميقة .
 وشدة اخلاصك لوطنك وتغانيك في خدمته والتذكير بتضحية
 الأحرار والأقصى في سبيله . وإثباتك إلى ركوب الصعاب .
 واقتحام العقاب . واعتساف الأوغار . ومغامسة الأهوال
 والأخطار . من أجل الدفاع عنه وصيانة حوزته . وحماية بيمته .
 تقول لم تنته بعد مساميك في صالح البلاد ولم تترك المسرح لغير
 رجعة . معاذ الله أن يكون ذلك ومعاد همك البعيدة . وشيمتك
 الحميدة . وحاشا لعزتك الشماء . وحنانك الذكية الروعاء . أن ترى
 على سكونك هذا إلا خفاق الجوانح على وطنك راجف الاحشاء .
 فما كانت روحك الكبيرة السامية . ونفسك الجياشة المتوقدة
 لتسكن في هذه الآونة إلا تأهباً للحركة وتحفزاً للتوابع .
 وانكماشاً للكرة إلى الميدان متى أهابت بك النوب والخطوب .
 بل أراك في عزتك الزهنة لا تزال ينبوع أمل وقوة مواطنيك
 تنفث فيهم روح اليقين والثمة والرجاء . كأنك زودق النجاة لا يبرح
 باعثاً يرد الضالين في ركب السفينة مهاطئ الموج من حولهم

واصطخبت الانواء .

هذه كلمة حق . وثقنة صدق . ارفعها اليك يا صاحب الدولة
في عزلتك السياسية اعبرها عما يصمره لك ويعلمه من آيات الحب
والولاء أهل وطنك أجمعين الذين لم يبق فيهم - بعد موقفك
المشهور ومقام دفاعك المأثور . في قضيتهم المقدسة - فامط لحقك
العظيم . منكر لفضلك العميم . ألا جاحد عريق في الجحود .
يحمل مكان قلبه أجمع جلود . يقيم الطبع مريض الذوق ينكر
من علة صنوء الصباح . ومن آفة خلاوة العذب القراح . وما
أحسب أن مثل هذا المخلوق يوجد بين مجموع الشعب حماء الله
من أمثاله . وصان أديمه النقى من وصة خلاله . وما أراني بدد
يا صاحب الدولة قادراً على الوفاء لك بواجب الشكر . وليس في
لك بهذا إلا صلوات المليك في السور .

نرجع الي ما كنا فيه من أمر انقسام الأمة في الرأي والمذهب
الي قسمين أزاء تصريح انكنا العظيم الشأن بالغاء الحماية والاعتراف
لمصر باستقلالها التام وأن تكون ذات سيادة في الداخل وفي
الخارج وذات برلمان ووزارة مسئولة أمام البرلمان . وحصر
الخلاف بين المماكتين في النقط الأربع للمروفة واعطاء الحق
لمصر في بدئها مفاوضات مستقبلية تدخل فيها مع انكنا مزودة

سلاح الاستغلال مطلق من فيد الحيلة لكي تسوي مع بريطانيا
في تلك المفاوضات القبلة قضية بلادها النسوية الثامنة - وكل هذه
للثام والادباح والمزايا نالها مصر دون أن تدفع فيها ثمنًا من تعيد
أو تعهد أيا كان .

تقول أزاء هذا الحادث الجليل انقسمت الامة من حيث
الرأي والمذهب الى فريقين - فريق التيمن والتفاؤل وفريق التطير
والتشاؤم . وقد ذكرنا أن هذا الاخير قد بنى تشاؤمه على مايزعمه
من سوء عقيدته في بريطانيا وجرأتها على خفر الذمم وتقض
المهود واخلاق اليهود . وقد حاولنا في الصفحات السابقة أن
نثبت لهذا الفريق أن انكثرة اليوم هي غير انكثرة الأمس
وأن تعدد الثورات والاضطرابات أثناء السنوات الاخيرة في
ولاياتها ومستعمراتها قد اثبت لها بأنصع البراهين والأدلة . ان
الامم والشعوب ليست أشباحا ولا تماثيل تتصرف فيها كيفما
شاءت وشاء لها روح الاستبداد والمطامع الاستعمارية ولكنها
نفوس وأرواح كاخواتها ساكنات البلدان القرية والبلدات
الاوربية - مستمدة مثلها من روح الله وينبوع القوة الأزلية -
وانها بذور الله قد عرسها في أرضه منطوية على جوهر الحياة
وعناصر النمو والتفرع والسمو في جو الله الى حيث تنسجم في

وخذعها - ان بريطانيا قد آمنت بحقيقة تفاور الامم الشرقية
 وصدق نيتها على القضاء في سبيل الجهاد لاحتراز حقوقها السلوية
 مما كلفها ذلك - حاولنا ان نثبت لهذا الفريق ان الحرب الكبرى
 قد خلقت في العالم جوا اجتماعيا جديدا مموها بعمى مل جديدة
 كن من شأنها ان أبرزت في سطور من النور والنار تلك
 المبادئ التي حسبها العالم جديدة وانها مقدمة قدم الدهر والطبيعة
 ذاتها، والتي كان قد حجب سطورها كبير وقيل ما كان قد
 وكبها من غبار الفتور ولتوني وحجب سعة وترحة وترخي
 - عني تلك المبادئ التي راجت وسادت عند هذنة كاقول بتحرير
 الشعوب وتفويض الامم في حكم ذاتها وتقرر مصيرها

حده - ان نثبت لهذا الفريق ان حرب كبرى حتمت
 هذا الجو الجديد المموه بهذه المبادئ الجديدة القوية - وان
 هذا الجو وهذه المبادئ قد نبتت من مخم الامم والشعوب
 وتوحدت من عزمته، تتحدث بكثرة من حركة
 ...
 ...
 ...

حاولنا أن تثبت لهذا الفريق أنا - كـ بعض تلك الشعوب التي هبت في وجه بريطانيا تطالبها برحقوقها المسلوبة قد صدمنا بريطانيا ثلاث صدمات عنيفة : « حركة عام ١٩١٩ » و « مقاطعة لجنة ملتر » و « قطع الوفد الرسمي للمفاوضات » ايقظنا بها بريطانيا من غفلتها أو تغافلها وزعزعتنا بها أساس طمأنينتها وهدوئها وارجفتنا بها قلبها وبدلتها بالامن حذراً وبالاستهانة استعظاماً وبالوقار خفة وبالاتمئنان وجلا

وبذلك استطعنا أن تثبت لهذا الفريق ان كثرة اليوم ليست ان كثرة الامس . وانه باعتبارها أمة تفهم وتعقل و تحرف الخير من السر والتمر من الجمر وتشارك سائر خاق الله حتى الاطفال والحيوانات في الغريزة المشترك فيها كل الاخلاق والتي عاينها مدار الحياة ونظام الكون والتي لولاها ما حملت قدم جسد ولا احتوى جسم روحاً - أعنى غريزة النفور من الأذى والهروب منه الى خير - تقوى به باعتبار بريطانيا هكذا وبالنظر اليها في هذه الصورة الطبيعية الحقيقيه باعين المجردة عن الاهواء المتتبعه من الحق وموقع آثاره أين كان وكيفما كان - لا يسعنا الا أن نراه قد عبرت من سياستها وبدلت من خطتها - وأنها قد وقفت اليوم بما موقفاً خلاف موقفها بالامس (لا يمكن

أليس الأجدد بنا والأضمن خيرنا وفلاحنا أن ننظر الى
هذا الاستقلال في أول ادواره كبا كورة أعمالنا المجيدة وبادة
مجهوداتنا الشديدة . وانه مولود نهضتنا العظيمة الذي ما برح
يتكون في احشائها أزمان الجمل العسيرة - وانه نتاج وطنيتنا
للمقدسة التي جعلت تتمخض عنه تمخض البحر عن دره ومرجانه
والكنز عن تيره وعقيانه . حتى اذا التقى به الحظ في حجورنا
ذخراً نفيساً وثمرة مباركة كان من اوجب الواجب علينا أن
نبتهل لله شكراً ونرحب به ونهلل تحية اطلعته واستبشاراً -
بفرته قائلين مع الشاعر

يمن الله طلعة المولود وحباً أهله بطول السعود
ما اتنا لا نظرب ونفرح بهذا المولود الجديدي . ما لنا لا نحمد
الله عليه ونحوطه بالنفوس والنفائس . نعم نعمل على تربيته وانماه .
وترقيته واعلامه . حتى يباغ أشده . ويستكمل قوته وأيده
هذا الاستقلال الوليد انما هو جذوة مقدسة اقدحتنا يد
الشعب بزناد الكد والجهاد واستنارتهم اماول الكفاح والجلاد
من صحرة الجيروت والاستبداد . فمالنا لا نحوط هذه الجذوة
لمقدسة وما لنا لا نشبها ونـ كيها ، أفا من همنا الصادقة
رياح عزمنا الدقية حتى يتلهب سناها ويسفع شعاعها فيخرج

البلاد واهلها من ظلة الرق الى ضياء الحرية
ان استقلالنا في هذا الدور الاول ليس سوى هلال الحرية
في اولى منازلها . فانا لا ننتظر به النمو والزيادة وما لنا لا نرقب
له الكمال والتمام . وما لنا لا نقول مع الشاعر
مثل الهلال بدا فلم يرح به
صوخ الليالى فيه حتى اقرا

ومع الآخر

ان الهلال اذا رأيت نموه

ايقنت ان سيكون بدرًا كاملا

وهبونا لم ندرك الغاية . اقلن نضع اقدامنا على قامة السبيل
المؤدية بالثابرة والمصابرة الى ثغاية . انا تلك اليوم فوهة المسلك
الواضح المستضيء بعد طول الخبط في الاوعار والديحى . أم يعتر
الفريق بين طفوه في غمرة الكرب ورسوبه على لوح النحاة .
ولو ضعيفا . وعلى عود 'سلامة' . ولو ضئيلا . أو تخرج السفينة
من منطقة الخوف والخطر وان لم يزل بينهم وبين انس حل
عبيب وغمر يحس خوضها وافتحامها الى حمال المشاق والمقاعب .
يقول الفريق لما شئتم ان بريطانيا تضمركم في سريرتها
خفايا . وتكن لنا دهر من وخبيا . فبذلك من حذر فوه . ذا

وماذا اضعننا بقبولنا ما نزلت عنه انكثرا وما صرحت به من هذا
الآلاء وهذا الاعتراف ؟ هل بذلنا في سبيل ذلك شيئا من
حقوقنا أو تخلينا عن شيء من مطالبنا ؟ هل اعطينا بريطانيا في
مقابل هذا العربون الجسيم ثمنا ؟ هل سمحنا لها ان تأخذ علينا ادنى
تعهد أو تقيده ؟ كلنا يعرف الجواب على ذلك - كلا !

وبعد فهل نسيتم أو غاب عنكم ان ما تحقرونه اليوم بل تنقمون
عليه من ذلك التصريح المتضمن إلغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال
قد كان يوما ما انهى ما تطمح اليه اخطاركم يوم كان الوفد المصرى
لا يتمنى على بريطانيا - عند بدء دخوله للمفاوضات معها - امنية
اجل واعظم من مجرد اعطائها اياه وعدا بان يكون اللغاء الحماية
ضمن ما تعرف به لمصر ثمة المداومة في ذلك اليوم (وايس
للعهد ببعيد) لم يكن لوفد لمصرى ولا أي مصرى كائنا من كان
يحلم أن في استطاعة الاقدار ان تستخلص من بريطانيا العظمى
عزيمة إلغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال مبدئيا وقبل
الفاوض كمرور بلا عن وكادة تهديد وتوضئة لهم وصت
المقبلة.

انسيتم يوم كنا نسرّب باعناقنا التي قصعها ثلثها وتطو
بابصارنا التي ارمدها السهاد اذ نحن في مضى اخيرة وقمار اليأس

— الى ذلك المنهل المنضب — منهل الحرية — الذى كان ممنوعاً منه
باسوار الحماية المسلحة واسلاكها الشائكة — وقد اذبل المعطش
اسلات السقنة — يوم كنا نتوق ونتلف على رشفة من زلال ذاك
للنهل الشبى — أم نسيتم ونحن فى دياجير القنوط كيف كنا نتشوف
الى شعاع من ذاك السراج المنير — سراج الحرية الذى كان يطمس
سناء ضباب الحماية وادجائها المتراكمة الكثيفة — فها نحن اولاء نسير
فى وضوح السراج المنير . وننتفع الغليل بعاء الحرية النير . فامعنى
هذا التسخط والتذمر . وماذا تريدون بهذا التأفف والتضجر ؟
وما هذا القال والقال والقليل ؟ والصراخ والعويل ؟ والتعريض بآبناء البلاد
والتضليل ؟

نفبرونا — بميشكم — ماذا كنتم فاعلين لو أن هذا التصريح العظيم
« بالغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال ، جاءكم فى ظروف أخرى
وعلى أيدي آخرين (يوم كنتم لا تحدثون به أنفسكم ولا فى
الاحلام — يوم كنتم تمدون ما هو دونه بكثير منة عظمي ونعمة
جلى — يوم كانت أقصى أمانيتكم أن يكون هذا الانقاء وعداً
موعوداً لا مرة حاصلة) — ماذا كنتم فاعلين اذ ذاك ؟ أهناك
أدنى شك فى أنكم كنتم تملأون الارض والسماء تكبيراً وتهليلاً
ونشيداً وترتيلاً . وتحرقون البحور فى الحجامر اقامة لشعائر

التقديس الذين ساقوا اليكم للغم العظيم . وتأدية لمناسك العبادة
للالهة الذين غمروكم بالفيض العميم . أما كنتم تقيمون الصلوات
في المحراب . لاولئك الارباب . أما كنتم تهزون أعواد المنابر .
اعلاناً لمفاخر اولئك الاكابر . اما كنتم تنحرون النحائر .
وتدقون البشائر . وتوقدون الشموع . وتزينون الربوع . أما
كنتم تقطعون الخناجروتمزقون الرئات بالهتاف حتي تصبحون
خرساً . لاتطيعون الكلام الا همساً ونيساً . أما كنتم تمنلون
في عرصات القاهرة رواية البعث والنشور اذ تحشرون قبائل
وشعوباً في صعيد واحد متزاحمين متدافعين متكديسين اكداً
مشتبكة متلاحمة - جبلاهاثلاً من الانسانية الهائجة المائجة وصرحا
مردا من الجماجم ليس فيه أدنى ثلثة ولا فرجة
فلو حصبتكم بالسماء سحابة

لظل هليكم حصبها يتدحرج

سم تخلمون كل عذار وتندفعون في كل تيار مطلق طوفان
الفرائز الحيوانية من محاسن التؤدة والزناة . مرسل سيول
اللزعات الشهوانية من قيود الورع والرسالة . ساعين لعنصر
التراب والحمأ المسنون فيكم أن يتغلب على عنصر الروح الالهي
والنور السماوي — كأنكم كتلة جسيمة من الفوضى يطل من

يبصر فرط اضطرابها وتشوشها واختلاطها لا يكاد يصدق أن
 في استطاعة القدرة التي خلقت نظام العالم العجيب من عالم السديم
 المشوش أن ترد هذا البركان للتطايير اللحم والشطايا وهذه الزوبعة
 المستطيرة الشرر والصواعق وهذا الزلزال البادى في أشنع صور
 التخريب الذهني والتدمير الروحاني - إلى سيرته الأولى من الحياة
 الهادئة المنظمة وصورته المهدوءة من مظاهر الانسانية المهدبة .
 وبالاختصار اما كنتم تجدون عهد ذلك اليوم المعروف
 ٥ ابريل ١٩٢١ الذي يسجل على ترمومتر الحياة الاجتماعية أعلى
 درجة حيوانية الانسان وأخفض درجة لروحانيته ويقدم
 أصدق مثل تاريخي على أصل طباع آباء البشر ساكني الكهوف
 وقانهى الوحش في نفوس ابنائهم هما قدم العهد وتطاول
 الأمد .

اجل قد كنتم تفعمون ذلك وفوق ذلك لو أن غنيمه هذا
 التصريح بالغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال التام جاتكم في ظروف
 أخرى وعلى أيدي آخرين . فإياكم اليرم لانصنعون عندهم مشار
 ما كنتم صانعيه ذلك ؛ بل ما بالكم لاتكتفون بمجرد اظهار
 الارتياع والانشراح . بل بمجرد السكينة والنبات . بل بلزوم
 سنة الصبر الجميل حتى تروا عواقب هذه البوادر وتنتج هذه

البشائر . فان لم يكن هذا ولا ذاك فاماكم مجال للمعارضة الشريفة
 في صفاء جواهر الهدوء والحلم اللذين تقتضيهما سنن الجدال وقوانين
 المناقشة - راثنين بنفوسكم عن مواقف التفرير بالشعب والتضليل
 وعن خبث مواطن الارجاف والتهويل وعن مساف التشنيع
 بالوزارة الدستورية الساعية الى خير الامة الممثلة لأمانها بالاذلة
 اقصى الجهد في تنفيذ رغبتها - وعن خسة مهابطة لا تنقص منها والنيل
 من كرامتها وتوجيه كاذب التهم نحوها وترويج سوء الظن بها مما
 يفسد اذهان الشعب الذي تدعون انكم قادته وابداله الذائدون
 عن حيائه ويسم عقيده ويضل رأيه ويعطس على نور بصيرته .
 ما بالكم تحاولون باخذاء جذوات الأمل في النفوس وابدالها ظلمة
 الياس تنبيط الحمم وقل الذرائع واقعاد الامة عن مواصلة السعي
 في سبيل الجهاد أو تحويل ذلك السعي في شر السبل واشدها
 وبالا - اعنى سبيل المشاحنات الحزبية والمطاحنات الفرعية
 وتقاطع الارحام والصلوات . وتدابر الخلالن والبقات - ذلك
 السبيل الذي طالما اغريتم الناس بسلوكه فلم تجدوه يؤدي
 بقضية البلاد الا الى شر غايات الفشل واحرج مضايق
 الكرب وأوخم مراتع الخيبة كما قد شاهدتم أن نذير الخطر
 كلما كان يصيح بالذنب محذراً الاسترسال في ذلك

السبيل سبيل التنايذ المقنوت والامعان في شعابه
داعياً الى الرجعة لسبيل التضامن والاتحاد فيطيمه الشعب
جامعاً كلمته حاشداً صفوفه - ادبر الشر والطلاح . واقبل الخير
والفلاح . وابرمت روح الاتحاد من أسباب القضية ما كانت
آفة التفرقة قد نكنت وتقضت . ووثقت عزة التضافر من
أركانها ما كانت ذلة التخاذل قد هدمت وقوضت . فأشرق نجمها
بمدافول . وأورق عودها بعد ذبول . تقول لقد جربتم هذا
وذاك ولقيتم من الخطتين النعمة والمصاب . وذقم من الكسبين
الشهد والصاب . فهل انتفتم بتجارب الزمن . وحنكتكم
تقلبات الدهر بين نم وعن . وهل فقهتم الصروف . وفطنتكم
فلونات الظروف . وهل سبكتكم نيران الكوارث في بوقه
التحيص والتهديب . وقومتكم أيدي الحوادث بقاف الاصلاح
والتأديب . أم وجدتم هذه الموى والموامل بمعزل عن ندائها
وبمنقطع عن صوت دعائها . فكانت انما تحاول في هدايتكم
تحريك الجبال . وسكين الرلال . وضبط هوجاء الرياح ..
واسكت العارض السحاح . وكأن موقع وحيا وتماليها من قلوبكم
موقع الرقم على صفحة الماء . والنقش في أديم الهواء . وكذلك لم
تجد هذه المؤدبات الالهية . والمهدبات الطبيعية . من ينكم الا

كل نافر شرود

جامع في العنان لا يسمع الزم ر ولا يرعوى الى الرواض
فلأى قوة في السكون يرضخ من أبى الرضوخ لاستاذ
التجربة ولأى ارشاد ينصت من لم يصنع الى وحى العواقب .
وأى درس يحفظ من أهمل درس الاسباب والنتائج . ولأى
صوت يأذن من أغلق سمعه دون صوت الطبيعة . وبأى مصباح
يسترشد من أغضض طرفه عن سراج الحق . وبأى شئ في هذا
الوجود يصدق ويؤمن من خادع نفسه وغالط ذهنه في الواقع
المحسوس والحقائق للموسة ؟

وأى انكار للحاصل والواقع أشد من انكاركم لتلك الحقيقة
الكبرى التى أصبح ببصرها الضير ويسمع وقع آناها الاصم
ويكاد يتحرك لها رومات الاموات في قبورها - تلك الحقيقة التى
بتنا نتقلب فى مضاجع راحتها ويزاعطف نعماتها ونجنى باكورة
ثمارها يانعة جنية : من نحكم فى اورنا وتصرف فى ادارة شؤونا
وقبض على ازمة السايضة فى حكومة بلادنا وتأسيس برلمان
كأرقى برلمانات العالم دستورية واحسنها نظاما ووزارة مسؤولة
أمام ذلك البرلمان قد قام رئيسها الجليل نروت باشا يرحم للناس
على حسن نيتها وتقدم لهم أمثلة صادقة من مبدأ مسؤوليتها بما

قد جعل يلقيه علي اللأ مرة بعد أخرى من خطبه الرائعة المملوءة بروح الديموقراطية مما لم تهده البلاد قبل اليوم من أي وزارة هامت بين ربوعها أو رئيس تقلد زمام الحكم فيها . ثم بتنفيذ نصوص هذه الخطب بالاعمال الجلية والنتائج العالمة .

أي انكار للواقع للموس أشد من انكاركم الفناء الحماية بعد ما أعلنت ذلك بريطانيا وصادق عليه برلمانها وكساه الصورة الشرعية والصيغة الرسمية وبعد ما أمنت عليه دول العالم وهلت له وصاحت وتواردت به التهنات تطير أجنحة البريد وتهفو على ساريات اروق . كانت تشترك في اعلاها الطبيعة ذاتها فتتهامس بنجواد الرياح ويمضي بشراد المساء للصباح . فتقولون بعد كل هذا انه ما حدث حادث ولا تغيرت حال . وانه

تخدر من واحد مائة سنة استمع اذ عدت ولا عرب موصون ناسي لا سمعهم وريين الى طرياقها
كلام في كلام ووضف أحلام ورماد يدرفي الاجفان وتخدر أعصاب وشدن فبحقكم هل كنتم قاتلين ذلك لوسيفي اليكم هـ ربح مصيبة على أي آخري أم أتم لانقرهون بانفضل ومقدرة لا د نخدر اليكم من طارق محصوص محبب اليكم ولا تتحدثون بالعلم الا رجاكم في علاف معين مبصومة

بمارة معينة لفابريكة معينة لا تعرفون غيرها ولا تعرفون بسواها
ولا تؤمنون الا بها ولا تأخذون الا مصنوعاتنا - ثم المقاطعة
التامة والويل والعفاء على البضاعة بمينها اذا صدرت عن فابريكة
أخرى تحمل مارة أخرى - فأنتم انما تعنون بالواسطة لا بالنتيجة
وكل ما به حكم هو الرى لا الكائن الحى للشتم له واوعاء لا المناع
للمنطوى تحته ومن كان هذا شأنه متعلقاً بالاعراض دون الجواهر.
منصرفاً عن مادة الحقائق الى هباء المظاهر . كان يعيش فى عالم من
الخيالات والاحلام . ويقلب فى جو من الاكاذيب والالوهام .
وان تشأقل عنه ولا حرج انه لا يجي ولا يعيش ولا يكون ولم يكن .
ليت شعرى ماذا نقول للذين يستقبلون نعمة الله بالسخط
والنقمة ويلقون فضله العظيم بالاستياء والاسف ليت شعرى
ماذا نقول للذين يلقون وجوه اليمن الضاحكة بوجوه مريدة
عاسه . وينفرون من عرائس النعم المرفوفة عليهم باعطاف
شامسة . أفلا نقول ان الطبائع البشرية قد انعكست فيها فدواعى
السرور اسحوهم وبسائر الصفو لسحيهم . وابساس لامل
يورهم اقباض الياس وأسباب الطمانينة تنير فيها هواجس
'لوسواس . فأى فائدة رعى من أمثال هؤلاء لصالح العالم
عامة ومنفعه أوطانهم خاصة أى فائدة ترحى منكم امن هذا

حائبهم وديبتهم سوى انكم تعملون على اماتة الامل ونقض
العزائم ونكث الهمم . تكذبون الصفو . وتمكرون الصحو .
وتجسدون السلس . وتخشنون الاملس . وتوهرون السهل .
وتعظمون المنجل . وتثيرون على رونق الاماني المشرقة غبار الضجر
والتبرم . وتعقدون دون كواكب الرجاء غيوم النواير والتشاؤم .
لا تنفكون تقيمون مناحة جدية . على مصائب وهمية . ثم تجعلون
تشاؤمكم هذا دليلا قاطعا على صدق وطنيتكم . وتسمون انكاركم
لواقع المحسوس واقامةكم المقبات في سبيل تقدم البلاد الى غايتها
المشودة عنوانا على فرض اخلاصكم وشدة تفانيكم في خدمة القضية .
نخبروني بربكم أهو الاخلاص والتفاني الباعث الحقيقي الذي
يدفعكم الى اتيان ما نأتون من المعارضة في الواضح المستنير . والمكابرة
في انكار ما يراه الاكبر والبصير . وهل حقاً تعتقدون في صميم
افئدتكم انكم أنتم وحدكم مصوون وان فريق التيمز والاستبشار
هم المنافقون ؟ وهل حقاً في صدوركم وحدها يتأجج لهيب الوطنية
وعلى قلوبكم دون غيرها ينزل وحي الوطنية وهل الوطنية لم تضرب
في مصر ذريرة ركة مدمرة . ولم تحذف في سوى جوائحكم منسكها
ومحاربيها . ولم خالفكم مداره يدافعون عن قضيتهم . ولم تجند
غير عسكر بذواتهم من حوزة اهل مصر هي لم تعشق سواكم

ولم يهتم قلوبها بالكم. وهل كل من عداكم خونة غدرة وفجرة كفره
وهل أنساكم حب الوطنيه اغراضكم الذاتية وما ربحكم
الشخصية واذعكم عن طلب الجاه والمنصب والرياسة والهاكم
عن الولوع بمطامير الالهة والفخامة والرهامة وهل صرفكم
الشعف بالوطنية عن الشغف بهتاف الناس لكم في كل شهر من
الأرض والمناداة بأحيائكم وبمخلد ذواكم السامية العلية .
في هذه الدنيا الفانية الدنية وباسقانا ضدادكم وبعترتهم وتكفينهم
ودفعهم

واذا كان ذلك كذلك فهل من حق الوطنيه عليكم ان
تخذلوها في ادق ساعاتها واشد ازمتها بمحاولتكم صدع الشمل
وعدم البناء وتمزيق الوحدة وتفريق الكلمة بفسس معالم الحق
الابلج . وترويج الباطل الاجلج . وادالهمم والعزائم من مواصلة
السمي الى الغاية المقصودة وصرف الامة عن الاخذ بالعروة
الوثقى وانتهاج الخطة المثلى والانتفاع بما ساه اليها الحظ من
الادباح وانعام واستثمار ماتنازل عنه الخصم لمصلحتها من الفوائد
والمزايا وعن مضاعفة حوصلها وقرتها باستخدام ذلك السلاح القوى
الذى استفادته أخيراً بفضل مساعي الوزير الكبير ثروت باشا

ما يستثمرون . فاحتكروه وحدكم واستأروا به وامنموا منه
خلق الله قلن تستطيعوا أن تحسنوا الى الناس اكثر من
'حسانكم عليهم بمنع ميل هذه 'الوطنية السامة' من السريان
في كيانهم الصحيح للعافى ولا ارى كفارة لجريرة اختراع مثل
هذا الصنف من الوطنية افضل من قيام مخترعه بسحيله واحتكار
'مميزه' نفسه دون غيره وما يستعيبه ذلك 'الاحتكار' من صيانة
خافى الله الآمين وعباده الصالحين من سروره وآفاته

الوطنية المحضة الصريحة الجامعة الصادقة لا توحى بأمثال
مدد النعمال ولا تنرى بانتهاء تلك المسالك انها أبلى مقصدا
راكية نزع من أن تأمر بغرس دور الاحقاد والخضرة في أرض
والله يدافع عن ا . . . واحد وتريق "كلمة
وبدله الصفوف وفوط المقعد وقسم العرى هي قد تهمر
'ال'ة لا يمكن بالمطامنة الدورية "ال"ة الواقعة في حدود لرفق
ر . . . لا بد من كلمة "ال"ة . . . على فضل
ر . . . حين "ال"ة في . . . والبنتيب
من راض اصدية رمدم . . . حجة الجامعة .
ر . . . أسباب البرعين . . . يتحدد عن رائب
ف . . . واتهمه عن عوامل لا هواء والتحق متناقب الكرم

والعفة والحياء ودمانة الطبع ورقة الجانب ولين العريكة وسجاجة الخلق - أعنى كل ما ينحصر في مدلول تلك اللفظة المفردة الانكليزية الى اصطلاح على تعريبها بلفظة « الرجل للهدب » . فالعارضنة - تلك القوة الهائلة التي تعد بحق من أقوى عوامل تنظيم الهيئات الاجتماعية والسياسية وأفضل الوسائل المؤدية الى حسن التوازن في كيان الامم والشعوب - يجب أن يكون القائمون بها من أفاضل القوم أعنى المهذبن الذين حاولنا وصف محامدهم ومنافقهم لا أن تكون سلاحاً في أيدي الطائشين الخرق المتهورين . ولا المتفاخرين بما آتاهم الله من قوة السواعد وجهارة الاصوات وصواعق الصيحات المنتشرين من خمرة الزهو والتيه والادلال بستدة البأس وقوة الفتك ونخوة الفروسية والحماسة الذين يهزون اقلامهم كما يهز مض الرحا "نبات والشوم - أو باختصار - لا يصح أن يسم سلاح المعارضة السريف الى «فتوات» السياسة لا يصح أن تستخدم المعارضة في تضليل السذج البسطاء من الجماهير والتغريب بهم ترويج الاباطيل والاكاذيب ونشر اشاعات السوء والاراجيف ونسبم الازهان باكاذيب التهم و"ظنون مما لا يساعد متاعل ذرة على خدمة القضييه ولا يتقدم بها شبراً واحداً نحو النجاح بل يعمل بالمكس على تعرضنا للخطر

الجسيم . لا يصح أن يتولى المعارضة من لا يهمهم منها إلا اتخاذها
ذريعة لخدمة الأغراض والامراء وهم يعرفون الحقائق ولكنهم
يتعاملون عنها نعامى البصير في الليلة القمراء ولا أن يتولاها
القفار النظر الذين لا يبصرون الحقيقة لما يحول دواليها من رجب
الأكاذيب والاضائيل . ولا أن يتولاها القوم البهاسون بأسنة
الاقلام وحراب المطاعن وعجز الكلام الذين لا يلذهم ولا يصر عينهم
الأزيرانية من المارة حيرة وساحة قمار غش ونها
يدماء الماطرين وناقشين نسباً على حبات الالهة وآسلات
يراطنهم من جراح الكرامات الداهية ومن كلوه الاعراض
المنلومة هذا وحده الذى يمرض ويستقيم وبدرنه لا يرعون ولا
يعلمون اطارق المطر والاسس والعتولة مما انفعونه أو
يميلون كثير الى سلوكه وليس لاهجنا عندهم جريح ورنه او كبريتية
وبدل ما هو اساسي ضرورى للمناقشة الحرة المعارضة النزيهة من
صفاء حوائدود والحلم والرياسة الضرورى لرضاء حنود الحق
وسطوح نجم الحقيقة تراعى كدود جوية لا ترضى بغيره ونهيه من
غبار الشغب والشر وبعقدون في ارجائه من دخان الاساءات
والاعتداءات بايم للمقال ومضاضه . وهذه الخلال امر الحق
ليست مما يجب المناقشة الى اربابها رذوى الرعاية فيها والافتنان

في اساليبها ولا بما يحمل ميدان المناظرة ذلك الندى المأثوس الذي
 يشتاقه ويرع اليه او لوالفطن والالباب بل هذه اخلال السيئة
 اجدر ان تبغض المناظرة والمناقشة الى من يرجون حل مشاكلها
 وانارة شبهاتها من ذوى الفضل والحسنى - اذ يرونها الى الصراع
 والملاكمة اقرب منها الى الحاجة . وبالجلاذ والطعان اشكل منها
 بالمباخنة . ويرون مجازها احق أن يسمى مأسدة ومسبة يتحول فيه
 الغنابات باهران وتصول بالانياب والمخالب . فليس يجرأ على
 ولوج بابها ودخول عابها الا من تحصن في الجنب الوامية .
 وسرلى لدروع اصفية وليس يخفى ما يكون لاداءه اهل انصاف
 والتمس عرشه مأسدة من خدر الجسيم على سلامة لقايق
 واللبادى بجمع شعة اقترخ لوقدة من النفاذ اليها والاشراق
 عليها وابرازها للعين في ضياء الخجج المنير والبراق الساطعة
 وذلك من ثمر ما يتولى به أمة محضنة متحمة مترسدة
 انما ولته من الحربة والاستعلاء في ظروف عصيبة ورهبة شديدة
 وجو مغيب مظلم تحلى فيه 'حجج' ما تكون الى الاستنارة استهب
 الافكار وروح الفطن من عقول اصفوة المختارة من نخبة
 ابنائها المحدين 'مواخ'
 نحن لا مصـ بهـ اسكلام الضعف في وطنية مصرى

كائننا من كان. لا نأ ننظر الى الوطنية نظرة اوسع واعمق مما اعتاد أن
يلحظها بها أولئك الذين يعدونها ضرباً من الحرف وصنفاً من الصناعات
والمهن يحترفونها فيقال فلان وحشي كما يقال فلان مهندس أو
طبيب أو اوامك الذين يعدونها حلية وزينة يتملح بها المتبرح المتأنق
فيقال فلان قد برح في الوطنية وحدها كما يقال قد تقوق فلان
في البلياردو او الرقص او اللى . ولكننا نرى الوطنية شيئاً عرق
من كل ذلك في كيان الانسان وتركيبه وأشد امتزاجاً بنفسه وراسخ
جدوراً في طبيعته وارباب اصولاً لا يدو الحقيقة ذقنا انها
هي بفعل مادة حياته وعنصر كيانه فهي ليست حرفه الا اذا كان
التفلسف ذاته حرفه وليست حلية الا اذا كان السعور والوانه ذاتها
حلية ولا هي ما يفخر به ولا يبيع به . مساجبه محبة دلالا
الا اذا صحن يفترحاً على حروبه ويرمى حرمه سبب
سوى انه حي يرزق وموجود تحت الشمس يستطيع ان يتحرك
وهضم والواقع ان لا رضى . الطبع ما لما هو مدنى . الطبع
وانى بالضعف وخرايى طبع لعدو ذلك من امر روعطر
المكون من مجموع . المحقوق المدهش يسمى . بل
أنى لاذهب الى ابعس ذلك وقول ان الوضوء . عنى فرط
تدبت الانسان وتعلقه بالارض اتى منها اس رنجه ليست

مقصودة على الموع الثرى بل مستركة مشاعة بينه وبين كافة
فروب الحيوان من لامة الى الفيل ومن الاسفنجة الى النسر -
كل لا يقر ولا يهـشـا في وراية ويهـشـا . بل ان النبات ذاته
وطى اذا نقلته الى - يروا : - في غير ما له ذوى ذابل
فأت .

أكبر من ذلك أن أوصية الكوبيا سريرة وبها
 كسائر الغرائز تفعل فعلها وتحرق شوقها مستقلة عن العقل
 لا أقول إن أفعالها عن مثل فرس لا يمشي دأباً ولا
 تتقن به حيل رستم - كبرياء - ذلك هي سريرة وحر
 من محاسن حكمة و... - لا يكون إطنابه راحة مبصرة
 ويمكن ذلك ليس من وثاقتها ولا من طبعها بصفها غيرة
 كما ترأر في لا - رتبه -

ازلى غير حاصص ---
ان ترى الوطنية مندومة في مجراها في غير صحة العقل بل ان قد
تسلك الوطنية مسلكا في غير صحة التعمود فيأتي الرجل المملوء
الوطنية من حيب لا يشعر انه صنع شيئا البتة والكر من حسن
عناية الله وتوفيقه أن لاهم الوطنية الانضمام الى العقل والاعتناء
تحت لوائه لأن العقل وحده هو البصر الناقب النظر وسقط

ظلمات الكون والدليل المبتدى بين مضالهِ ومجاملهِ وكل شيء سائر
في صَحبة العقل فقد ضمنت له السلامة وقدر له النجاح . وكل
ما لم يكن كذلك فقد تعرض المتألف واسهدف الهالك .

على أن العقل حينما يصحب الغيرة للمساواة الوطنية
لا مساحة في أنه يكسر من حدتها ويفل من سورتها لما يتعتم
عليه مراقبتها ونذيرها بالكبح من جاحبا وصددها في الأحياء
الكثيره وقدمه' ومع طغيانها وتوقفها عند حد الأمان وفي دائرة
السلامة فنصبح بلا شك - من حيث مبالغ قوتها وشدها -
أضعف بكثير من الوطنية المستقلة عن العقل الراكبة رأسها
للمائة على وحدها . وعنايتهم الناس بالمتور والترحال والربما
را . ما لمرت راحة وراحة . وما لمرت راحة . وما لمرت راحة .
مما في . وما لمرت راحة . وما لمرت راحة . وما لمرت راحة .
ر . ما لمرت راحة . وما لمرت راحة . وما لمرت راحة .
ب . ما لمرت راحة . وما لمرت راحة . وما لمرت راحة .
حرماً وحررة في . وما لمرت راحة . وما لمرت راحة .
وهيأ كل إرداد نصيب صاحبها من العلم والفلسفة حتى أصبح
الكثير من نوانخ العلماء والفلاسفة وفي مقدمتهم « جيتا » أعظم
حول الألمان يهتمون في وطنيتهم والحقيقة خلاف ذلك فإن

الوطنية في كلا الفريقين جوهر لا يقبل التجزئة والتقسيم ولا
النقص والزيادة وانما يختلف مظهرًا في الفئتين تبعاً لشدة اندماجه
ومغنيانه بلا رقيب ولا مدبر في الواحدة أو انطلافه في زمام
العقل وعنان الحكمة ومسراه في ضياء الرأي والبصيرة في الثانية.
وبعد كل هذا الكلام ارجوا ان أكون اقنعت من عساه
يكون قد اساء فهم مرامي فظن اني طعنت في وطنية فرد ما من
افراد شعبنا الكريم — اني ما قصدت البتة الى ادنى شيء من
ذلك ، بل الذي أقوله هو عكس ذلك كما حاولت انبه به بالبراهين
الآتية من ان نوعيته تظهر في فئة مدارضين على أشد ما بدت
فيه لوضعية منذ خلق العالم من اسطع الصور واعنف المظاهر
من كان فيها علة هلاكي الافراط والطنيان لا الفتور والضعف
وان كن بها آفة فهايتيك هي العنف والبطاش لا الاين والهودة
من كنت حـدـ عـيـهـا ـ يـتـهـمـ فذلك هو زيادة لا ائمه ان

وهو من الذين يدهيرون في فصل الوطنية عن مظاهر
التعقل من لالة والتؤدة ورفق والهودة بحجة ان هذه الاعمال
من شأنها تخفيف من قوة وطنية وتكسر من حدتها فتعوق
كثيراً وسبباً من فرت اندماجه وسدة اصحابها ان ما ترمى
اليه من تـهـرـيـف ـ يـتـهـم ـ قد قدّموا ان حتى وعات عنهم أشياء.

لأنهم نظروا الى الامر من وجهة واحدة ولم يستوعبوا سائر جهاته . وكذلك النظر الجزئى الى عظام المسائل جدير ان يضل صاحبه ويمى عليه الشئ الكثير من الصواب .

لقد مات هذا الفريق ان الفرائز والمواطف مهما شرفت ونبلت ومهما كرم غرضها وحسن مقصدها فانها اذا لم تحمل تحت رعاية العقل (الذى هو وحده منبع النظام وأساس سلامة الكون) يصبح مرضة الوهوع تحت تأثير آفة الآفات ومصيبة المصائب وادوى ادواء المجتمع والذ اعداء الانسانية — اعنى ذاء « الانانية » وليس هذا عمل الخوض فى هذه المسألة الكبرى وما اظن المجال ينفصح أو يسمح باستقصاء البحث والدخول فى الجزئيات والتفاصيل وضرب الامثال — على ان القارىء اذالقى هذا الكتاب برهة وراض المدمن على خص هذه نظرية جهد طاقته لم يبخل عليه بالجمل العديد من الشواهد والأمثلة المؤيدة لهذه القاعدة العامة — خدمتلا بسيطا : عاطفة الحب التى هي انزه انوعواطف في أصلها وطبيعتها وأشدها تضجيه و... من الانانية بل اتملها للانانية اذا تسربت اليها قوة الانانية فقدت تلك المزايا الكريمة والمناقب الحميدة — فقدت روح التضجيه ونزاهة وروح النفائى فى شخص المحبوب واصبح صاحبا الكبر اعنما ما بنفسه

منه بحبوه واشده عشقاً لدائه السخيفة السمجة منه لذات معشوقة
 وشغف واهيم بملاحات جماله ومحاسن دلاله منه بمفاتيح الحبيب
 فكل منايته واكثراته لذسه وكل عواطفه وشهواته تدور حول
 محور نفسه . ومن تم تصبح نفسه « السخيفة السمجة المقونة »
 هي الصنم الذي ينصبه ويخرله ساجداً ويريد معشوقته المسكينة
 على أن سجد له أيضاً ثم بدلاً مما يكون في حالة عاطفة
 الحب التزيه الظاهر من تلك الفضيلة الاخلاقية الاجتماعية
 الكبرى أعني روح النضحية السامية القاضية نسيان العاشق
 ذاته الغيابة واتجاه كل ملكاته وقواه وجهوده نحو خدمة النوع
 البشري بدلاً في شخص حبيبه وتمديد المجتمع الانساني مصوراً
 في هيكل معشوقه — ترى جميع قواه وملكاته قد انمكست
 نحو ذاته لمقوته فيظل يحسب أن نفسه هي الجوهر الوحيد في
 الوجود وان سر الكائنات 'عراض خسية وان كل ما في
 الكون من خلائق لم توجد ولم تكن الا لتسره وتلذه وتسمى
 في خدمته واسبح بحمده . لا يحسن القارئ أن في كلامي هذا
 شبهة من المبالغة فاقد رأيت بعيني رأسي كثيراً من هذا الصنف
 من العاشق ولا أداني مغالياً اذا قلت أن مثل هذا العاشق لا يعبر
 محبته من الاهتمام عشر معشار ما يبذله في سبيل انتقاء «دوس»

أو «مبأغ» أو «حمالة» أو في سبيل المقارنة والمفاضلة عند اختياره لون ثيابه بين «الكحلى» و«الكريم» و«الكاكي» ورأيت أن مثل هذا العاشق ينتهى به الأمر الى خسران محبوبه وخسران الصاحب والصديق والخلان. وكلما ازداد جمالا في عين نفسه ازداد قبحا في عيون الغير وكبر مقتا عند الخلق والخلق. نقول لقد فات ذلك الفريق أن المواطن والفرانز مهمما شرفت وبلت فانها عرضة للاصابة بداء الانانسة مالم تحصن برادع العقل والرأى. ولما كانت الوطنية كما بينا آفا عاطفة وغريزة فهي بهذا الاعتبار والحكم عرضة لداء الانانية - لا يقيها من شره سوى العقل الذى هو الدواء القتال للانانية ولنيرها من المواطن الخبيثة والشهوات الشريرة. لأن العمل هو القوة المدبرة المسيطرة على الكون. هو اس النظام ووسيلة الصلاح وعامل الرقى وهو الدواء المستأصل لجرائم الفساد والشر والفوضى. وهو سلاح الحق الذى لا يزال ينصر به في كل مظهر من مظاهر الحياة وفي كل ذرة من ذرات الوجود على جيوش الباطل. وبكاف الباطل والنبي والشر والفساد والفوضى لا تزال تتخذ من المواطن والشهوات أثوابا تلبسها وتظهر فيها وأدوات تستعملها في اغراضها ومطايا تركبها الى غاياتها المرذولة فلسنا نخطيء اذا قلنا

ان وظيفة العقل في هذا الوجود هي محاربة الشهوات والمواطف .
لذلك نقول ان الوطنية باعتبارها غريزة وعاطفة اذا نحت
عن مسقط اشعة العقل قام حولها من ظلمات الاهواء شريرة
تتكون فيها جرائم الانانية المنكرة وتظهر بظاهر شتى من
التعصب والاشيع والتحزب وما يستدعيه ذلك من التباغض
والشاحن والتحافد والتضاغن وحب الانتقام والنار ولذة التنفى
والشهادة .

هذه الخُل بالدقة هي التي تسود اليوم في فريق المعارضين
المتشاكسين - وطنية قوية تهتم لاشئ فيها ولكنها وطنية
مرتدية ثياب التعصب والاشيع مدفوعة بمواهل التحافد والتضاغن
ساقطة بسيف الانتقام والدأر - أعنى وطنية مساحنة بكامل عدة
الانانية وأصحابها - أو بعبارة أخرى - راقبة الى الحقيقة - انانية
مساحنة بحسب اوطية

الآن حسب القارىء - أدرك اننى كائن (المتنافضة في
- محرم - مسته في حقيقة -) أقول للمعارضين ان الوطنية
هي كما أنتمى حدهم غيب تون ليه ان أعمالكم لا تنهت مع
لوطنية

لوطنية كغيره من امرز والمواطف لا تنهت المبرج

القوم المؤدى الى الناية المقصودة الا اذا تسيطر عليه العقل لانه
يصممها بذلك من أن تنقاد في عنان الالمانية أو تجرى وراء
الاعراض الشخصية . لأن العقل لا يوافق الا بالصدق ولا يهيم
الا ورء الحقيقة - فهو يهيم أثر الحق متعاشاً اليه متلهفاً عليه
كالمين منهومة بالحسن تتبعه

والانف يطلب أقصى منتهى الغيب
صد ، مستهما - أقول كذلك يهيم صاحب العقل في طلب
الحق ممرضاً نفسه لتفاد السن المعارضين تنهش عرضه وتفرى
أديمه وسكنه يمتنى رغم ذلك كالسهم المرسل والسييل الجارف
رُجماً من كوكب أو كما طأ

رت من البرق شقة في غمام
والناس يعجبون له كيف لم تستثر هذه العوامل المهيبة
هو من اتى كائناتها الصخود اللحم . أو الهضاب الشم بل
يحيى من هذا الانسان وما كان بلا عواطف
وتش من يهيم في أثر الحق فهو عديم للعواطف لا عاطفة
اهيم بسحر سقيقة فاما عواطف الاستياء والغيفض والتألم من
الموتى والتمنيى ومضيض الحياء والقذع وعواطف الاحقاد
والأصعاب - صعب والتشيع فهذا ما ليس له محل في صدر ذلك

الرجل الذى اقم قلبه حب الحقيقة افعاما لم يدع مجالا لآى عاطفة أخرى . فاذا كانت العواطف والشهوات الانسانية هي مقياس انسانيه الرجل ومسبار بشريته فانه يصح لنا أن نخرج مثل هذا الرجل من عداد البشر ونجرده من الانسانية فنسميه أى شيء الا انسانا . والواقع انه أشبه ببعض الآلات والمكينات (كآلة الاحصاء مثلا التى تمر خلال جملة عمليات حسابية بغاية الضبط والدقة وبلا ادنى شعور أو تأثر بما يحيط بها من المؤثرات الجوية والعوامل الكونية - الى ننتحه مضبوطة لا تقبل تغييرا ولا تبديلا) منه نابذ البشر .

تقول أن الوطنية في مثل هذا الرجل لا يخشى عليها من بؤادر الاهواء والشهوات وآفات النجيز والتعصب اعنى من مظاهر الانانية . فوطنية هذا الانسان خائفة ان تمد وطنية محضة صريحة نزيهه تقية - منطوية على عناصر الخير وعوامل النجاح مضمونا لها ادراك البغية وبلوغ الغاية .

فهل وطنيه اخوانه المعارضين هي من صنف تلك الوطنية المحايدة مجردة من المادة البشرية والعناصر الانسانية اعنى من العواطف والشهوات - هل وطنيه المعارضين هي من قبيل

تلك الآلة الحساية للركبة على مكينة العقول المجرد ودينامو
الفكر المحض - هل وطنية للمعارضين هي تلك الآلة العقلية
المتحركة الفعالة في صفاء الفكر البحت وأثير الرأي الخالص - في
جو صاف نقي الأديم من كل شائبة للشخصيات والميول الذاتية -
هل وطنية المعارضين كذلك أم هي أشبه الأشياء « بالفانوس
السحري » يجلو على ناظره وسط الظلام معرضاً مستمراً من
الصور والاشباح يحاول مديره أن يدهسك بصورة هذا البطل
وشكل هذا الهمام - أم هي (أعني وطنية المعارضين) أشبه شيء
بداخل المعبد أو الكنيسة كل جدرانها مزدان بالنصاوير
والتهاويل والدمى والتماثيل - وأنت بين هذه الانصاب والاصنام
لا يسمح لك أن تبدي رأياً أو تجهر بفكرة وما كان لك أن تحاول
قط ذلك ولا أن تظن أن لك فكراً أو عقلاً بل كل ما يجب عليك
اعتقاده أنك لم تقم ولم توجد بين هذا الجمع المحتشد من القديسين
والشهداء والملائكة والعذوى الاتسيع وتحمد وتبتهل وتتضرع
وتخر ساجداً لهاتيك الآلهة على عروشها

لو كانت وطنية لمعارضين هي من صنف وطنية العقل الهادئة
المحايدة المحضة المجردة من نزعات العواطف ونزعات الشهوات

الذاتية والليل الى الشخصيات والتشيع للاشخاص لما كانت - كما
شاهدنا مراراً وتكراراً - عرضة في كل آن ولحظة لان تفتاظ
وتغضب بتأثير الالهواء والغايات وتثور وتهيج بعوامل الحب
والبغض والحق والصفينة مما صيراهما بالهفات الشخصية أشد
منه بالمسائل السياسية واكثر انهما للذاتيا - الخصوصية أعظم منه
لأهمات المسائل العمومية. ولقد اثبت العلم والفلسفة انه اذا ضعف
سلطان العقل على المواطن أصبح تأثر الانسان بالمسائل الشخصية
بما يمس شعوره الذاتي وما يتصل مباشرة بشهوته وأغراضه أشد
الف مرة من تأثره بالمسائل القومية والشؤون السياسية ومن
ثم ترى الرجل الذي لا بأس في وطنيته واخلاصه ابلاده ربما
اغضى عن الكلمة يكون فيها مساس عظيم بحقوق وطنه
ولكنه لا ينفى على اللفظة يكون فيها أدنى مساس بشعوره
الذاتي واحساسه الشخصي . وترى عين هذا الرجل ربما سمع
العامن في مذهب حزبه وشيمته فيحتمله هادئاً وادعاً مبتسماً فاذا
ما وجه الى شخصه أقل مسبة تارثه فارغى وأزبد . ثم أبرق
وزغد . واطاق اسائه بالسب واللعن يصب على رأس شاته
صواعق غضبه وحنقه . وربما سبقت يده الى ذلك المعتدى
باللظة أو الكلمة بل بالخنجر او السدس

اشتد اختلاف الناس في أى الاشياء اندر وأعز وجوداً في هذا الكون العظيم . وأنا اقول وأؤكد ان أعز الاشياء واندرها في هذا الوجود هو العقل القوى المتغلب على سلطة العواطف . واعتقادي ويقينى ان مقال كل الف فرد ممن تغلب فيهم العاطفة على العقل في هذا العالم يوجد فرد واحد يغلب العقل على العاطفة ويحكم الملكة للمنطقية في نزعات الشعور ونزواته . وليس هذا مجال الاطالة والاناصة في ذلك للمبحث العميق الذى عقدت له الفصول المناسبة في كتب الفلسفة وعلم النفس ولكننا نورد النظرية عارضة عن الشروح والحواشى احتياجاً لقولنا ايسر الا .

تقول لا عجب فيما نراه من ندرة العقل القوى ازاء نفسي العواطف في العالم واستعاضة الاحساسات والشهوات في كل ذرة منه فتلك حكمة الخالق وسنة الطبيعة والقاعدة للشيد لميها نظام هذه الحياة الارضية التى لا أظها في جوهرها وعنصرها غاية في الرقى والسمو ولا آفة في التهذيب والنقاء والطهر واتى أما أميل الى موافقة سونهور « في رصفها بأنها شر ما يمكن أن يكون من أصناف المياة منى الى مطابقة لينتز في نعتها بأنها أحسن ما يمكن وجوده من العوالم والدنـ وسواء كان الحق في جانب « سونهور ، او في جانب « لينتز ، فلا عقل

الاول ولا تصريح الثاقى بغير مثقال خرة من نظام الدنيا ولا بمبدل من شيمة هذه الحياة الارضية وخلقها - ولا بناف هذه الحقيقة المرة الالهية وهي ان العقل ما زال ولن يزال بحكم ناموس الحياة وتركيبها وفطرتها اندر الاشياء فيها كما ان العواطف والشهوات ما زالت ولن تزال اكثر الاشياء كمية وأشدّها تفشياً وانتشاراً وان هذا الناموس الازلى (وليس لنا معشر البشر العجزة الضعاف أن نعارض فيه ونطاعن - وما ذا تجدى المطاعنة والمعارضة - بل كل ما علينا هو أن نتقبله على علته ونستمره جهد طاقتنا) هو مصدر ما تنطوى عليه الدنيا من الظلم والطغيان والشرور والمصائب والشقاء والبؤس - بالدلائل الواضح البين وهو ان العواطف والشهوات هي بطبيعتها سفلية جهنمية ومنها يتكون الجزء الدنس القذر الخبيث من هيكل الحياة (وهو الجزء الاعظم) - كما ان العقل هو بطبيعته سماوى الهى ومنه يتكون الجزء الطاهر اللقى من هيكل الحياة (وهو الجزء الاصغر). وهو توزيع قد رآه القدرة الالهية مناسباً لنظام هذه الحياة الارضية التى لم يرد الله سبحانه وتعالى أن نكون فردوساً أو ملكوتاً أعلى أو مقام قديسين وإبرار - بل أرادها أن تكون (كما أنبأنا الكتب السماوية) دار توبة وندامة وتكفير عن جناية ابوينا الخاطئين

في دار الخلد أو بالاختصار ارادها الله أن تكون سجننا أو - بعبارة
أخف وألطف - اصلاحية أو مستشفى . فاما الجنة - دار المكافأة
والجزاء ومقام الابرار والشهداء والقديسين - فهاظن أن الخالق
سيبنى نظامها على قاعدة هذا التوزيع المحزن - ندررة العقل وغلبة
المواطف المتسلطة بحيوش الاحتماد والضعائن - بدليل قوله
سبحانه وتعالى في وصف أهل الجنة « اخوانا على سرر متقابلين
ونزعنا ما في صدورهم من غل »

نقول كذلك مذهب القدرة الالهية في خلقه هذا الوجود -
بينما تراها كأبخل البخل في هبة العقل كأنها تجود به من خرت
ابرة اذا بها كأسخى الاسخياء في هبة الشهوات والمواطف تسح
بها سحاً وتهطل هطلا . فهي كلما جادت على هذا السكوكب
الارضى بمثقال ذرة من العقل جادت مقابل ذلك بمليون قنطار
من المواطف - عطية مشتركة بين الانسان وسائر ضروب
الوحش والبهيم والحيوان من أعلى درجات سلم الحياة الى
ادناها على حسب أن العقل القوي المسيطر على المواطف لاتبه
الطبيعة الا لاسمى طبقات الانسان - اعنى الانسان المفكر .
هذا المخلوق البديع السامي نادر جداً بالنسبة الى ما يملأ فضاء
الله ويتشاحن فيه ويتطاحن ويتنافر ويتصالح ويتعاوى

من مختلف ضروب الوحش والحيوان وفي مقدمتها (أوقد مؤخرتها وهو الاصدق) ذلك الوحش الساعي على قدميز المسمى انسانا - اعنى الانسان الاعتيادى الخاضع لسلطان الشهوات والدوافع الذى منه تتكون المجاميع والجمهير والامة والسواد الاعظم من بنى البشر

وايس يلقى على ذى لب أن المسائل السياسية والاجتماعية حتى اينها وابسطها هي - وأن خيل للبسطاء السذج أنها سهلة الفهم والادراك قريبة للمأخذ والاستيعاب لا يحتاج بحثها ونقشها لكبير عقل أو ثقب فضة - لى فى الحقيقة والواقع صعوبة عويصة وعرة المسالك لا يستطيع أن يحيط بها ويستجلى غوامضها الا ولو الفطن والالاباب . وانما هو الغرور والتبجح والدعوى الى فهم السذج البسطاء من الجماهير والامة انه قادرون على فحص وتمحيص هذه المسائل الصعبة و . هم ايضا هم الحق فى مشاركة أولى الالاباب فى تناول تلك المسائل وابداء الراى عنها والبت فيها . واذا كن هذا هو موقف الانسان العادى من المسائل السياسية والاجتماعية وهذا هو مبلغ ضعف عقله وقصور ذهنه عن فهم ماهيتها وادراك دعائمها وغوامضها فى حاله الطبيعية أى فى حالة هدوء عواطفه وعدم احتياج احساسه وشهواته - فبالك بمقدار

عجز ذلك الذهن وقصوره اذا زدته ضعفا باستثارتك عواطف
الرجل وشهواته وتسليطها على ذلك الذهن الضعيف من
اصله .

ومن ثم ترى أن العامة والصبيان والنساء في كل أمة يكونون
اتغلب العواطف فيهم على العقل وامتلائهم بالشهوات النارية أشبه
شيء بمخازن البارود ومعامل الذخيرة . وهذه المزية العظيمة لا تخفى
بالطبع على عشاق المعارضة في كل أمة فهم كالصياد يعرف مساح
الظباء ومسائحها وكالمنتجع يهتدى الى مساقط الغيث ومنابت
الكلاء . أقول أن زعماء المعارضة يعرفون مواضع تلك العناصر
المثيية والمواد المفرقة من قلوب العامة والصبيان والنساء فما
هو الا أن يرسلون عليها شرارات مما تجيش به صدورهم حتى
تشتعل فتأجج .

فالى زعماء المعارضين اللاعين بأبواب الصبية والنساء والعامة
تقول . اتقوا الله في عقول اضعفها الطبيعة لا تزيدوها ضعفا
واتقوا الله في احلام خففها الطبيعة لا تزيدوها حفة وطيشا
وراقبوا الله في عواطف واحساسات قابلة لالتهاب بفطرتها
لا تضرموها على اربابها وعلى البلاد نارا حامية . واخشوا الله أن
يرآكم تسلون من قلوب أولئك البسطاء سيرف عواطفهم وشهواتهم

يحتجزون بها على ذرة العقل الضئيلة التي تفضلت عليهم به الطبيعة
 مما بقي لديها من مادة العقل بعد ان كالت منها كيلا للفضلاء
 النوايح . اتقوا الله ان يراكم تطلقون سيول تلك الموطف الجارفة
 تسلطون طوفانها على تلك الشرارة الكلية التي مننت بها الطبيعة
 على ادمنة اولئك البسطاء بعد ما اشعلت مصابيح الفطنة الوقادة
 في سماء اذهان الاذكياء الالباء . رفقا باولئك الضعاف لاتعينوا
 عليهم الطبيعة الفاسية الغاملة بافسادكم ما جادت به عليهم
 من النذر الطفيف من مادة الفهم يوم قسمة العقول والبصائر .
 وهنا يجدر بنا القول بأن مايقوم اليوم بين ظهرايتنا من
 تغلب المواقف الثائرة في مجال تبادل الاراء الهادئة وسيطرة
 الشهوات العائرة في مقام أعمال الفكرة الثاقبة والعقل المجرد
 عن شوائب الاهواء - انما هو مظهر من مظاهر آياتنا الاول في
 المصور الغابرة ونزعة رجعية الى عبودية ذوى الثارات والمدوات
 من أجدادنا أهل البيد والفلوات

ان أهم ميزات الطبقات الدنيا على السفلى والخاصة على العامة
 هي ان الفئة الاولى لحدة ذهنها وقوة للملكة المنطقية فيها تستطيع
 التفكير والكلام في المعنويات كالتنظريات والكماليات والقواعد
 والقوانين بينما الفئة الثانية لضعف ذهنها وقصور الملكة المنطقية

فيها ازاء قوة الحواس والأحاساس لا تفهم للعنويات ولا تقوى على ولوج أبوابها وخوض غمارها فهي لا تلتذ ولا تعنى إلا بما قد كاد يقصر عليه إدراكها من المراتب والمحسوسات كالاشباح والذوات والاشخاص ولذلك اذا غشيت مجامع العامة ومجالس الصبيان والنساء الفيت حديثهم قد كاد يقتصر على الاشياء المحسوسة كوصف المراقص والملاهي وأما كن الفرجة كالمعارض وحدثات الحيوانات والمطام وحوادث الفواكه والحلوى الى الفصول المناسبة للشرح والتفصيل في مسائل اللبس والتفصيل وأصناف الاقشة والمنسوجات وآلات الخزف والزينة الى ما يماثل ذلك ويجرى مجراه من المباحث الاقتصادية في تاريخ المطبخ والكيلار والتاريخ الطيبي لشتى أصناف الطيور والدواجن الى المحاضرات الفلسفية في فنون الغيات ، المختلفة الحمام والخيل وورق البريد والسلة القديمة والسجاجيد والجعارين وما لا يحصى ولا يعد . من أمثال ذلك واتشابهه . ولكن هناك شيئاً آخر هو اعلق بأذان هذه الطبقات واروح على قلوبهم وذلك هو التعرض للأشخاص أنفسهم (لا في متعلقاتهم من مأكل وملبس) والخوض في شخصياتهم وتناول سيرهم قدحاً أو مدحاً .

أما الكلام في المنويات وارسال الذهن الصافي البلورى
يسبح في عالم الافكار والروحايات ويفس أجنته في ضياء
الحقائق ويقلب للمعانى محضة بحثة عارية عن ثياب الاشخاص
والمادة والزمان والمكان فذلك مالا تستطيعه ولا تعرفه هذه
الطبقات من العامة والنساء والصبيان وانما هو شأن العلية الفضلاء
اولى الفطن والالباب

ولا يخفى ان هذه اخصلة أعنى تعلق النفس وجولان الذهن
في عالم الحس وضعفها عن خوض عالم للمعانى والنظريات هو من
مظاهر الامم والشعوب غير للنمدينه التى تكاد تنحصر أعمالها
ومساعيها فى التكافح والنه تلى وشن الغارات بعضهم على بعض
لاتزال هذه القبيلة تغزو وأختها وهذه القبيلة تكتسح جارتها .
ثم ترى أفراد كل قبيلة لا هم لهم اذا ضمتهم محافلهم وانديتهم الا
وصف مواقف أبطلهم فى ساحة الوعى ونعت ما أئوه من يات
النجدة والبطولة ثم تمجيد الرءيم الاكبر وتقدس ذاته فأحاديثهم
وأفكارهم مقصورة على الاشخاص ومظاهر المادة لاتتمدها الى
عالم المنويات والمبادئ والقوانين العامة .

ولا تنس مالا بدأ أن يصحب هذه الحالة (اقتصار الافكار
والحديث على عالم الحس) من تعرض العواطف والاحساسات

بسبب سرعة الانفعال والثورة والهياج لما هو مفروض في تلك الحالة من ضعف - لمطان العقل وضوئته امام جيش العواطف . ونحن لا نزال في غدواتنا وروحاننا نبصر أثر هذه الخصلة العتيقة أعنى الولوج بالاشخاص لمجرد أسباب مادية لاعقلية ولا روحانية وتقديس اولئك الاشخاص لمجرد تأثيرهم على عواطف مفتونينهم من الامة لا على ملكاتهم العقلية والروحانية - بادياً في كل شبر من أراضى بلادنا وفي كل آن ولحظة من خضوع العامة لرجل قوى البطش فيهم مرهوب السطوة يسمونه «فتوة» فنشاهد أن يرى أصدق صورة تمثل تاريخ العصور الوسطى - هذه الافطاعات او عهد الفروسية في أوروبا المظلمة ووقائع «قلب الاسد» و «اوراندو» و «اماديس دي جول» فليطلع على ما يجرى من مظاهر العواطف العمياء والانانية الخبيثة في طبقات العامة مما يدعواهم الى تمجيد زعمائهم من «الصبوات» و «الفتوات» وان نشأ مثالا آخر على هذه المظاهر المقوطة فنفقد ليلاً محافل العامة في قهواتهم حيث تتلى عليهم قصة عنترة وأبي زيد وانظر في وجوه القوم وحركاتهم مظاهر تلك النزعة الرجمية - نزعة تقديس الزعيم لمجرد قوته العضلية ومزايه العدوانية وفرط تأثيره على عواطف شيعته وانصاره . بل أنظر اليهم

كيف ينقسمون شيعاً واحزاً بأحسب ميولهم الفرزية للأشخاص
الخرافية المسرودة عليهم أفاضيلها - كل فريق يتمصب لزعيم
دون الآخرين . وكيف في سبيل انتصار كل لزعيمه الخرافي
وتشجيعه له يتهيج ويتور وبما وثب على مناظريه من انصار الزعماء
الآخرين واستغلال عليهم بالسب وأحياناً بالضرب . فهكذا يبلغ
من حدة المواقف البشرية وغلواء سورتها حتى في حين تأثرها
بالموامل الخيالية الوهمية المستمدة من عالم القصص والخرافة -
فما بالك بفرط سطوة هذه المواقف وطنفائها اذ تسلطت عليها
عوامل فعلية واقعية من عالم الحس والحقيقة

هذا هو الحاصل بيننا اليوم وذلك هو شأن المعارضين
ومن شايعهم وتابعهم - والا فكيف كان يمكن ويتأتى ان ينكروا
المحسوس والملموس ويماروا في الحق الصراح ويلوموا غير ملموم .
ويذموا غير مذموم . ويرتموا سائمة الهجاء في غير مرتع .
ويشرعوا صادية القدح في غير مشرع . وكيف - لولا هذه
الحال التي شرحناها - كان يهون عليهم ما يحاولون اتيانه من تفريق
ذات البين وتبديد الصفوف وتمزيق الوحدة وفك الاواصر .
حقاً ان المعارضة اذا خلت من عوامل المواقف الشخصية
والشهوات الحزبية وصحت من سكرة الأثرة والانانية عز عليها

أن تأتي كل مامن شأنه عرقلة للساعي وأصناف المجهودات وايداء القضية . ولكن ماذا تصنع للمعارضة وماذا تفعل الوطنية اذا أصابتها الانانية ؛ ليست الانانية جديدة ان تصم أذن العقل وتحرس صوت الضمير وتغشي ناظر الرأي والبصيرة . وتطرح في زوايا الالهال كل مسألة وقضية الامسالة شكايها الوهمية وظلامتها الخيالية

وفي هذه الحالة تتوق وتصبو الى فكرة الانتقام . وقدا قبل ان الانتقام حاول ان يذ عند الانسان الاعتيادي الحاد المواقف وكما رأينا ومعنا عن التضحيات العظيمة تبذل في سبيل الانتقام ومن أجل تذوق حلاوته واستمراء لذاته . ولا جرم فلا انتقام هو كما وصفه الروائي الاشهر « السير والتر سكوت » « اشهى لقمة طيخت في نار جهنم »

ولا عجب اذا رأينا المعارضة رغبة في الانتقام تشن الغارة بصغر الغارة وتصول بجيوش المظاهرات وتقيم مسرحاً عظيماً للشغب واللجب والصياح تلمب عليه أو تتفرج جماهير العامة والنساء والصبيان مدفوعة بما جبلت عليه تلك الطبقات من حب الهياج والصخب والضوضاء وبما فطرت عليه من التنف بمشاهدة ملاعب الصراع والملاكمة مما يتير "سعود ويولد تلك اللذة الحاصلة

من التهاب العواطف واشتعال الشهوات - فضلاءن اللذة المترلدة
فى المظاهرات من احتكك الانسان بالآلاف للؤلؤة من الاجسام
البشرية ومن تفرج الانسان على مثل ذلك العدد من الوجوه
الآدمية المختلفة السحن والملامح .

كذلك تحاول المعارضة الانانية قلب الحق ومسخها وتشويهها
وانكار الواقع للموس والمشاهد وطمس ماثر الذين ساقوا البلادهم
الخير والغنيمة وجحدوا لما طوقوا به جيد الوطن من بيض
الأيادى - تحاول بذلك شفاء غلة جهنمية . وانتقاماً لاساءات
وهمية . وقد تفاح وقتاً ما فى ترويج مذهبها بخلقها جواً من الهياج
الوجداني والافعال النفساني تلهب فيه العواطف وتحتدم الشهوات
- تبذر فى ارجائه بذور اراجيفها وتذرو فى انحاءه لقاح اباطيلها
واضاليلها . ولكن هذه الحال ان تدوم وماهى الا مؤقتة - شأن
غيرها من الاكاذيب التى مها يتد اجلها فمالها حتما الى الزوال
والفناء .

وكذلك تلك الاراجيف والاباطيل وتلك الظنون السيئة
بالحكومة الحاضرة والتهم الكاذبة مما لانفتت المعارضة تصوغه
وتخترعه - مها صادفت من الرواج فى هذا الدور الاول من العهد
الجديد بسبب مايسود فى اذهان بعض الطبقات من عراىل الخيرة

والارتباك المثيرة للريب والشكوك من تأثير صدمة هذا
الاتقلاب السياسى الخطير - فهي لا بد أن تأخذ في التناقص والهبوط
والكساد ثم يقول أمرها الى الاضمحلال والذوال على مر الايام
مى تتاج على ابصار تلك الطبقات من مزيد الشواهد والآيات
وتوالى على بصائرهما من جديد الحجج والبيانات ما يحو من
اذهانهم ذلك الخلط والارتباك والحيرة - ويرزلا بصارم الموقف
الجديد وممالة وحدوده وخصائصه ومزاياه فى اجلى مظهر من
الحق الصراح .

واسكن حركة القضية نحو النجاح وسير البلاد الى الغاية
المنشودة من الرقي والفلاح دائية مستمرة لا تنتظر ذلك اليوم
الذى يسطع فيه نور الحقيقة على ابصار المضالين من مفتونى
المعارضة . لقد نهضت الطبيعة بنفسها فقبضت على زمام القضية
بيدها القوية تدفعها فى سبيل التقدم - فمن ذا الذى يقوم فى وجه
الطبيعة يردّها عن قصدها وغايتها ؟ وأي قوة بشرية تستطيع
لاطبيعة دفعا أو مقاومة أو ايس اذا هبت على شىء مارجع للدد
والعمونة من جانب عرش الله اصبحت أقوال المعارضين فى هذه
الريح الشديدة هباء . وذهبت اراجيف الماكسين فى نفحاتها جفاء
هذا بحر السياسة العجاج قد لان جانبه . وسكنت غواربه .

وسلس قياده . واطمان مهاده . وقد سربت فيه الملك وانساب
تمخر الى الامام عبايه . وتشق الى مرادها جلبابه . ترجيها ربح
للسلام ويهديها كوكب اليمن والتوفيق . فلترعد المعارضة ولتهرق .
فاشئ من ذلك الصخب والضجيج بضائر الفلك في مجراها .
أو صارفها عن قعرها ومبتغاها .

لقد ولجت البلاد باب الحرية سواء اعترفت بذلك المعارضة
أم لم تعترف . وقد ملكت البلاد فوهة سبيل الاستقلال سواء
شاءت المعارضة أن تصدق ذلك أم لم تشأ . وقد انبرت البلاد
تجتاز تلك السبيل كمنت بذلك المعارضة أم لم تؤمن

لقد اعترف بالغاء الحماية واستقلال البلاد في الداخل والخارج
وأمنت على ذلك دول العالم وتواردت به التهاني من ملوك الارض
وقد زال العهد القديم واندر وطواه الدهر فيما لا يزال يطويه كل
لحظة من هالك هذا العهد وماياته . فلن يرجع هذا العهد حتى
يرجع أمس الدابر

وحى يؤوب القارظان كلاه

ونسر في الموتى كليب بن وائل

وقد املق منغ لاسم تنزل - ناعوس جنازة العهد القديم
المنذر وبوق البشارة بميلاد العهد الجديد المبارك وكأن دويه

المستفيض يحمل صوت البشير مممناً في ظلمات الغيب الى ذرية
المصريين من أهله المستقبل البعيد في عالم الدرات متغلغلا الى
الى أعماق الأبد !

الفصل الثالث

الحالة الحاضرة

واجب الامة في موقفها الحالى

من كان يسره التشبث بأهداب الامانى البعيدة والبيام
وراء اشباح الخيالات فالماقل من اغتبط بالشئ الواقع وان قصر
عن مدى أمله ووقع دون غاية مبتغاه . وحسبه أن يكون ذلك
الواقع منطوياً على عنصر الخير وجرثومة لفلاح

ألا ما أعظم الواقع المدرك الحاصل فى حوزة الامة وما أجل
خفاره وقيمته ! أليس هو الدرة المستخلصة من أعماق بحر الخيال
وجوهره المستصفاة من غمر الخ النظريات والاحتمالات . أليس
هو ذلك السوء الدليل أمامك حقيقة ثباته مؤكدة لا ريب فيها
ولا شبه ولا يثني . الباطل من بين يديه ولا من خلفها ؟ أليس
هو الذى يبين لنا لامة عظام الحياة والعمل -

و هو الذى يبين لنا معارج الرقى والرفعة الى حيث
يتم لهم من شهواتهم ولسعائهم . لعلنا كان من الحزم
واحكم أن نقسث لامة . بايسوء . لئلا نخطئ من الخير الواقع

أشد تشبث وتنتفع به جهدها وتستثمره وتتخذة وسيلة وسبباً
الى غيره من الثمرات والفوائد بفضل الجهد والعزم والمتابعة.

نحن لا ندعى أننا قد قلنا اقصى أماننا القومية أو بلغنا غاية
مطالبنا الوطنية . واكتننا تقول ونصرح أننا ادركنا شيئاً كثيراً
ادركنا الاساس المتين الذى نستطيع أن نشيد عليه صرح
الاستقلال التام بفضل الجهد والمواظبة وماكنا فوهة السبيل
نؤدى ادا تضافرنا على اجتياز اوعاره واقتحام عقباته اداً بلا
شك الى اقصى قايئنا المنشودة.

لذلك تراءنا نمجب كل المعجب وتغلى قلوبنا دهشة من
الذين لا ينفكون ازاء هذه المغامرات المعظية والفرائد الجارية يصيحون
أن حتمنا السياسية باقية على ما كانت عليه من قبل لم يطرأ
عليها أدنى تغير . فهل يقول مثل هذا الاغافل عن الحق، عن الناصحة
والشواهد الملموسة او متغافل؟

من يشك مخاوفكم من كذا كذا بربنا بتصرفها
حزبنا الذى اعترف فيه بالاعمال الحمية ربهتم لال البراد قد
تبعتم من سجلات السياسة رالة ريج ثلاث "صحيفة" سوداء اتى
سجلات سجلات به على مصر اتمية المشورة . فاصبحت مصر بفضل
حزبنا ردة ردة ذات سيادة فى نظار الدولون الدول وفى عتبر راندل

جمعاء وأصبح من المفروض على الدول قانوناً أن تعامل مصر على هذه الصفة كما تعامل سائر البلدان المتمتعة بالاستقلال التام . ولمصر الآن كامل الحق في طلب الانضمام الى عصبة الأمم متى شاءت وفي صيرورتها ضمن أعضاء هذه العصبة . وأصبح غير معذور على الدول أن تعاملنا معاملة النظير للنظير وأن تراعى معنا كل ما هو مقرر بين بعض الدول والبعض الآخر من الحقوق والحرمات والواجبات فليس في استطاعة الدول الآن أن تنكر وجوده . مثلما فعلت حينما أوصدت في وجهنا أبواب مؤتمر فرساي واعتبرتنا أمة عديمة الشخصية قاصرة لم تخرج بعد من حقوق الحماية والوصاية بل لا تملك حق الكلام والتعبير عن ذات صدرها .

كل هذه لمزايا العظيمة كانت الحماية تحول بيننا وبين التمتع بها . فقد زل هذا الحائل بزوال الحماية وأصبحنا في حل من التمتع بها واجتدء عظيم ثمراتها .

هذه خطوة كبرى خطوناها في سبيل الاستقلال التام . وبغضه شيء الكثير لنرى لا يستطيع نكرانه الا غافل عن الحقيقة الناصحة ومتغافل . أما بقية أمانينا وتكملة مطالبنا والشئ الذي ينتمى اسنة لاننا فهذا منظر في المسائل التي احتفظت

بها بريطانيا معلق على تسويتها تسوية نهائية في المفاوضات المقبلة التي سيكون لبرلماننا الحق في تحديد موعد افتتاحها وانتخاب المفاوضين فيها والاشراف عليهم .

هذه المسائل التي احتفظت بها بريطانيا لم يقل قائل ولا خطر على بال انسان انها قضاء محتوم لا دافع له او ضربة لازب باقية على الابد او أن بريطانيا قد احتفظت بها بصفة نهائية لا تقبل تحويلا ولا تغييرا . وانما هي شيء عارض امدة مؤقتة اقتضته ظروف ذلك التطور السياسي العظيم كما ورد ذلك صراحة في تصريحها الخطير .

فاستقلالنا في الحاله الراهنه وحتى تم التسوية النهائية بشأن هذه التحفظات في المفاوضات المقبلة التي سيشراف عليها البرلمان انما هو استقلال حكي اكبر منه استقلالاً فعلياً وان كان قد انتج بعد نتائج فعلية عظيمة الشأن كالى المعنا اليها آنفاً من ارتفاع الرقابة الانكليزية عن أعمال الحكومة في كافة أركان الحكم والادارة وكالذى يسرى الآن في البلاد من مبدأ مسؤولية وزارة أمام الشعب ممثلاً في برلماننا المسموح في انشاءه .

لذلك لاندسى اتفاقاً قد نلتقى أمانينا ونقد بانه انما
ولم يدع ذلك رجالنا العاملون المحاء رز لا ادعاه نصر انهضنا

الحماية وفارس حليتها دولة الرئيس العظيم ثروت باشا فقد أورد
دولته في غفزون رده على تهنته الحكومة البريطانية بمناسبة
اعلان استقلال مصر هذه العبارة الآتية التي جمت بين ادب
الكتب التحرير وده - السياسي التبرير والتي يتأتى في ديباجتها
المفصلة من طرة ورقة الخشب واية شعاع الوطنية الحارة ووهج
الغيرة التي تسمى من بلاد ومسفيل لا واد قد سر دولة
المركز نوزون صاحب الشراف الآف الذكر (مع حسن رده
على ثم ثمة بارق منها عبارة والطف اشارة) بذلك الأمر الجليل
ومرر عمر اتمتع بحالة لرمة وانها أشد ما كانت بفضة
وانتبه وعتبت في حتموقها - فداس حير - يقول دولة الرئيس
في ذلك لرد

[illegible]

مطايا الجهاد . وارخواقسى النضال واغمدوا سيوف الجلال .
واقترشوا مهاد الراحة وتوسدوا وثار الدعة وتمرغوا فى حجبور
الصفوف وتقلبوا بين اعطاف النعيم . ولو قلنا لهم ذلك لكننا لهم
خادعين وبهم مغررين ولحق لهم اذذاك أن ينهمونا بما به صمونا
الآن زورا وبهتانا من التسمية والتضليل . ولكننا من وجهة اخرى
لا نقول مع جماعة المعارضين اننا على حالنا الأولى لم نتقدم فيد
قتروا تأخروا ولا نحارى للمخالين منهم فى زعمهم ما هو اكثر من ذلك
اذ يقولون ما نانا خيراً بل شراً ولم نتقدم خطوة نحو البنية بل
تأخرنا خطوات وان الوزارة - معاذ الله - لا تناصر الأمة بل
هي الى خذلانها اميل وان القادة الامجاد (الذين سخرهم الله لخدمة
الشعب واظهار حبه وتأييد فضيلته) لا ينهضون بالوطن الى
ذروة المجد والعلاء بل يهبطون به - لا قدر الله - الى الوهدة .
نحن لا نقول ذلك لاننا لا نعتقد ولا أنه غير الحق ولأن شهادتنا
لا تحزعنا عن قراءتنا ونتبع مع دين النطق به السنة اولو فعات
الكل - يا نبال - الساطمة والسواد - لنا - اى ودا - نت نملأ
باوضح الانوار . تراءى لنا ظهور الآيات البينات أن حكومتهم
اليوم هي غير حكومتهم انهم من بران دولة رئيس الوزارة وصحاب
المعالي زملاءه لم يترعوا فى كراسى الحكم الاعلى ذرط استمه وه

عن الرأي العام وإرادة الأمة - والله لو لم تعرفوا انكساراً بالبناء العامة
وباستقلال يصيروا قبلوا الوزارة ولما اتى خلال الملك أن بكل
اليوم المتأني بأمر النظام الأساسي فهو من هذه الوجهة ومن وجهة
مشاركة الأمة في كفاها وجهادها لا يمكن فصلهم عن مجموع الأمة
واعتبارهم حكماً بالمعنى المتيقن للقرض يتحكمون في الشعب بحكم
المسئف المستبد الذي لا يحترم إرادة الأمة ولا يعترف بسلطانها
للقسمة - كما كانت الحال في العهد السابق

فلك عهد قد انقضى وبأد - وقد أصبحنا اليوم في عهد جديد
ميسون تضافر فيه الأمة والحكومة معاً على تفويض مريح
الاستبداد ونسف دعائمه واستئصال جرثومته لتفرياً شجرة
الحرية المباركة أعني شجرة سلطة الأمة التي تروى بها في ثوبة الوطن
العزيز بين رفات الآباء والاجداد وتسقيها دماء الشهداء من
أبناء الأمة لنزكو على صنف النبل للبارك وتتفتح يرد ظلالها
عظام العرب والفرانجة في أجدادهم وتندق على الإناء والذرية
ثمراها البانعة الحنية .

فالوزارة اليوم من الأمة والأمة من الوزارة وهما في الحقيقة
كتلة لا تنقسم ووحد لا تقبل التجزئة وحلقة مفرغة لا يعرف
أين طرفها - هذا من حيث الاخلاص في الوطنية وصدق

الحية وفراط البيرة والمصحية والتفاني في خدمة القضية وأن
 اختلفت منها الوسائل والدرائع - كل يؤتى في خدمة الوطن
 وظيفته فالحكومة ترسم الخطط والبرامج وتحدد السبل
 والوسائل - كفترة الكشف في الجيش المرمم والامة أن
 وراثتها كالجند تقدم وترفع عنها من المواقع الحصينة والاماكن
 الخطيرة وليدلل لها فريسان الطليعة .

يبدأنه لا يفوت الامة ان هذه الطليعة أو الكشف
 (أعني الحكومة) قد لا تستطيع - ولا سيما في مثل ظروفنا
 الاستثنائية المترتبة على تطورها العياني - أن تنجز كل هذه
 الاعمال التمهيدية في بضعة أيام أو أشهر (مهما نافت القلوب
 واولعت النفوس بسرعة هذا الانجاز) وانه لا بد للجيش (أي
 الامة) أن يجهل طبيعته الكشف ويعطيها الكفاية من الوقت
 فتنسأ لها وجه المقدّر مقدراً خرج مركزها وصعوبة موقفها
 معاونا لها بما قدره عليه الله من حسن المؤاتاة والمساعدة والملاينة
 والصبر الجميل والتأييد والتشجيع - ذا كراً تلك الكلمة الماثورة
 لرجل الدهر نابليون بونابرت « الدنيا بخذا فبرها تنساق في النهاية
 لمن يعرف كيف يصبر »

وجدير بالناس ان يدكروا هذه القاعدة الخطيرة وهي ان

الانقلابات السياسية لا تستلزم إلغاء التواميس الجارية والدساتير السائدة ولا تستدعى هدم الكائن من نظم وتقاليده وإيقاف سير ما هو نافذ من أحكام ولوائح فتصبح البلاد فوضى لا نظام ولا قانون الى أن يتم إنشاء البرلمان الجديد ويبنى عليه أساس الحكم في البلاد . فهذا منافض لسنة العمران في العالم ناقض لاسباب النظام والامن والسلام . وهو مالا يكون ولا يمكن أن يكون أو يتأتى بحال من الأحوال . وما هي الشواهد التاريخية تدلنا على أن الأمم التي هبت من قبلها تطالب بحريتها قد أصدرت يوم استقلالها أوامراً ببقاء خدمتها العسكرية نذرة توثيقاً لاسباب الامن وتوطيداً لادعائم السلام وتغنياً لتنسيق أركان الحكم الجديد تحت لواء النظام .

جدير بكل فرد . أفراد الشعب أن يفتن تمام المنظمة الى حقيقة موثقة في وجوده كونه توظيفاً مأزقها وعوده مساكم وما يعترضها في كل خطوة من المصاعب والمشاكل فيعصف عليها بكرم مؤيديها وعواطف البر والكرم والمروءة ويستثنت منها سبيل من برة وتبذل به نظر ما سوف نصنع . عساها أن تثنى وتذر وتحمي . اعتقد . سني لارتد التعجب الى حكم وإبراز الرأي خفا غير فاضح .

نحن اليوم ازاء مشكلة من أعوص للمشاكل لايتأتى حلها
بسوى التعقل والروية والتبصر وذلك مالايتسنى الا فى جوصاف
من الهدوء والسكينة تسود فيه الاناة والتؤدة ويشرق فى افقه
سراج العقل المتبصر المتدبر - وأساس كل ذلك هو كما المعنا فى
موضع سالف هدوء الخواطر وسكون الجوانح وثبات الجأش
والجنوح الى الرفق واللين والهدوءة والحسنى ونوحى أسباب
الحلم والمجاملة والروءة فى خطاب وأساليب الادب والملاطفة
والدمثة فى مجل المناشة والمناظرة - شأن أفراد الامم المهدبة
الراقية التى يحق لها أن تفخر بسمو مكانها فى درج المدنية
والحضارة

ن ماشاغبات والاشاحنات واستنارة المهداوات وذر
الشقة ما كانت قط لتؤدى الى خير ولا لتقدم بأمة خطوة
نحو غايتها المنشردة ولا سيما اذ كانت أمة فى مثل مركزنا
السياسى تدومعت قدمها على نتمحة سبيل الاعمال والجهيزات
المظيمة للوصول الى مدبة غنية من أقصى غايات الاستقلال تمام .
نحن الآرأخرج ما كبرنى الى العمل - الى العمل المنتيج
المثمر - الى عمل البناء والتعمير والسييد والتجديد . نحن لان
أخرج مانكون الى تنظيم حركتنا وتيق نبضنا بضم

شواردها وجمع شتاتها ولم شحتها وتسيرها في منهج قاصد قويم يسود في جوه العقل والنظام والحكمة والتدبير .

لقد انتهت حركتنا من دورها العاصف العنيف وجرت شأوها المحتدم المضطرم وأدت ماعليها من مهمة الهدم والنسف والتقويض - هدم الحماية ونسف دعائم الحكم المطلق وتقويض أركان التدخل الاجنبى . أجل . لقد انتهت حركتنا من دور الهدم والتدمير . وأن لها أن تدخل في دور البناء والتعمير لقد هدمت برج الحكم الاجنبى ووضعت على انقاضه أساس الاستقلال - وقد آن لها أن تبذل أقصى الجهد في أن تنسب على هذا الأساس صرح الاستقلال التام .

فكان حركتنا كانت في دورها الاول العنيف التأثير أشبه شيء باميل الجارف المنهمر المصطدم بالصخور والجلاميد المتوثب بين العقاب والاعوار - وهى في دورها الحالى الهادئ المطمئن يجب أن تكون مثل هذا السيل حيث يأنهى من الصخور والاعوار ويفضى الى أرض سهلة سنوية لكننا فقيرة جرداء فعلى هدم السيل أن ينكب في فضاءها متسلسلا منسجما هينا لينًا ولكنه كرز مع ذلك قويا شديدا جائسا زخارا يؤدى ماعليه من واجب الرى والسقي ووظيفة الاخصاب والانتاج فيحول

الجذب خصبا . والصخر عشا . ويترك الفلاة الجرداء .
جنة غناء .

وهذا ما لا يكون ويتم الا بالالفة والاتحاد وهما لا يتوافران
الا بحصول الثقة للتبادلة بين عناصر الشعب وأحزابه ثم بين
فئات الشعب كافة وحكومته . والثقة للتبادلة لا تتأني ما دام
سوء الظن متسرباً الى النفوس . ومعلوم أن سوء الظن هو آفة
الشعوب ولا سيما في أدوار انقلاباتها السياسية وتطوراتها النظامية
اذ في مثل هذه الظروف المصيبة تكون النفوس هائجة تائرة
والخواطر مضطربة قلقة ومتي كانت النفوس والخواطر كذلك
أصبحت بيئة صالحة لجرائم الريبة والتهمة تعشش فيها وتبيض
وتفرخ منتحة الضغائن والاحقاد المؤدية الى اعظم الشرور والمضار
لا جدال في أن ما ادركناه من الفوز السياسي الأخير
وما اكتسبته القضية من النجاح والتأييد بما صارت اليه من
المركز الحصين الجديد لجدير أن يعد من أعظم دواعي الانبهاج
والاستبشار ولا جدال أيضاً في أن هذا الانبهاج والاستبشار
الذي نراه متفشيًا في جانب عظيم من الامة ممن عساه الله من
تأثير ما يروجه المشائرون من باطل الاشاعات والاراجيف اذ
ازداد تفشيًا في مجموع الامة وسراياها في فتحاتها وجوانحها كانه

العزيمة لتوجد لكل باب موصد مفتاحا . ولكل شبهة مظلمة مصباحا . وتبرز كل شيء في صورة جديدة وشكل مستحدث . وقد رأينا الرجل القوي العزم المصمم للمضاء يستطيع بشكل وقفته إزاء الحادث الجلل وبنبهة صوته وسط ملتطم الخطوب . ومصطدم الكرب . أن يأمر الداهية الدهياء النهمر سيلها المتدفق تيارها . فتحمده وتقف . ويزجر الكارثة النكراء المنتشر شره المسيطر سررها فحمده وتكف . وقد جاء في المثل القديم « ينال الظفر من يرى نفسه قادراً على نياله »

أولم نرمثل هذا الرجل الماضي العزيمة في شخص بعزل النهضة الحالية عبد الخالق ثروت باشا ، ألم يقف هذا الرجل العظيم في وجه الحوادث الجلل وقفة من يشعر أنه يحمل بين جنبيه من روح الله ومدده ما هو أجل من الحادث الجلل ومن ردعه . وكفه وقعه .

رحبنا رفع ثروت باشا صوته الهيب يؤيد قضية وطنه وبه اب برحقوقه المنصبية أنه دسم المذ في مرات ذاك الحزوت العميق لمت لرة العاصمة ، تقوية لنافدة الى اعماق قاب الاسبداد القارعه حبه فؤاد السطوة والجررت - أأ يسم العالم - برارة ذاك - عذرت المروهب ذاك الدوى القاصف القهر العلاب الذي

الغيب ويستطيع أن يتبين اقصد الطرق وأسد للسالك الى تلك
النتائج والعواقب خلال العقبات والفحم وللازق - فهو في الحقيقة
خير من ألف رجل بل هو المسيطر والمسير للامم والشعوب
ممن لا يستطيعون استبانة النتائج والعواقب ولا الاهتداء الى
ما يؤدى اليها من الاسباب والوسائل ؛

وماذا ترى يكون الاساس الذى يقوم عليه صدق النظر
وتقاذ البصيرة فى عطاء الرجال أمثال ثروت باشا ؛ هو بلا شك
رباطة الجأش وهدوء النفس فى الزعازع والزلازل . وذلك ما يؤثر
عن وزيرنا الجليل ثروت . لقد روى عن اكابر قواد العالم
أن أحدهم كان يزدد سكينته وهدوؤا كلما ازدادت زوبعة القتال
من حوله ورة وهياجاً وأن الفائد العظيم « ماابرا » كان ذهنه
يظل اصغى ما يكون وادق حساباً فى اشد ادوار الموقعة اضطراباً
وارتباكاً . وان بعضهم كان اذا انهزم جيشه وولى الادبار ووقع
فيه من المهرج والمرج والتحبط والفوضى ما يعترى لجيوس
للدبرة ساعة الهزيمة باغ من صفاء ذهنه فى تلك الساعة المعصومة
الموجاء ودقة تفكيره وهدوءه باله انه كان يستطيع رد تلك الفلول
للهزيمة وضم شواردها وجمع شتاتها وتنظيم صفوفها والكر بها

في ساحة الوغى على جيش العدو في اتم نظام وادقه فربما تمكن بعد ذلك من القبض على ناصية الحال ثم من هزيمة الاعداء . ويروى عن نابليون الأول انه كان آية معزة في رباطة الجأش وقرط الجلد والرزانة وذلك انه خسر الدنيا بمخايفها فلم يأبه لذلك ولم يبيل وكأنه لم يخسر الا دوراً في لعبة النرد أو الشطرنج .

كل هذه الامثال ضربناها للقراء لنظهر بها فضل تلك الخلقة العظيمة أعنى رباطة الجأش وهدوء الدماغ في الزواجع والزوازع وانها أساس كل نجاح وسبب كل فلاح وأن عليها مدار نهضة الأمم والسعوب وتشديد مجدها ورفعتها وانتقارن بها (أعنى بهذه الامثال للضروبة) واقر نصيب روت باشا من هذه الخلقة الحميدة وجسيم حظه منها . ولنبين بها أن شر ما تبلى به الأمم والافراد في أوهتها العصبية هو فقدان رباطة الجأش وهدوء الدماغ الناسي من حور القوى ووهن العزائم المتسبب عن بث روح التشاؤم والسخط والتقنوط في أفراد الشعب وما أصدق ما قاله أحد قواد الفرنس في هذا الصدد : ذا فقد الرجل رباطة الجأش وتملكه لـعـر فغرب عنه عقله - كما هو شأن المروع اللذعور - أصبح لا يدرى ما ياتي وما يدر : فاذا ماسأت الله شيئاً فسله أن يفر عليك عقلك كملا . هـ . هـ . دام لك ذلك فا من خطر يهددك

أو كرب يحزبك الا كنت بفضل ذهنك جديراً أن تصيب منه
مخرجاً وجه ما . فاما اذا استحوذ عليك الروح وذهبت نفسك
من الجزع شماعاً فقد كتب لك الفشل والخيبة وسد في وجهك
باب النجاة والسلامة والفيت البر ببحراً والبحر برأ وحسبت الخيل
ثعباناً والمطيرة طوفاناً

كأن فجاج الأرض وهي عريضة
على الخائف المدعور كفة حائل
يؤتي اليه أن كل ثنية

تيممها ترمى اليه بنابل
واذا بصر فرد من أعدائه خيل اليه انه يرى خيساً عرمرما
مله في ذلك كاسكران بنظر الى السمعة الواحدة فيحالها
ألف شمعة .

هذه آفات الخيل الناجمة من فقدان هدوء الدماغ ورباطة
الجأس المتسبب عما بينه جماعة التطيرين في بعض طبقات السحب
من روح الساقط والسحط والتقنوط

فاين هذه الحال مما يجب أن يشعره السحب الناهض
المطالب بحقوقه من روح التفاؤل والاسبشار والاتباع الموقف
للهم والمعزائم الباعث على الخلة والطمع وإبارك الله في المعزم

والنشاط . ألم يقل الحكماء ان الدنيا تنساق للنشاط المعزوم . والمنجرد
 للمصم ؟ الا ترى أن قوة الارادة ومضاء العزيمة تخلق له عينين -
 جدينتين يرى بهما من ضروب الحيل والتدابير وصنوف الذرائع
 والوسائل ما لم يكن يراه من قبل ؟ هلا نظرت الى الرجل المتشائم
 الواهن العزم الفاتر الهمة كيف يجد نفسه مقروراً ويظهر يترعد
 ويرتمش وعليه مثل جلد الفيل وفروة الدب من دافئ الثياب
 والملابس . ثم نظرت الى « الاسكيمو » ساكن القطب - ذلك
 للفتائل المبتهج للبلوى مرحاً ونشاطاً كيف يصنع لنفسه ثياباً
 دفئة من البرد والبلل والبلج ذاته . افلا تعلم - علمت الخير - ان
 من المصاعب والاختطار ذاتها ومن الاهوال والهن والمصائب
 يعرف الرجل المتفائل المرح المعزوم كيف يخلق الاسباب والحيل
 لتذليل هذه المصاعب وازالة هذه الاختطار وابادة تلك الهن
 والمصائب ؟ اليس الطبيعة ذاتها تلقى علينا هذا الدرس حينما
 قراها تحفظ على البحيرات دقاًها وحرارتها بتغطيتها بملاءة من
 الناح وتصنع مثل ذلك بديم الأرض تنغشيتها لحافاً من الجايد ؟
 ان متشائم يسكن الجنة فيصيرها من جراء سحطه وضجره
 وفتور عزمه وقلة حبله جهنماً . ويسكن المتفائل النار فيصيرها
 بفضل انشراحه وارتياحه ومجدة نشاطه وفوة عزيمته وسعة تدبيره

وحيلته فردوساً .

ان الانسان بفطرته متفائل عجول على الميل الى الاستبصار
والانشراح والنشاط والعزم . وان هذا التفاؤل هو الذى يجعله
صالحاً للسكنى هذا الكوكب الأرضى الذى لا يهب الانسان
شيئاً على لرومه خطاة التسخط والضجر وفقر الهمة والعزائم ولكنه
يسخوله بكل شىء على التزام سنة التفاؤل والابتهاج وما يورثانه
من سعة التدبير والحيلة . فابناء البشر باعتبارهم متفائلين نشطين
ترى كل فرد منهم كأنه بمجموعه قوى وجمية كفاءات - فتعداه
قضيبي مغناطيس فوق كرة من حديد . فكل انسان فى هذا
الوجود كأنه مبدع ومخترع قد ابخر فى سياحة استكشافية .
يسترشد بخريطة ذهنه الخاصة التى لا يوجد لها نظير مع غيره
من سائر البشر . وهذا العالم الأرضى يصل فى نظر المتفائلين وكذا
ابواب ومنافذ ومسالك - وكله فرص ونهزوم غام - وكله حساس
وكأن فى كل موضع منه وتراً مشدوداً يجاوب بالانغمة المضربة كل
عزفة عارف . وهذه الأرض الصخرية العالدة هي فى الحقيقة
جوهر حي حساس يفيض روحاً وشعوراً يتأثر بكل لمسة
ويجاوب على كل مسة وجسة وسواء سهرت غوره بمحراث
آدم أو سيف قيصر أو قارب كولومبوس أو مرصد غاليليو أو

منطاد زبلين فلا بد أن يجاوبك على كل واحدة من هذه التجارب
بأعظم جواب واروعه .

كذلك جبل ابناء البشر على التفاؤل وعلى أن يستثمروا
بفضله وبفضل ماورثه من القوة والمقدرة صخرة الأرض الصلدة
ويسخروا الطبيعة الهائلة في قضاء اوطارهم وماآربهم وعلى أن
يغتيطوا ويفرحوا برؤيتهم انتصار الانسان على الطبيعة وسيطرته
على العناصر وبرؤيتهم أن كل رجل متفائل سليم الفطرة قوي
الارادة يظل مصالحا منظما ويكون كأنه قانون افضى الى آشويش
وقوضى فاستخلص منه نظاما وصلاحا .

وجبل الناس أيضاً باعتبارهم متفائلين نشطين على الاغتراب
والفرح باستعراض ثروة الطبيعة العظمى وكنوزها المديدة وبرؤية
هذه الذخائر الجملة بم تناول من كل متفائل . مستبشر مزسكن هذا
العالم . ولا جرم فذلك يفرح في قلوب الناس بنابيع الامل ويستحسهم
الى برة والسجده في سبيل السلام والهمه

وعلى حد ذلك التساؤم فانه داعية الفتور والتبدل ومجلبة
العدو . "تعد وقدما قيل ان 'مباض التساؤم يفتأ الاعين
ويشدهن فهو خفيق أن يعد انتحارا تدريجيا
وأى خير - اصالحك الله في بث روح التساؤم والاكتئاب

في افراد الشعب وأي بركة في تشويه جمال الحياة في اعينهم وفي
تقشيرة ابرصارهم ذلك المنظار الأسود الذي يبرز لهم كل شيء في
وحاء قاتم وبكسو عروس الطبيعة الحسناء ثوب حداد . ويحمل
عرسها الدائم المتجدد مأتما ويرد بشيرها نميا . ويحدث في السلسل
الزلال اقذاء وفي مذاق الشهد الجنى مرارة وفي انسجام
النغمة الرخيمة تنافرا ويطلع في وجنة الشمس الصقيلة نكتة
سوداء ويجرى نجوم السمود بالشؤم ويريك المشتري ضمن كواكب
النحس !

ولكن الخير كله والنعيم والسعادة في مذهب التناؤل
القائل بأن هذا العالم ملك للمؤمل المجتهد وان لكل بنية وسيلة
ولكل غاية سبيلا وان كل امرئ يحمل في يده مفتاحا لاغلاق
خزائن الطبيعة ونفالا احتبال صيدها .

فقل للمتشائمين من ابتاء هذه الامة وغيرها من شعوب
العالم - لا تشاؤم ولا اكتاب ولا تسخط ولا تبرم . فهذا العالم
ليس تيمسون عليه ونسعون في مناكبه انما هو مصنع هائل
مفعم بقوة بفلاكة الدائرة وفصوله وازمانه ومدد وجزوه
ومكينة العالم الضخمة له آلة تملأ الفضاء عرضها السموات والارض
في محكمة البناء دقيقة التركيب لا يترهبها الفساد ولا يتطرق

اليها والوهن والخلل - وهي لا تزال تصلح نفسها بنفسها بقدره
 كامنة في كل ذرة من ذراتها - وهي تصنع كل شيء وتقدر على
 كل شيء - فهذا عنصر الماء أترأه يعجز عن حمل أى ثقل مهما
 عظم ؟ وهب ان هناك ثقلا يعي الماء حمله فهذا البخار امامك
 جبرته أو دعك من هذا وجرب الكهرباء مثلاً . قبل ترى بعد
 ذلك لدخائر الطبيعة نفاداً . وهل حاولت مرة ان تزن بالفناطير
 مقدار ما تسكب الفناء الصغيرة الجارية في مزرعتك من كميات
 المياه ؟ اجل انه لا فائدة الزوة العالم وانه لا شيء في الحقيقة
 عظيم هائل الا كتنوز الطبيعة . هذا على ان الطبيعة
 لا تبدي لنا سوى قنورها وسفوحها وهي من تحت ذلك بعيدة
 الأغوار بقدر عمقها بما لا يبين انفراسخ

الا أن الحزم والحكمة في التفاؤل والانسراح وان التشاؤم
 دليل الحق والجود . وقد تكررت من السهل على جماعة
 للتشاؤمين أن يحقروا مذهب التشاؤم واربابه ويلاحظون بمين
 الازدهار ادعاء للفطنة والكياسة وتظاهراً بالأرب والدهاء ولكنى
 أرى أن آمس انصفائين للشرقة ومانهم البرافة وما يزخره خيالهم
 من قصور لهم . الموقفة حسن الف مرة واعود بالخير والنفير
 واجاب للرءء ولاندعة مما لا يزال التشائم يحفره من حجور السحط

والضجر وسجون الهم والشقاء .

ماذا يستفيد العالم من أولئك المنشائين الذين لا يبرحون
يبصرون في كبد السماء فوق رؤوسهم كوكبا أسود يتخلل لألاء
الضياء والسحب البهيجة الالوان . وربما احتجب آوأة وراء ما يمر
دونه من أمواج النور ولكنه لا يلبث أن يمسود ظاهرا أقبح
ما كان وأشد سوادا .

وعلى خلاف ذلك التفاؤل فانه منبع الحول والقوة والباعث
المعرض على السعي والعمل . وعندى ان الرجل الذى لا يجعل همه
تحبيب الحياة والطبيعة الى الناس باظهارها لانظارهم في أحسن
صورة وأجمل مظاهر كن موته خيرا من بقائه . وعدمه أنفع
من وجوده

التساؤل مرض يتناول صحة والاهم منه شريطه "مقلد
وأساس الحكمة . والابتهاج آية ذلك وإما ته . والبر الكريم
والارب اللبيب هو من حرك فيك نسي الأمل واشعر قلبك
روح الله ويرد البقيع وعنت مرديك الله . ثم ذلك مررب
الجزع وجريت غصة الكرب واشعر ذلك في الخوف
ومضاضة اليأس .

وانما كان الابتهاج والاسراع وسيلة النجى وسبب المورد

في هذه الحياة لأنه سنة الطبيعة ومنهجها ويحيل الى أن للفرح
والسرور هو روح الطبيعة ومنبع حياة الكون ولعلك اذا
استطعت أن تنفذ بعصرك الى صميم قلب الوجود ألقيت ذلك
القلب يدفع لدى كل نبضة من نبضاته تيار السرور الاخر في كل
وريد وشريان من اوعية جثمان الكون حتى يظل نظام الكائنات
بمخذافيه منغموراً بفيوض الفرح وسيول الجبور يدفع بأمواجها
الطامية ويفيق . فلن ترى في نواحي الكون موضعاً مهماخلته
جديدا الا ما كان في الحقيقة مفعماً بالخبر والبركة . فأفقر مكان
يحتوى من البراء مالا يكاد يحصى مقداره . وأجذب محل لا تستنفد
حاصلاته ولا يفرغ من جشاء ريعه وثمرته .

وكل صوت من أصوات الطبيعة ينتهى بلحن ويختم بنغمة .
وكل صفحة من صفحاتها ترتخرف حافتها وتدبج حواشيها الصبغ
الجميلة والالوان البهجة

لأعاق على جدارك الصور الكثيرة المحزنة ولا تلوث
أحاديثك بسواد الشكوى وغممة الدشاوم . ولا تسكن من
الصحاح والايين والتأفف والتأفف والتعسر والنضجر . وكن
على أن تفضل صداقة تضرب الملاءم بموسيقى الولايم . أحرص منك
على أن تبث نواحة تكي الجمهير بمراني اللأثم ولا يصدرن عنك

من المقال والفعال الا ما جدد من أمل . أو خفز الى عمل . أو استنهض همه . أو استثار عزمه .

من كل ما تقدم يستنبج اتنا في موقفنا الحالي ازاء ما يمترضنا من العقبات وما يكتنفنا من المصاعب بطل أحوج ما نكون الى من يبعث فينا روح التفاؤل ويضئ قلوبنا بشعاع البشر والانشراح ويذكر في صدورنا جذوة الامل ويطلع علينا في أفق السياسة كواكب الرخاء هداية لنا في مسالكها الوعرة ومجاهلها المضلة فيملأ نفوسنا بذلك ثقة وإيماناً ويشعرها قوة الببات وعزة اليقين والاعتماد على النفس والاعتداد بالذات مما ينبه الهمم ويوقظ العزائم ويحفز الى جسيم الاعمال وجليل المساعي .

أما خطة التساؤم والنظير فلا أرى لها البتة مسوغاً ولا مبرراً ولا سيما في حالتنا الراهنة التي ليس فيها ما يدعو الى التشؤم أو يبعث على الخوف والفرع كما بينا وأوضحنا فيما سلف فقد اتضح انه ليس امرين للمعارضة المتشائمة من علة أو حجة على ما لا يألون جهداً في اسرده وترويمه من لاشاعات والادحيف والريب والهمم وسيئات الضنون بالمحاصين الغيورين من جلة رجال هذا البلد وخوله وصفوة قضاة ودهاته الآفة للعرض والهوى . وقد ما أدرك الناس أن المرء اذا اسلم زمام ارادته لقائد الغرض والتي عنان

مشيئته في قبضة الهوى فقد نبذ طاعة الحق وخرج عليه فليس
تفى منه محاجة ولا مناظرة ولا يفلح في اقناعه وإخامه الحجة
الناصعة والبرهان القاطع

لذلك تراه اذا أراد نشر أباطيله وترويج أضاليه انصرف
عن مجالات أهل الرأي والحجى ودوائر ذوى اللب والنهى من
النافذى البصر الثاقبى الفطنة والدكاه الدين يصلون بأمضى سلاح
من المنطق والقياس . ويكشفون دياجير الاشكال والالباس .
باسطع سراج من الدليل للمشرق وابهر نبراس فتحول عن
هؤلاء الى جماهير العامة والنساء والصبيان الذين قد يسهل عليه
اقناعهم لا بأساب المنطق والقياس واسكن بقوة التأثير على
العواطف والاحساسات (كما اوضحنا ذلك بأسباب فيما سبق
من فصول هذا السفر) بل بقوة التكرار والالحاح وشدة
الاصرار والعناد حتى يخبر أذهان من يتسلط عليه من البسطاء
الذين يصيحون بقرص تأثير هذا السلطان عليهم وعقولهم بل
يتهمون حواسهم ويغالطون أنفسهم عن الحقائق الناصعة الساطعة
ويخضعونها عن الشاهد الباطق والواقع الملموس

وهذا يحذر به أن ورد فكاهة قصصية أراها أصدق من
يضرب لتمثيل هذه الحيلة الالمية

جاء في الاساطير القديمة ان برهميا تقياً نذر للالهة نذراً أن
يضحى بشاة في يوم محدود ثم خرج في ذلك اليوم ليشتري شاة
وفاء بنذره . وكان في جواره ثلاثة رجال قد عرفوا شأن هذا
الناسك وما كان قد نذر للالهة فرأوا في ذلك فرصة انتفاع لم يحبوا
أن تغفلت من أيديهم فانبرى له أحدهم مخاطبه قائلاً « ايها البرهمي
اذهب أنت لا بتياع شاة تضحيها »

قال البرهمي « أي وربي ما خرجت اليوم الا لهذا الغرض »
فحينذاك فتح الرجل جراباً كان يتأبطه واستخرج منه حيواناً
مشوهاً - كلباً ضريباً أعرج . فصاح به البرهمي « ويلك يا خبيث
يا من يدنس كفه بلمس المقاذر ولسانه باقتراء الا كاذيب ! أتسمي
هذا الكلب النجس شاة ؟ فأجابه الرجل بمنتهى الجرأة والنبات
« أي والله ومن اكرم صنوف الغنم - من انعمها صوفاً وأطيبها
لحماً . ايها البرهمي اغتتم ما ساقه اليك الحظ من هذه الهدية
النفسية وأسرع بتضحيتها تكسب بها أحسن الاجر والثواب
من الالهة » فقال البرهمي « هدايا الله واياك يا رجل . لا بد أن
يكون أحداً قد أصيب بالعمى » .

في هذه اللحظة قدم عليهما ثاني الثلاثة المتآمرين فصاح
كالفرح الجذلان « لله مزيد الحمد والشكر . هذه شاة من

اكرم الخنم . لقد كفت مؤونة الذهاب الى السوق ومسقة
مزاجه الناس هنالك . بكم تباع هذه الشاة يا رجل ؟ فلما سمع
البرهمي ذلك الكلام أخذ دوارق رأسه وهما ذهنه على ارجوحة
الشك يملو ويهبط ولعبت به «وجة قلقة» من الحيرة تطفو به
وترسب . فخطب القادم الجديد قائلا مهلا يا هذا وتدبر ما تقول
وما ترعم . هذه ليست بشاة ولكن كلبا دنسا مشوها فاجاب
القادم الجديد بقوله «ويحك ايها البرهمي ما أحسبك الاسكران
أو مجنونا»

في عدة الآونة داف اليهم مالت للتأمين فقال البرهمي
« اذن لمنحكم هذا القادم في الامر . وقد عاهدت الله أن أقبل
حكمه فوافق الرجلان على ذلك . ونادى البرهمي الرجل القادم
« خبرنا يا أخي ما ذا تسمى هذا الحيوان » فأجابه الرجل قوله
« أيها البرهمي هذه لا أدنى شك ساة مليحة » فقال
البرهمي « لا ريب ان الالهة قد سلبتني حواسي » . ثم استند الى
صاحب الكلب واستسمحه واشترى منه الحيوان القذر بشمن
جيد وضاد لالة وستعضبها فرمته بداء خبيث في مفاصله

هذه فكهة ووجه الغرض يانة المغزى تسير الى مبلغ
تسلط ذوى العايات في كل زمان ومكان على عقول البسطاء بمحض

للإكلام والاعتراف والمغالطة . ولعلها أصدق مثل ينعت ما فكبدته
الآن من تأثير المعارضة المنشئة على العامة والنساء والصبيان
وزجهم في متاهة التضييل والتغدير بما يروجون بينهم من
الاشاعات والاراجيف مع شدة ظهور بطلانها وفرط وضوح
زورها ومنافاتها للواقع الملموس . ولكن ذوى النغيات والاعراض
لن يعدموا في كل آن ومكان من جمهور الناس من يستطيعون
خدعه عن الحقائق المدهمة المحسوسة حتى يحملوه على الاعتقاد
بعكس ما تعرضه عليه عينه وأذنه وبضد ما يكيّف له ذوقه
ولمسه تكذيباً لوحي شعوره وشاهد حسه . حتى تراه يسمى
التمر جراً . والفقر عصراً . ويحلف لك أن العسل مر بالرغم من
حلاوته في فيه . وإن الطيب تنامع عبق اريجيه في شمه وإن الغزال
فيلا على الرغم من غيده وحوره . وإن الكلب شاذوان عرف نفسه
للإله نباحه وضموره

ولكن الحق الباطل الجاحج والا كاذب في هذه
الحياة محكوم عايباً بالفشل في النهاية مهما نجحت مؤقتاً وبالكساد
مهما راجت حيناً . وهي كما نوهذ سا قما مكتوب عليها الحكم
بالاعدام في صحيفة الاقدار وسجل الازل - مهما تراخت مدتها
وطال أجلها

وما دامت وزارة ثروت باشا لا تبرح - كما نراها الآن -
تقدم للامسة في كل يوم وليلة دليلاً صادقاً على تنفيذ خططها
وبرامجها وعلى السير بالبلاد نحو بغيتها وغايتها . وما دمنا نرى
وثبها الجليل ثروت لا يزال يسوق من ناصع الأدلة على شدة
إخلاصه للوطن وقرط غيرته على مجده وحسن عطفه على أهليه
وإدماته السعى الحثيث في تقريبه من أمله وإدناؤه من أمانيه يقطع
بذلك النهار جهاداً ، والليل سهاداً . - أقول مادامنا نرى بطل
النهضة الحالية ثروت باشا لا ينفك يزاف الى إبناء وطنه من
يبناب الآيات على بعد همته ومضاء عزمه وعظم بطولته ما يجعله
خليقاً بقول الخائن

كل يوم تبدى صروف الليالي

خفا من في سعيد عجيبا

طاب فيه المديح والتذ حتى

فاق وصف الديار والتشبيها

أمور . دامت هذه حال الوزارة الحاضرة من صدق

الاحكام ، ومن حراسة الخيرة على مصالحه وشدة التفاني في
سبيل خدمته ، كما تسهد بذلك الأدلة ، البراهين والسواهد المتواترة
استثنائية فازر بعمه ذلك ليزم الذي تصبح في آيات الحق الساطعة

قد محقت أشباح الترهات البسابس . وعقائد اليقين والايان
قد بددت هواجس الريب والوساوس . فيهتدي ضلول ويرشد
غوى ويؤمن مشكك ويذعن مكابر وتنقشع عن أعين غشاواتها
فتبصر وعن آذان سداداتها فتسمع .

انقد 'للعنا فيما سبق من فصول هذا السفر أن من أقطع
الادلة على مضي الوزارة في تنفيذ برنامجها توليها الامر بنفسها في
حكم الـ لاد وادارتها بشكل ظاهر ملموس لا يقبل ارتياباً ولا
تشككاً على الرغم مما لا تنفك تدعيه المعارضة المنشائمة (في وجه
البراهين الساطعة) من أن الوزارة لم تصنع شيئاً من هذا القليل
ولم تزل مسيرة يتصرف فيها الموظفون الانجليز آلة في أيديهم
يحركونها كما شاؤوا وشاءت أهواؤهم .

تحتج المعارضة على زعمها هذا بحجة واحدة مفندة وهي بقاء
عدد المذكور من الموظفين الاجانب في الدوائر الاميرية . فهل
هذا يدل على تحكم العنصر الاجنبي في 'رادة الوزراء بسحب السلطة
من أيديهم وانخاذهم 'مبا وآلات لاحول لها ولا قوة ؟ ان الوزارة
لا ترى من الحكمة ولا من المعقول الاستغناء عن كل موظفيها
الاجاب في يوم أو بعض يوم . فن أهؤلاء الاجانب اطلعا على

أسرار حركة الإدارة ووقوفاً على خفاياها ومعرفة عميقة بدقائق تركيب مكنية الحكومة وتصاريح حركاتها . فمن الخرق والحقافة أن تتخلص الوزارة منهم دفعة واحدة بين عشية وضحاها لما هو محتم أن يسببه مثل هذا التسرع والتهود من اضطراب أسباب الإدارة وارتباك دولا ب العمل .

وماذا علينا من بقاء أولئك الموظفين الأجانب مادام ذلك مؤقتاً الى حين ومادام زمام الإدارة العامة في قبضة الرؤساء الوطنيين تحت اشراف الوزير الواضع الخطط والبرامج المنفذ لها للمسؤول عنها . وماذا يهمنا بقاء هذا العنصر الاجنبي مادام لاحول له ولا قوة ولا يملك ضرراً ولا نفعاً وليس له أن يتصرف في الادارة العامة حلاً وعقداً وإبراماً وتقضاً .

وما أحسب أن هناك شيئاً أدل على حقيقة هذه الحال الذي نصفها وسرحنا من ذلك المشور الذي وزعه وزير المالية على رؤساء المصالح مقررأ فيه مسؤولية الوزارة وتوليها العمل بنفسها بطريقة وخطة لاغبار عليها للسك ولا ظل للشبهة والريبة وهذا هو

د' د' وزير المالية هو الذي يملئ ويراقب السياسة المالية العامة وهو المسئول نهائياً عن اعمال جميع صاحب تامة له . لذلك يطلب

الى رؤساء المصالح .

أولاً - أن لا يتخطوا السلطة المخولة لهم الى ما هو من اختصاص الوزير ووكلائه فيما يتعلق بتعهدات تربط الحكومة أو باتخاذ قرارات أو ابداء آراء فاطمة في مسائل خطيرة
ثانياً - أن لا يستعملوا السلطة المخولة لهم ضمن دائرة اختصاصهم فيما قد يكون فيه مساس بالسياسة العامة .

ولما كان يصعب تحديد هذه المسائل تفصيلها منذ الآن فانه يحسن برؤساء المصالح أن يكونوا على اتصال بوزير المالية اما شخصياً واما كتابة ليأخذوا رأيهم في المسائل الهامة التي تعرض لهم ،

أثريد المعارضة بعد هذا دليلاً على أن الوزارة قد توات الامر بنفسها وقبضت على أزمة الشؤون ودعه الاعمال : أم تطلب للمعارضة برهاناً بعد ما عرفه اللأ أجمع من قيام معالى وزير المالية اسماعيل صدق باشا عقب تأليف الوزارة الحالية بفحص ميزانية هذا العام قبل اصدارها ببضعة أسابيع وبحثها وتجميعها ودرس أصولها . وفروعها وقصودها . على ضيق وقته وادح اعباء واحباته الاخرى . مما لم يمهده في ورير مصرى قبله

وعلى هذا النحو يسير سائر الوزراء في ورائتهم اذ يأخذون

في فحص أعمال تلك الوزارات ودرس شؤون ما يتبعها من المصالح
بجد وحدومة لا تعرف الكلل . ولا يعرفها السأم والملل . ليضعوا
من خطط العمل وبرامجه ما يمكنهم من الاستقلال التام بإعباء
العمل دون أدنى احتياج إلى معونة الموظف الاجنبي مهما علا
قدره وسمت رتبته .

أهل لقد سار الوزراء شوطاً بعيداً . وجروا شأواً واسعاً
مديداً . في تولى الأمور بأنفسهم وإدارة دواليب الأعمال وتدير
دفته كل في مجاله وميدا - إدارة الناهض بالثقل . المستقل بفادح
العبد والخل . المحتش كل ما عسى أن تسوقه إليه عواقب أعماله
من التبعات والمسؤولية .

وهالتا لانطن الحق ونعترف بالواقع وذلك أن الشعب عامة
وموطني الحكومة الوطنيين خاصة قد أخذوا يشعرون في عهد
الوزارة الخفية بأن يد حديدية بضاعة كانت تأخذ بمخنقهم قد
انسحبت من حول أعناقهم ووطأة ثقيلة باهظة كانت تضغط على
متنفسهم قد رفعت عن صدورهم وإن كابوساً مادحاً كان يجثم على
قوى - قور رتق جناحيه نمير ثم حلق . وجذوة حامية كانت
تأبج يروق بها - قد حمدت وطفت . كيف لا وقد كان الموظف
البريء في مهده صغر قدره وانحطت رتبته في العهد السالف

المتدثر ربما غلب رأيه على رأى الوزير فنفذ برغم ارادة الوزير
 مشيئته . اتقد كنا فى ذلك العهد نجزع من امثال هذه البلايا
 ونأسف ونطأطأ ذلة وانكسارا فانسيع السجى . ونغضى على
 القذى . وتقلب على جمر الغضا . اتراه اليوم لا تزال على
 هذه الحال أم ترانا نتيه ادلالا ونشمخ عزة وجلالا . ونزعم
 الاعطاف فرحا ونعنى فى الأرض مرحا وكيف تجوز المقارنة
 بين حال كنا نختنق فيها اختنافا مكبلين بغلال الرق فى أضيق
 سجون الاستبداد الاجنبى وبين حال اصبحنا ننسق فيها نسيم
 الحرية فى فضاء الاستقلال الرحيب ؛ وأين الضعف من القوة
 والمهانة من العزة والوثبة من الركود والانهضة من الجلود .
 شتان ما يومى على كورها ويوم حياث اخى حابر
 فى مجدئ سيد نيانه برأى صفراء طائر
 لا يجعل الجدالظنون الذى جنب سوب اللجب لماطر
 مثل الفراقى اذا ما حيا يتدفق صياحها
 فذبل قواه لا يحمدون شئ على . . . مضى اعصم واية
 المضاعفة وما لم لا يعترفون ، ثم صل لدويمس ، ساق الله بواسطته
 وعلى أيديهم هد نفوز اعصم وانجاح البهر . او قد خات
 قوب من عواطف الشكر واقفرت نعيم من غريزة الاقراء

بالفضل والاعتراف بالجميل؛ أم هي برودة الحقد والكراهية
قد جمدت ينابيع الاريحة والشعور في قلوب اناس وعصافات
الضغينة والبغضاء القارة الفارسة قد ثلجت انهار الاحساس في
قوسهم . فوقف تيارها وانحبس فيضها .

ان أس الفضل والكرم والتبيل والشرف والبر والمروءة في
هذه الحياة هي شكر النعمة والاعتراف بالجميل وان أصل الرذائل
ومصدر الخبائث وينبوع المنكرات والمفاسد وعنوان الضعة
والخسة وشعار اللؤم والنذالة وعلامة الغدر والفجور هو كفران
النعمة ونكران الجميل . ومن ثم ما نراه يملأ الكتب المقدسة من
كثرة الحض على شكر الله ونعمائه وانتهي عن جحودها
ونكرانها مع شدة غناؤه عز وجل عن تكميل المباد وعدم تأذيه
او تأثره - سبحانه وتعالى - بنكرتهم وجحودهم ولكنه علم - عز
مبانه - ان شكر مصلحته يشتركه خث عليه . وان الكفران
منبع الشر اجمع فنهى عنه

وقد قال الحكيم . لأصل في الدنيا انها هيكل ومعبد يقوم
فيه ناس بتقديس شيء واحد . وهو حضرة الرجل الفاضل
مخاضهم لهم . وشكرهم . يسدي بينهم من غير كلامه . وجزيل
معناه . اجل ان هذه الدنيا تمتلئ على شيء واحد - هو الجدير

بحق أن يسمى الالهى المقدس - اذ هو عنصر كل ظاهرة الهية مقدسة في هذا الوجود - وأعنى بذلك الشيء هو ما يشعر به الناس فى أعماق قلوبهم من عاطفة الاجلال والاعظام نحو الابطال الاما جد فى كل زمان ومكان . فهذه الخلة القدسية الالهية هي الدليل الباهر على سريان روح الله ورضوانه بين ظهرائنا وعلى وجود ملكوته الاعلى فوق اديم هذه الارض المستضفة المنكوبة .
 فحينما خلت الارض من هذه العاطفة الشريفة - اجلال الفضل والكرم والروءة فى أهلها من عظماء العالم وأبطاله - فقد احتجب نور الله عن هذه البقعة وقد حيل ما بينها وبين ملكوت السموات وقد حلت عليها نقمة الجبار وامنته . بما قد أقفرت من أس المكلام وينبوع الفضائل . وإياها بقعة من أرض الله كان هذا شأنها وتلك حالها فأى خير فيها وفى أهلها وأى غبطة فى معاشرتهم ومجاورتهم أو ثمرة فى مخالفتهم ومعاملتهم . فقد وجب على البر الكريم أن يغادرها لتوه وساعته واهباً للشيطان الرجيم نصيبه منها ومن أهلها وعليها وعليه العفاء ما بقوا وما بقيت كذلك !
 جبل الانسان على الطرب الى رؤية الجبال والجلال حيث كنا . والفرح بمشاهدة الزائغ المايح والتلذذ بكبار البارح الفائق -
 غريزة فى نفوس البشر . بل ان الاعجب الصادق الحق لجدير أن

يحرر الروح البشرية - ولو برهة - من اغلال سخافات الحياة
ويصفى من شوائب خباياها وذواياها . ولذلك قيل ان الناس يولدون
من بطون أمهاتهم عبادا - فهم لامندوحة لهم عن العبادة
حينما أصابوا لها موصفا . ولقد يطبق الانسان أن يعبد الشيء
الصغير اذا كان حقا فأما الباطل فذلك مالا يطبق اجلاله وعبادته
مهما أمم الآذان بطنينه الاجوف واستطار الابصار بزرجه
المموه . وأى منظر - أصلحك الله - ادعى للرحمة والرثاء من
منظر الجماهير والجماعات يزدهون لانفاء نظرات الإعجاب والاجلال
الى مواكب ملوك واحتفلات لرعمه وامثل ذلك من مظاهر
الفحامة المزورة والابه الكاذبة - وایس فى هذه الجماهير
المحتشدة والجموع المتكاثرة الا من تنوق نفسه الى بذل عواطف
الاحترام والاعظمه واداء فرائض الاجلال والتقدير والى كز
كم منهم يعود ادراجهم مضرقا كشيئا يسكو الى الله - بيه آمله
فيما كان قد حسب وقدر وشدة هبوط ما يبصره من الحبة قآ
دون ما كان قد تخيل وقوة . وكذلك نرى ابراهيم مكدون
السموت ولارض واىكون من وفين فلما جن عليه اليل
رأى كوكبا قال هذا ربى وسأفعل لأحب الافلن فلما رأى
القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال بنم يهدنى ربى لأكونن

من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا كبير
فلما أفلت قال يا قوم اني بربى مما تشركون »

ان مذهب الناس فى اجلال العظماء هو فى الواقع قطب رضى
حياتهم وعصر كيانها وعليه تترتب سائر فروعها وأركانها وعلى
حسبه تتكيف جميع فصولها وادوارها - سواء فى عاقلها العامة
وسواهم خاصة - وفى مساعدكم وكنائسهم واسواقهم .
فايكن مذمبكم فى ادلائمكم ان محرص حُرص كاه على
الاهتداء الى العظيم بحق الصادق البذولة ذى الفضل الخالص
لا المزيف فانك ان اهديت الى ذلك كان اجلالك حراً صادقة
فادركت الخير كاه والبر بمخافته وكألى النجاح مسماك . وان
كان اجلالك كذراً حداثك الى البطل "كذب" فلو سعت اكاراً
واعظاماً فذهبت مع الشيطان كل مذهب . وركبت من الضلال
كل مركب واستحققت الاسم كله والشر أجمع وبثت بالخيانة
والخدلان وخسارة . الا فربما من ذريت من قلوب
وبصائر خربت عليهم تخدع ادعيه بطولتهم حفيت عليهم مواطن
العظمة الخفيفة غلبت على مذهبها الكاذبة ، إذن لساد الباطل
وفسد الجمل الكثير من مصابح هذه الحياة ومر فقها وحل به الدمار
والتنافس وضلت أعمت به أيدي البلى برأى من الناس من حيث

لا يشعرون بذلك ولا يفتنون اليه . ذلك لان هذه الحياة الدنيا
انما هي دار جد و اخلاص وليست بالعبودية ولا أخذوة ولكن
حقيقة من أخطر الحقائق .

قال توماس كارليل : ان الابطال مابرحوا موضع اجلال
الناس حتي في هذه العصور الفاسدة الاخيرة . ولعل الانسان لم
تتحرك في روحه عاطفة هي أطر وأنى . وأبر وأتى . من اجلاله
لمن هو أعظم منه قدرا . وأجل خطرا . وما أراى مغالياً اذ قلت
ان هذه العاطفة هي الأثر الفعال في حياة البشر أو انها الأساس
الذى تقوم عليه الأديان سواء الوثنيات وما هو أرفى وأفضل
من الديانات الأخرى . فهذه الديانة النصرانية هل ترونها في
عنصرها وجوهرها سوى اجلال و إعجاب وضراعة وخشوع
لذات انسانية سامية الهية - ذات أعظم أبعاد العالم قاطبة - ذات
من لا أسميه ههنا باسائى بل أترك ذلك الغرض المقدس لتأملات
الاصمت المقدس :

واذا انتقلنا من الدين الى غيره من مناحي الحياة وشؤونها
أنميد في جميعها من يات احترام الصغير للعظيم والدقيق لاجليل
ومن مظاهر ولاء الوضيع للسريف ما يماثل عقيدة الايمان ومناسك
" العبادة في أمر الدين وماذا ترى لاي دين سوى عاطفة الاحترام

والولاء لنبي أو قدس . وماذا عسي تكون عاطفة احترام الوضيع
للشريف وولاء الصغير للكبير . تلك العاطفة التي هي في الحقيقة روح
المجتمع الانساني وعماده وقوامه الا صنفاً من عبادة الابطال . وعلى
هذا فعبادة الابطال هي أساس المجتمع وسلك نظام الرتب والدرجات
في سلم الانسانية . ذلك الاساس الذي يقوم عليه صرح العمران
وذلك المحور الذي يدور عليه دولاب التعاشر والتعامل . حتى
يصحح ان نسمي مذهب « عبادة الابطال » « هيرواركي » أي
« حكومة الابطال » . فالمعطاء والابطال وذو الرتب والمقامات
في الامة يكونون لها بمثابة الاوراق المالية تنقل الذهب وتقوم
مقامه وان اتفق أحياناً لسوء الحظ أن يحىء الكبير من هذه
الاورق في المالية مزيفاً مزوراً فنحن قد نحتمل الاوراق المالية
ونعيش بها وان وجد بينها المزيف المزور . فاما أن يكون كلها
مزيفاً فذلك مالا يطاق ولا يحتمل ولا يستقيم به عيش ولا حياة
وإذا ذلك تهيج التن وتقوم انورات ويهب الناس يصيحون
« للساواة المساواة » ، إذ تزول ثقتهم في الاوراق المالية « صحيجة
أو الذهب أعنى تزول ثقتهم في الابطال فيظنون أن البضل المرتفع
عن منزلة الاعتياديين من الناس مفقود لا وجود له وان عبادة
البضل ضرب من الخرافة والخيال والحقبة ان صنف البضل

وعباد الابطال موجودة في كل زمان ومكان فهي من العناصر
المكونة منها الانسانية وان تزول حتى يزول الانسان من
الوجود.

لقد فشا في هذا العصر الفاسد رأى فاسد - ذلك هو
انكار وجود الابطال بل كراهية وجودهم . اذا ذكرت للمرء
بطلا من أبطال العالم الذين انقذ الله بهم الدول والمصور
من وهدة الخراب والدمار أخذوا يميئونه ويتقصونه وأوسعوه
ذمًا وقد حاثم زعموا ان ما يعزى اليه باطلا من البطولة انما هو
في الحقيقة مسنعار مما أحاط به من الظروف الخاصة والاحوال
النادرة يقولون : الوقت هو الذى خلق ذلك البطل فهو سليل
تلك الآونة وابن هاتيك الساعة ولولا ظرفه الخاص لكان كأي
امرئ عادي - كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون
الا كذبا يزعمون ان الوقت هو الذى اعاره ثوب البطولة
الوهمي وافاض عليه نور العظمة السرابي - وانه في الحقيقة لا بطل
ولا عظيم . وان كل ما جرى عليه من عظيم المآثر وجليل الفعال
ليس من صفة - من صنع الوقت . فتي كان الوقت هو الذى
يصنع احرار واثني بمعجزات . لقد طامنا رثينا الوقت يصيح
أين البطل العظيم وينادي هـ من فتي هم وهرس ضرغام يقيم

اودى ويصلح مفاسدي ويتقذني مما أنا منحدر اليه من وهدة
التلف وهاوية البوار فلا يجد من يجيب دماءه ويلبي نداه - ويدور
بعينه في فضاء الله فلا يري بطلا ولا عظيما
انى أغض عيني ثم أفتحها

على كثير ولكن لا أري رجلا

وبعد أن يبح النداء صوت الوقت ويقطع الدماء حنجرتة
تخور قوته وتبيد منته ثم تنهار اركانها ويتقوض بنيانه ويمسه الفساد
ويشمه التلف واخراب وما ذاك الا لأن البطل لم يدركه في
ساعة محنته وبلائه ولان العظيم لم يكن اذ ذاك موجودا ولم تكن
القدرة الالهية قد خلقتة وأرسلته هدي ورحمة للعالم

والواقع أن غوائل التلف والفساد ما كانت قط لتصيب
عصراً من المصور لو أنه أتبع له رجل عظيم يجمع بين العقل
والمزينة - بين عقل يعرفه حاجة المصروع وعزيمة يستعين بها على
قضاء هذه الحاجة - فيبلغ بعصره غاية الامل والمنى ويصل به الى
مدى الفوز والسعادة فاما المصور الفاسدة اخربة المصابة بداء
للشك والحيرة واسكفر والجحود فهي في مذهبي أشبه شيء
باكديس الخطب اليابس الميت تنتظر من السماء شهائاً يسقط
عليها فيدكيها ويشعلها حريقاً وما لرجل العظيم يتاح من جانب

الله لئلا تله هذه الاكداس الذابلة الميتة يحياها ويوقظها الا ذلكم
الشهاب الساطع - يؤدى إلى المصير رسالته وينطق كلمته . فاذا
فيها شفاء الغلة . وبراء العلة . واتحاد الآراء . واتفاق الاهواء .
واتتمام المقائيد والمذاهب . واتئلاف المقاصد والمشارب . فاهو
الا أن يقع ذلكم الشهاب على تلكم الاكداس المكدسة من الحطب
اليابس الميت حتى يتأجج سميراً . وبعد ذلك يحينك الجاهل
السخيف النقي الجامد الطبع المظلم الروح الذى لا يفهم معنى العظمة
ولا يفقه سر البطولة فيهزأ ويسخر من ذلك الشهاب الذى أشعل
اكداس الحطب الذابلة بشعلة ذكائه الوقاد وجذوة عزمه المتسمر
فيزعم أن اكوام الحطب الميتة هى التى خلقت ذلك الشهاب
واوجدته من العدم . ياللسخف وياللعصاة !

الا انما يفهم الفضل ذروه ويفقه المروءة أهلها والبطولة
سر لا يدركه الا من تعرف معناه في صميم قلبه وتسمع نجواه في
ثناي ضميره . وقدما قيل : ان "البطل لا يمكن أن يكون بطلا في
عين خادمه . وليس الموم في ذلك على البطل بل الخادم . ولو نظر
اخدم الى "بعض" معين تستمد منه . من روح بطل اعرف بطولته
وسكنه ينظر فيه روح خادم سوقى عامى من طائفة
الخلفاء والغوغاء . وهؤلاء مذهب آخر في البطولة يتفق مع

نذاتهم ولؤمهم ودقتهم ومع سفلهم وضمتهم وخستهم - ولهؤلاء
 ايضاً ابطالهم وعظماؤهم الذين يأتون من الاعمال والوقائع ما يجب
 نفوسهم الخبيثة وارواحهم القذرة - فاولئك في نظرهم هم الابطال
 والعظماء حقاً ولا بطولة الا بطولتهم - ولا جرم فمن ذا الذي قال
 ان الحشرات تطربها نغمات موسيقى الطبيعة أو يروعها سناهاجة
 النيران في ابراجها والكواكب في افلاكها - بل الله وعلماء
 الحشرات اعلم بالذي يطرب تلك المخلوقات من دقيق الأشياء
 وحقيقتها مما لا تراه العين الا بالمجهر لفرط ضوئته وخسته
 اما انه ما بلى جيل من الاجيال ولا نكب عصر من
 المصور بأفة هي انكر وانكى - وامر وادهى - من آفة التكذيب
 بمعظمه الابطال وجلالهم - والكفر بحسناتهم وآلاتهم
 اما انه ليس شيء أدل على سفالة الافراد والمجاميع ولا اشهد
 على لؤم فرائضهم ودقة اخلاقهم وخسة طباعهم ولا انهم على غباوتهم
 وجهالتهم وسخفهم وخرقهم من انكارهم قوة البطل ومقدرته
 واقرارهم للجواهر والجماعات الاعتيادية بالتفضل العظيم والمقبرية!
 من كفرهم بالبطل الفذ النادرة وايمانهم بالمامة والدماء : من
 عمهم عن نور الله المقدس - عن الشهاب الساطع واعتقادهم في
 كداس الحطب اليابس الميت !

هذا وليم الله الغفلة التامة والجهل المطبق والخسة والدناءة
ومنتهى الحق والبلادة واقصى غاية الكفر والجحود . فها علم
امثال هؤلاء ان الرجل العظيم مازال منذ بدء الخليقة كوكب
الهداية فى الظلمات . وزورق النجاة فى العنرات . وسهم الرشد
مسددا الى كبدة الغواية . وسيف الحق مجردا على هامة الضلال
والهماية . وانه الشهاب الذى لولاه ما شبت النار فى المهشم ولا
تأجج الخطب نراما ؟ أليس البطل هو مصدر النور تنعكس
اشمته على الاجرام المعتمة . وينبوع الحياة تفيض انفاسه
فى الاشباح الخاوية العدمية . وهل تاريخ العالم الا سلسلة حلقاتها
نوابغه وابطالها ؟

ولا يسعنا الآن فى مقام وصف الابطال والبطولة الا التنويه
بذكر بطل من أعظم أبطالنا وزعيم من اكبر زعماء نهضتنا وأمر
قواد حركتنا . ذلك هو دولة الرئيس الجليل حسين رشدى باشا
وكيف يتعدي امرؤ للكتابة عن ابطال نهضة الحالية ثم
لا يدفعه الشعور والواجب الى وضع صورة هذا البطل العظيم فى
متحف الحب الوطنى ونصب تمثله فى هيكل الوطنية المقدس أولم
يكن فى كبريت من شوقه "حرف الأغر فى حلبة الجهاد .
والغارس اعلم فى كتيبة سكفاح والحداد أنه هلك من ينكر اياه

انه ما زال الجوهره السكرية في قلادة ماثرنا والدره اليتمية
في تاج مفاخرنا؛

ان أول ما يروع لمشاهد التمل من مناب رشن باشا
ومحامده الجمه العديده هو ذلك الاخلاص الحار والغيره الملتهمه—
ومالى لا أقول ان ذلك البطل العظيم انما هو جذوه حمية متفده
وحجره ايمان متأججه . أولم نره في مواقفه العديده في حرمة
النضال عن حتموق وطنه كيف كانت انفته وأبؤه . وشيمه
وكبرياؤه . وكيف كانت عواطف الوطنيه الحادة اذا ثارت في
جناته وجاشت في وجدانه فتأان وهجها في حروجه الكريم
ولمع شمعها في عينه الصريحة قذف بها منطقه الشريف في وجه
الخصوم جهاراً كلمات صدق وآيت حق لاسد سبيلها حجب
للدجاة والمراوبة ولا تقوم من دونها حوائى المداقة والمصانعة
شأز الذى لاحد داهراحته واخلاصه وقد ما كان الاخلاص
عنصر البطولة وأساسها . "جـ" ان الاخلاص السيد العميق
هو— كما قلـ كما ليس "س ففائـ لرجل العظيم ولا نعى
اخلاص من لا يزال يحز أمة من خلاصه— فـن ذلك—
وأيم الله— عيب ومنقصة— وهـ خلاص مدطحي حقير وقع .

بل غرور وسفاهة . انما الاخلاص اخلاص من كان مثل رشدى
لا يباهى به ولا يفاخر ولا يكاد يحسه أو يشعر به اذ كان فى نفسه
فطريا غريزيا فهو معدن روحه وجوهر نفسه

ان ما يبدو لنا صريحا من فرط اخلاصه وعطفه وحبه لآبناء
وطنه وعطفه على أمانيتهم وغيرته على مصالحهم هو ذلك الذى
يدينه منا ويصل ما بين قلوبنا وقلبه الكبير بامتى روابط الحب
ولسلاك كهرباء الشمور المتعاقب والاحساس المتبادل . فمينه تم
عن نجوى ضمائرنا ومكتون سرائرنا وفؤاده يخفق على دقات
أشدتنا ونبضات قلوبنا وارجل الحاضر القيور يراه الشعب
فيعرف لأول وهلة انه قائم وبخله وبقيته وضائته وما زال الرجل
العظيم يحقق الظنون ويصيب مكانه ومركزه من زمامة الشعب
وقيادته . اذ يكون مجرد ظهوره كفيلا أن يفسح له المكان
اللائق به ويحذب اليه الانصار والاعوان ويخلق له الاسباب
والوسائل والعدد والدخائر فهو فى ذلك كالجدول الفيض يخلق
بذاته لداته صفاته الخصبة المريمة المنتجة الممرة حيثما جرى
وتسلسل

لعمد جهده رسمى فى سبيل لوطن حق جهده وأبلى فى
الدفاع عن التقضية أحسن الجلاء وتأن فى طليعة من عملوا على تحقيق

ما قد تم لنا من الفوز والنجاح وحسبه طاراً انه أهدف صحته
النفيسة الغالية في سبيل بلاده - سلوة المرض وأبلى في محبة
وطنه سرباً عافته العزيرة على جميع مواطنيه وان ارتخصها هو
- سلمه الله وعالاه - وامتنها في خدمة مصالحهم . وقد ثبت في
الميدان ثبات الصناديد على رغم ما كان يقاسى من برحاء العلة .
شأنه في ذلك شأن النمارس المغوار لا يثنيه عن الكفر في حرمة
ابغى ما تداخله من طعنات الاعداء ذلك الى أن خرج
من المعركة أغراً أاج وضاء الجبين يحمل علم العزة والنصر وما هو
أشرف من ذلك وأبلى - أخنى جرحه الدامى الاليم !
حيا الله رشدى باشا !

الفصل الرابع

مناقب ثروت باشا

نقف الآن وجهاً لوجه أمام شخصية من أعظم ما انجبت
 هذه البلاد من الشخصيات الجليلة نحاول جهد طاقتنا بيان
 ما اودعت من آيات القوة والنفوذ ودلائل الفضل والحجى
 وتحليلها الى ما يكون مجموعها من عناصر الذكاء والودعية .
 وأسر السوء والعبرة . هذا ما نرومه الان وما نحاوله وان
 كان فرق قارتنا الضائلة وحولنا الضعيف لأننا نعلم ان البطل
 لا يزل انزاعاً يعي الناس حله وان ما يظهر لنا من مآثره وحسناته
 ثمار تختفي جذورها في أعماق سر الطبيعة وخفايا مجاهل الابحاث
 البسيكولوجية . ونعلم أن تهجم الكتاب والنقاد على شخصية
 الرجل العظيم ابتغاء تعرف اسرارها وتحليلها الى عناصرها يكون
 في الغالب كتمهفت سراب الفرائش على الشهاب المتقد يبهز
 صوره وخبرها . الباهة وقعره بعد ذلك أن ترد عن طيبيه الساطع
 رؤوس متبرقة وجنحة محرقة .

ولكننا على الرغم من كل هذا - ويبعث غريزة الاستطلاع

الفنى التى تدفع كل قف الى الجرأة على اعوص مطالب فنه وابعدھا غورا نحاول الآن ان نجول جولة فى عالم هذا النبوغ العجيب . ونسبح سبعة فى خضم تلك المعبرة المهيبة . لعلنا أن نعود من هذا وذلك بقليل من نفائسها الجملة و ثروتها الطائلة .

ثروت باشارجل عظيم قد توافرت فيه شرائط العظمة التى اساسها قوة الشخصية المتسلطة على النفوس والاذهان بسحر الجاذبية . ومن ثم ما يعمد فيه من تفوق ملكة البيان وخلاصة المنطق فى جميع مراتب الكلام من اسمائها اعنى الخطابة فى الجماهير والمحافل الى ادائها اعنى التهامس والمسارة .

لقد عرفنا ثروت فى جميع ادوار حياته منذ كان نائبا عموميا وقبل ذلك الى وقتنا هذا الذى يترجع فيه دست لوزارة ويدير دفتى الادارة والسياسة - خطيبا معسقا ومنطقيا مفجعا ومتكلما مؤثرا خلايا . لقد عهدناه فى كل ادواره ساحر البيان يفتار أفكار سامعية فيمكنه ذلك من اقتياد رذائيه حتى يحجب "به" من الاعمال ولاغراض ما كانوا يستنكرونه - جهلا منهم فهو "هـ" منذ ساعة فيحماهم على لارتياح الى مزاولته بعد احجائهم عنه نفود وليس بمسير على من بلغ من سحر البيان وخلاصة منزلة رئيس الجليل ثروت بشا أن يلعب بالباب سامعية فيقرع به وتد السرور

تارة وأوتار الحزن أخري وآونة يبعثه نهارات الندم والاسف وآونة
صدحات الجبور والطرب . ومثله قد ير أن يسئل بقوة يانه سخائم
العدور ويستأصل جذور الضغائن والاحقاد حتي يترك المدو صديقا
حليفا . والغند صاحباً أليفا . ويملاً أقلوب اليائسة رجاء وأملا .
والنفوس الموحنة أنسا وجذلا أو لم تحدث خفاياه الاخيرة الرانة
أمثال هذه الآثار الحسان في نفوس الشعب المعمرى الكريم يوم
نزلت على القلوب برداً وسلاما وبددت ما كان لازال عالقا بنفوس
الكثيرين من بقايا الريب والظنون والقلق والاشفاق فكدن في
آينها البليغة جلالة اسمت وفي حجبها لد مغمة زوال الثنائون
وكانت منفذة الموعوم ولا تراج ما عاذ لسرو ولا تراج

ان مثل الوزير الجليل تروت بشا اذا قام يخطب أو انبرى
يتحدث خيل اليك كأنما يه ببار روحه تراغروا روح سامع به
فيملك نفوسهم ويستحوذ على ألبابهم وبنه اذا نشتمه بأختها .
ثم يرى نفسه أحق بالخطابة من سائر المتعبدين لها اذا كان أغزرم
مادة وأملا وعاد يبري له كلام ونه لا جدر به وأولى . واذا ذاك
يصغر بحج . خطباء ويغفون سحيدهم نرحا السرور بسجام
مطر به عن لاشغف حساسات الحسد ر خند وغيرها من
نزع لانه غير ترح كل سامع به الى التفؤؤل في حضرة ويلد

لهم أن يغمسوا أرواحهم في معين بلاغته الفياضة ويغمروا نفوسهم
يرحيق بيانه المنعش . فقل هذا الخطيب المصقع والمحدث البارع
يملا الساعة التي يقضها بالخطابة أو بالحديث من بدائع آياته وروائع
معجزاته بما يجعلها غرة في جبيز العصر ويترك غيرها من ساعات
حياتنا الاعتيادية وكأنها بالنسبة الى تلك الساعة الغنية الفياضة
ساعات نوم وورقاد . فن ذا الذي يعجب بعد ذلك لفرط ما أوقى
أمثال ذاك الخطيب من التأثير والنلة - وذو السلطان على
نفوس البشر ؟

ثروت باشا خطيب عظيم ومن اجل هذا كان بطلا - لأن
هوة الخطابة نوع من البطولة . ذاك لأن الخطيب العظيم يقف
من جماهير سامعيه موقف البارز المناجز المستعد للملاقاة كل قادم
فهو قد وطن النفس على أن يكون في كنهه الحارة المتألمة . وفي
عباراته الثرة المتدفقة . ما يقنع جميع سامعيه مهما تكاثر عددهم
ويفتحهم . وشفى غلياهم ويكون فيه الجواب المسكت على كل
ما عساه ان يجيش بصدورهم ويجول في خراطيمهم من الشكوك
والظنون والاشبهة . لذلك ترى مثل هذا الخطيب اذا قام يخطب
في المحافل وقف وقفة المشمر المنحدر للمتحفز بقدمه متقدمة الى
الامام كالذي قد هم ان يزحف على تلك الجموع المحتشدة ويغزوم

وتلك هي الحقيقة لأنه يزحف عليهم فعلا بجيوش من افكاره
للبدية السامية ويعزوه بكتاب من آرائه الجديدة للبتكرة .
لذلك يجب أن تكون خطبته سابقة في منازل الرقي لافكار
سامعيه ابا كانوا - بل سابقة لافكار جيله ودهره والا كانت
فضولا ولنغوا وهراء . ومن ثم كانت الخطبة الجليلة احذر أن
تعد عملا نافعا من ان تعتبر مجرد كلام والعاط . اذ هي في الواقع
كهرباء العمل والحركة فهي تنطوي على القوة الدافعة الى الاعمال
- شأنها في ذلك شأن ما يرسمه قائد الجيش من خرائط المواقع
واللحام وما يصدره من أوامر الكر والفر والدفع والهجوم .
وكذلك الخطيب إما أن يكون قد جاء لأمر عظيم - ليستنمض
جماهير سامعيه وستنفرهم الى استئصال جيوش الابطال
والاضاليل والى افتتاح عوالم جديدة من الآراء والافكار -
فهيكون خطبته مادة الى الغزو وصحة لى الجهاد - والا فاولى له أن
يسكت

- ان روت بشا باعتباره خطيبا مفعما ومتكلما خلايا يؤثر
في سامعيه ويقنعهم ويحماهم على اتباع رأيه والأخذ بمبادئه وذلك
بفضل ما يجوههم من عوالم مض لا أمر وبحل لهم من مسكلاته
وبإعطائه إياهم بصيرة انقذة وروية انماية ينظرون بها في نواحي

الموضوع وجوانبه ويتفكرون بمنظارها الكشاف الى خفاياه
 وخبائاه فيبدون لهم الأمر على خلاف ما كانوا يمهدون وعلى
 العكس مما كانوا يحسبون ، اذا السواد يياض والفساد صلاح
 والتنافر واثام والاعوجاج استقامة والسوأة حسنة واليأس رجاء ،
 فنل ثروت بشا اذا شاء اقتناع سامعيه وحملهم على ما يريد رأيت
 ينظر الى الامام ويتجه نظره البعيد الى ما مسكون - في حين
 ترى سامعيه قد حاووه ، هم يذرون ما كان من الأمر وما
 انقضي اعني الى الماضي وما قد انكروا من حوائثه واحواله .
 فنظروهم بذلك الماضي معقود وفيه محذور ومن ثم كان قصر
 نظرهم وخيفه واحتباسه في دائرة صغيرة محدودة يترددون
 فيها ويتنزلون كخفافيش في طمة السك والخيرة - وقد يأسوا
 من استقامة الأمر وصلاحه - اما هو (اعني ثروت باشا) فغير
 ذلك شأنه وما كان من زمرة الخفافيش حتى يحصر نفسه في
 دائرة : هي الضيقة ويحبس نفسه في ضمتها وان كان لا ظله
 مع شهاب رأيه لساع ونجه فأكبر اللامع ، واكتمه - وهو
 ذلك السر الضاح - يضرب صفحا عن الماضي المنقرض الدائر
 ويستقبل بعينه الباقية شمس استقبل الدهرة فيصفق في شعاعها
 البراق جناحيه الطموحين ويستدر عبيده ضاربات انداء البشارة

من مزية الامل الصدوق والرجاء المحقق ويستهبط آيات الوحي
والالهام من آفاق المستقبل المشرقة . وكذلك اذا استدبر القوم
المعارضون امرهم وتسبئوا باذيال الماضى واعقاه فلو صدت في
وجوههم أبواب الاراء واعلفت منافذ الافكار وانحبس عنهم
فيض الخواطر الا ما يعسوب عاينه من اليم الكريات مما تكف
به سحاب الماضى المنقشة - رأيت ثروت باءا ذلك الهمام الطماح
العزيمة والاريب الثاقب البصر والروية يضرب صفحاً عن ذلك
لماضى ويمد الى معين ذعنه الفياض وينبوع قريحته المتدفق
فيه ترف من عت - حل الرأى السديد . والفكر الانف الجديد .
ثم يستطلع نجوم فراسته الصادقة فيتلمس في صفوها المشرقة تطوابع
السعود أو يتسقط من شوابك أفنان شجرتها الذهبية أوراق
اليمين والبشارة . حينئذ يقبل على سامعيه فيباغتهم من سوانح
الهام بعيرته وخضرات وحي بديته بما يبدد سحاب شكهم
وريبتهم وينفر اسراب خوفهم ووحشتهم . وهناك يصرم من
غوامض أسرار الأمر وخفايا مثاله ما لم تكن نظراتهم السطحية
لاستطيع من قبل أن تكشف نقابه . وتهتك حجاب ههناك
يفيض نوره المنعم لما لا في اوعية صدورهم من مادة لعلم والعرفان
ما يبرز لهم الموضوع في مظهر خروضا حديد وشكل مستحدث .

حتى تراه يفتن الباهم ويسحر عقولهم ويملوهم دهشة وعجبا كما
لو كانوا زمرة أطفال فينسيهم أفكارهم القديمة في الموضوع
ويذهلهم عما كان يخالج نفوسهم فيه من فلسف الاعتبارات
والاوهام وكذلك ينتصر عليهم بقوة التكهن والتنبؤ وقد كانوا
يحسبون انه لا يملك من سلاح الافناع الا تكرار البراهين
المعروفة المتبذلة والعبارات المرددة والكلام المعاد.

وانى كلما تأملت ماقد أوتي الرئيس الجليل من قوة الخطابة
وسحر البيان وخلاصة التأثير تدكرت ماهله توماس كارايل في
وصف ذلك العبقرى النابغة نادرة زمانه . ومجزأة أوانه . الشاعر
الاعظم البريطانى ، روبرت بارنز « رأيت أن الذئد المتصدي
لوصف ما يمدار به الرئيس الجليل من الممالك البياية والخصائبة
الرائحة ان يستطيع أن يبلغ غرضه بأحسن من ترديده فى الرئيس
ماقاله سالفا توماس كارايل فى مقال أمنه روبرت بارنز

قال ذلك الكاتب الكبير ، كان رنوة فى خلاصة المنطق
وسحر البيان . كان حديده المادى أبدع من شعره و من من
حديث كل من رأيت . رسمت به من سائر الناس .

شرك العقول ونهزة مامتها المعطش وعقله المستوفز
ان طال لم يمل وفى ايجازه يهوى المحدث انه لم يوحز

كان حديثه كالسلم الموسيقى قد استوعب درجات النغم من أخفت جرس التحية وأرق كلم الملاطفة الى أرفع صيحة الغضب وأشد صرخة الوجد . فقيه ضحكة الطرب الجذلان . وزفرة الصب الوطسان . وإيجاز المجتري بإشارته . وأطناب وإيميت في خطابه .

وقد روت عنه السيدات والاميرات ربات الادب البارع . والفضل الرائع . انه كان يزدهيمن بفتنة حديثه ويستحفن بخلاصة بيانه حتى يكدن يثنن في الهواء ويطنن في الجو . فهذا وإيم الله عجيب . وأعجب منه مارواه النقة الجهيذ المستر لو كهارت من أن خدام الفنادق كانوا اذا رقدوا في مضاجعهم للرقاد ورنقت سنة الناس في أجفانهم ثم سمعوا صوت الشاعر بارنز يتكلم وثبوا من مراقبهم فالتفوا به وكلهم اقبال عليه واصفاه لحديثه . ومالني أعجب من ذلك ؛ اليسوا رجالا ينصتون الى رجل ؛ وأعظم مايؤثر عن بارنز مارواه لي شيخ مسن كان من أخص أصدقائه . من أن بارنز ما فتع فاه قط الا لقي منه حكمة . قال ذلك الشيخ . فقد كان بارنز كثير الصمت فاذا تكلم جلي من غوامض الامر وأثار شبهاته . ولا أدري لماذا يتصدى امرؤ للكلام اذا لم يكن قادراً على هذا .

إذا قلنا ان ثروت باشا قد حذق فن الخطابة قلنا نعى بذلك انه قد استكمل أدوات هذا الفن وملاكاته : أعنى صفاء البصيرة وقوة الذاكرة وحسن البيان . ومتانة الحجة والبرهان وحدة الخيال . أي القدرة على إبراز افكاره في صور طبيعية ناصحة . ويضاف الى ذلك الارادة النافذة القوية التي اذا تجملت بالثبات والتمسك كانت جذيرة أن تسمى « الخلق العظيم أو العظمة الاخلاقية » وتلك هي اسمى مراتب الرجولة

لاشك في أن السر في نجاح ثروت باشا كما نأظر وخطيب . يرجع الى قوة أعظم من البراعات اللفظية والمحسن الظاهرية كدمانة الطبع وحلاوة الشيم ورقة الشمايل وعذوبة اللفظ والصوت . يرجع الى قوة خلقية كبرى وملاكة وجدانية عظمى . اعنى الاخلاص والايمان ورسوخ العقيدة بما يدافع عنه ويحاول اثباته من النظريات والمسائل . فهو يقبض على ناصية نظريته ويعتصمها أشد اعتناق وأحره . والحرارة . نتيجة الاخلاص والايمان . هي العامل الأكبر في قوة الخطابة ونجاحها . وذا أردت أن تنجح في خطابك فكن كالرئيس اجائيل عبرمة مرضي لا لما أنت به عالم وموقن وخبير وكفيل أن تحتمل تبعته ومسئوليته وتقدم عنه أوفى حساب وأدقه . قلنا اخذ ابنه البلاغة رقة مداد الى الحقة

الخطيرة الجائلة في وجدانك فترجها الى افهام سامعيك باقرب لغة
وأعلىها بأذهابهم وأوقعها في نفوسهم . ولا مرأى في أن هذه
القدرة العظيمة - هذه الكيمياء المجيبة التي تستطيع أن تحول
الحقائق المنقوشة بلغة الخلق على صحف الضمائر المرقومة بالعلم
العلوى في سجلات السرائر الى حقائق مؤداة بلغة سامعيك من
الجماعات والافراد هي أبدع سلاح طبع في مسبك الصانع الاجل
والعظيم الاعظم

لا نغنى بلغة الخطيب التي ينقل بها افكاره الى اذهان
سامعيه بمراد ما يفوه به من الالهة ولعبارات - وهذه أحقر
وسائل تأديته وأيسر وسائل ابلاغه - وانما نغنى ذلك الينار
الروحاني للذب من ينبوع نفسه والسيال الكهربائي المنبث من
جهازه - وكما ان القائد العظيم يحوز النصر لا بكثرة الواقع
والملاحم ولكن بفضل ما يديره من الخيل والناورات فكذلك
الخطابة والمناظرة هي حرب افكار وادواح ولا تفتاد المسطورة
هي أضعف مناصير لخطبة وأول أجرائها ونماذج أساسية اجوهرى
مدى ما - - - - - من الخطيب وما تتم عنه هيئته
وصوبه ونمته وحركته وحياته من قوة رجولة وسهره ومن
انه يحمل بين جنبيه روحاً أجلاً وحقاً من روح المحاسب.

هكذا شأن فحول الرجال الذين يصولون في ميادين الخطابة
والناظرة بقوة شخصيتهم الهائلة ويسيطرون على النفوس بسلطان
الروح النافذة الباهرة . والطبيعة الغلابة القاهرة . وبهذه وتلك
يحرزون الظفر وينالون الغنيمة . وقد روى عن رويسبير - أحد
الثلاثة الزعماء المعروفين في عهد الثورة الفرنسية - ان سامعى
خطابه من الجماهير والجماعات كانوا لا يكادون يفهمون كلماتهم ولكنهم
كانوا على الرغم من ذلك يفهمون في خضمه الرنانة ما هو أعظم
وأخطر من الفاظها وعباراتها - كانوا يفهمون ما ودعت تلك الالفاظ
من حرارة الوجدان ونارية الشعور والم عاطفة - وكانت عدوى
هذه الحرارة والنارية تذلل اليهم وتسرى في اعصابهم وتسيح في
جوانحهم وهل يريد الخطيب نتيجة أعظم من هذه أو اثر أأسد وأبلغ .
مثل هذا النوع من الكلام والخطابة وان كان اثره
الفعال مضمونا محتوما قد يكون من الزور والباطل وقلم أريد
به التويه والتزييل واتخذ سبيلا الى الفساد ومطية الى الشرور
والذائل . نقول قد ينجح من هذا الكلام الخلاب المؤثر في
النفوس سلطان شخصية باهرة لكننا غير خاصة - ولكن نحاحه
لا يكون الا مؤقتا - لان الاكاذب - ولا بطيل هي كقلم غير مرة
وهينة يزيال والفاء قد كتب لها النوب ومصدر عابا احكم الاعداء

في بحكمة الازل . هم اطل عمرها وتراخت مدتها . فأنت اذا بنيت
خطاتك على أساس من الباطل وكانت مقدمة قياسك المنطقي
أكذوبة فهما استعملت بمد ذلك من خلاصة اللسان . وسحر
البيان . وهما أثرت في سامعيك بحرارة العاطفة ونارية الوجدان
وبهرتهم بقوة الروح الماهرة وغلبة الشخصية الباهرة . فالك لهن
تصنع شيئا وان تحدث في عالم الخفيفة أنرا وتكون اءا انتبهت
من حيث ابتدأت . وما كان امرؤ قط يستطيع بأكل عدد
الفصاحة وأمضى سلاح البلاغة أن يرفع الى ذروة الحنى من
قنن الباطل . انراه . يبط . طبيعه الى توهده . روى الى
الخصيخ .

أما انموز الدثم والتعاح النهأى فذلك نصيب البارعين
الخاصين والخذفين الصادقين أمثال الرئيس الجليل ممن جموا
بين رجاحة النفس وزاها النس . بين حدة الدكاء وشدة الغيرة
والتضحية . بين المذكرات الذهبية والفضائل النفسانية . برسمو
الذكاء والروح معا . وصفاء لذهن واقلب جميعا .

فدع . أثرت في برة الخ . به والبيان منه أصبح معها
هليتا أن يندد منه . رب . ماعه فتدعن الب وتوهو اله . ثر
على توهو . تحكي على عراضهم ووجاهه . وتما ما قبل : ليس

الامير من ابس التاج وجلس على الاريكة . انما الامير من عرف
 كيف يحكم النفوس ويسيطر على الافئدة . وكأني بالرئيس الجليل
 يستطيع بحدة ذكائه أن ينفذ الى اعماق القلوب عجايب ذات
 الصدور مطالعاً على مكنوناتها طلياً بادواء النفوس خبيراً بأمراتها
 وعلاها قديراً أن يداوى هذه العلل والادواء بخلاصة القول - لديه
 لكل جرح ناسم من فنتة اللفظ ولكل كلم مرهم من روائع
 الكلم - فنون شتى من البيان . تدالج بها فنون شتى من آلام
 النفس والجنان . ولا عجب فلقد يؤثر عن « انتينون » اليوناني
 أحد الخطباء العشرة الذين روى « بلوتارك » ، أنهم أقطاب الخطابة
 في العالم - أنه نشر في أثينا اعلاناً عن نفسه قال فيه « اني مستعد
 لمريض المدمن بالكلام و... اواة علل النفس بالالفاظ »
 وليس ذلك بمستحيل . وقوة سلطان الكلام معروفة مجربة في
 كل زمان ومكان منذ كان لسان وآثار الالفاظ في التسايط على
 هذه زجة ومواطف ولا حياء في « بقى » تد والافذر
 و... اهب وكيفية « اوسكريا » حسب « بيل » تدكم وفي ذاب
 كين لا تدهز ررس في الافراء و... اءت - بل قلب كيان
 اول والمائة تعد من قبل حرق في ر... اءت . وعمل ترى

— اصلحك الله — ما يسمونه الرقي والتعاويذ والنفث في العقد الذي
 نزل فيه آية الكتاب الحكيم اذ يقول جل شأنه « ومن شر
 النفاتات في العقد » وغير ذلك من ضروب السحر وفنونه — شيئا
 سوى اللفاظ والكلمات — وهل رأيت رجلا بلغ من النعيم
 أقصاه . ومن الصفاء والرغد منتهاه فوثق بالحظ وأمن من
 طوارق الحدثنان . وأخذ على القدر الميثاق ومن الدهر الأمان .
 الا كان في استطاعتك — ان كنت ممن أوتي سحر البيان أن
 تبدد ثقته وتذهب طمأنينته وتورثه القلق والاشفاق باللفظة
 تنبذها في سمعه . والكلمة تلقيها في روعه . أقلم يرو لنا التاريخ
 أمثال هذه الحال عما كان يحدث بين الملوك ووعاظهم من العباد
 والنسك اذ كان يطلع الناسك على الملك العظيم وهو منعس في
 غمار اللذات والملاهي فيرميه بالكلمة من الوعظ ما ذاهو قد أفاق
 من غمرته . وهب من رعدته . ثم أطرق ما اعتبر . وارعوى ما زددجر .
 ألم تقرأ أمثال هذه الاخبار عن كسرى والسائح وعن النعمان
 وعدى بن زيد وعن المنصور وخالد بن صفوان ؟ وعلى العكس من
 هذه حال — أي كارثة عظيمة أو فاجعة ألحمة تنوب الفنى فلا يكون
 في مقدرة المنطق اخلاّب أن يشرع في تسكين حديثها . ولطيف
 سورتها . وقد عرف أفلاطون البلاغة بأنها « فن سياسة العقول

وتدير حركات النفوس . أليس في استطاعة البلاغة أن تغير
في ظرف سويعات ما شيدته الحقب والايال من العادات
والاخلاق والعقائد ؟

وكذلك قد يبلغ من سيطرة الخطيب العظيم مثل ثروت
باشا أن يصبح جمهور السامعين بين يديه كالآلة الموسيقية بين
يدى المطرب البارح - فهو يعزف على أوتار القلوب كما يعزف
المطرب على أوتار آلة ويستثير من أفانين الاحساسات والعواطف
من جمهوره أمثال ما يستثيره المطرب من أفانين الاصوات
والالخان من معزفه - فتارة يسكن باثرة غضهم ويغنى نيران
وجدم ويرد شارد حلمهم وعازب رشحهم تهدئة خواطرهم وطماننة
قلوبهم وخرى يهيج حميتهم ويجرد عزيتهم وهمتهم . يبكيهم أنا
وأنا يضحكهم . اذا شاء لوى بالطرب أعناقهم وشق بانفكاهة
أشداقهم . وان شاء استذاب بالمعطات عبراتهم . واسمار الحكم
والامس زراتهم . وكذلك تراء يستولى على قلوبهم ويستحذ
على شعورهم وبتملك ارادتهم وهمتهم فتكون طوعهم وكرههم
اسارته فما أمرهم يتروونهم كما فهم يحملون ويتجشمون ولو
كان اقتحام النار وخوض البحر وانذر اهلهم يا ثقتة انوار ربنا حينما
ترك مننده في جزيره « البيا ، قافلا الى بريز حتى اذنزل ارض فراسا

وساريثوم العاصمة في نفر قليل من محبيه وبطائنه لقيتهم جيوش عدوهم
لويز الثامن عشر الذي كان قد تبوأ الأريكة الفرنسية بمد اعتزال
نابليون . فما هو الا أن رأيت تلك الجيوش الجرارة شخص
يونابارت وسمعوا صوته حتى خضعوا له واذعنوا وحيوه تحية
الأكبار والاحلال يدعوونه امبراطورهم ومالك رقابهم وارواحهم
ثم انضموا اليه وانضوا تحت لوائه وساروا في قيادته يؤمنون
باريز واذ ذاك بهت لويز الثامن عشر وزلزل به وسقط في يديه
وفر من وجه نابليون « يبحث انجي مطايا من الحرب »
مثل هذه السيفرة الخطائية والتسلط بقوة البيان على ارواح
الافراد والجماعات شبيهة بما يؤثر عن ساططان الموسيقى وتأثير
النغمات وتحكمها في شعور سامعيها وفي عواطفهم واراداتهم كالذي
يروى عن « اورفيوس » وداوود وغيرهما من نوابغ الموسيقيين
انه كانوا يجذبون اليهم بقوة عجيبة من قبيل قوة الجاذبية الطبيعية
جميع الكائنات ما بين حي وجماد من انسان وحيوان داجن
ووحشي ومن سيم مناد وضيق فراس وحشرة وهامة ومن شجرة
وباب وصخرة وجمود . وكذا يروى عن المطرب « يودوز »
كيف كان حياك برحيم نغمه وارمزها في بعض المآسم استطاع
ان يسحر عقول حمة البشر وينتفح اليهم بقوة تأثيره حتى ذهلوا

عمام فيه وبمرضه من شعائر الجنازة وانبروا يرقصون حول
فمى الليث .

ان الخطيب البارح والمحدث الرائع لا يحتاج الى جرس
يلفت اليه الناس وينبههم الى مكانه ويشعروا بنفاسة اقواله - كما
انه لا يحتاج الى بوليس يقوم بمهمة توقيف الناس حوله وتثبيتهم
تحت بالقوة الجبرية ومنعهم من الانصراف قبل تمام الحديث أو
الخطبة . ذلك لأن الحديث العذب والخطاب الشيق يجذب
بطبيعته الخلائق ويحجزهم بلا واسطة تشويق أو ترغيب . وكانى
بالوزير الجليل ثروت باشا من ملك اعنة البيان وفقه اسرار
الخلافة اذا انبرى يتحدث أو يخطب استدرج الشيوخ من
مجالسهم واقتباز من ملاهيهم والصدية من ملاعبهم والمرضى من
مضاجعهم وأثبتهم حوله مغلولين بأوثق قيود من الفتنة والطرب
فسابهم ارجلهم حتى لا ينصرفون وسلبهم ذاكرتهم حتى
لا يتذكروا هم اشغالهم واقدم واجباتهم فتشغلهم عن كلامه
وتلهيهم . - وسابهم عقائدهم حتى يكون أيتسهم باقواله
خاصا صريحا لا يشوبه رأى مخاف ولا تعارضه افكر منافية أو
نظريات مضادة .

وقد حدثنا المؤرخ اليونانى العظيم « بلوتارك » قل لما

سأل ارخيداموس « ملك اسبرطة » ثيوسيديدس « عن صراعه مع « يريكيز » ايها كان أشد بأساً واصعب مراسا واقهر خوصه وقرنه قال « ثيوسيديدس » انى كلما صرعت ييريكيز ووسدت جنبه الترى انكر ذلك وجادل فيه وتعالى واستطاع بخلاصة لسانه ان يحمل الناظرين والشهود على تصديق مزاعمه مروجاً لديهم الزور ومحققا الباطل » ولما سمع فيلب ملك مقدونيا وصف احدى خطابات « ديموسطين » وقوة تأثيرها قال « اما والالهة لو كنت شاهده لاستطاع ان يحملنى على اعلان الحرب ضد نفسى وتجريد السلاح لفتاها » . ولما قام الخطيب البريطانى « بيرك » فى البرلمان الانكليزى فالتقى خطبته الطنانة فى اتهام « ودين هتستن » حاكم الهند اذ ذاك قال ذلك للتمهم مع اعتقاده براءة نفسه من التهمة « لقد بلغ من فرط تأثرى بكلمات « بيرك » انى ابنت اثناء خطبته اعتقد انه ليس على وجه الأرض آثم اشنع منى جريمة وافطع جنابة . »

لقد رأينا ثروت باشا فى احاديثه وخطبه يجمع الى الخلابات الانفصية الحصة والبراعات البيانية البحتة مزايا اجل من ذلك واشرف على العناصر الروحانية والقوى الوجدانية من اخلاص وغيره وصدق ايمان وتخضية . وهذه هي التى تكسب الخطبة

أو الحديث صفة الجزالة والفحولة ومزية الجلال والعظمة
وتطبعها بطابع المجد والخلود. فإذا خلت الخطبة من هذه
الصفات العظيمة والميزات الجليلة واقتصر على الخلابات اللفظية
والبرامات البيانية كانت فائدتها وقتية وأثرها سريع الزوال وكان
قصارى فعلها أن تسترق الأذان بحلو اللفظ وعذب الكلام وتلد
ملكة للتصور والخيال فتكون بمثابة ماهرة ومسللة ليس
الا. فهي وإن أثرت أشد الأثر في وقتها وساعتها فليست تعدو
كونها خدعة وشعوذة لا يلبث أثرها أن يضمحل فيزول
فهي أشبه شيء بصوت الآلة الموسيقية تمر في الطرقات والشوارع
فتحرك خيال المارة وتثير عواطفهم وتتركهم وكأنهم شعراء لحظة
من الوقت ديثماترن في اسماعهم نغماتها ولكنها لا تلبث أن يزول
أثرها من النفوس متى تحوأت إلى الحلي المجاور. لذلك أرى أن
اللسان الطاق الدليق إذا لم يكن من الحدة بحيث لو وضع على
الشعر لحاقه. وعلى الصخر لدائه. ولو لمق النجم لمحا. أو القمر
لطواه. أكان أقصى جهده أن يحدث نشوة لا تلبث أن تزول
وغاية ما يستحقه أن يدرج في عداد المسكرات والمخدرات
كالافيون والحرة. ولكن أحسن علاج يتقى به تأثيره سدادات
القفن تجعل في المسامع أو قطع الشمع التي جاء في أساطير اليونان

ان « يولوسيس » سد بها آذان نونية سفينته حينما كانت تموج
بهم على جزيرة الساحرات اتقاء ما خشيه عليهم من فتنة اصواتهن
وسحر الخائن

هذا النوع من البيان السطحي هو شىء خالف ما قد امتاز
به ثروت باشا من قوة البلاغة الحرة له ادقة . وانى ارى فرق
ما بين الصنفين كالذى بن رشاش الفواردة الحسانية الذى لا يكاد
يتصاعد حتى يعاوى ولا تمكك تلالاً على لبات الضحى فلانده .
حتى ترفض حياته وفرائده . وبين البحر الخضم في دوافق موجه
ودوافع لجه . تجيش فيه زوخر عبا . ودمع بصف في حجريته
زماجر عجا . وصحابه . ويكن في اءفه نفائس اعلاقه .
وليستكن في ضميره روائح ودثمه . ودثع بضائمه . وكذلك
شأن الخفايا السمي المرحلة في مراتب اللغة وهذه صفات
من قسم ذيرة "بند زير" - "بند زير" - "بند زير"
لعمري مربة نادرة وغاية نعية لمسا تمطع من دونها انفاص
البراذين ولا يدرك مدعا الا الكرا . المتق

وابن الميوت اذ مال في مرن

لم يستعص صوت البزل القناعيس

وانما فال روت باشا هذه "ماتة" و"نغ" هاتيك الرتبة بفضل

ما اجتمع له من خلال قلما اجتمعت الا لواحد في جيل وفرد في أمة - وهذه هي العقل والدهاء والعزم والحزم وقوة الارادة والغيرة والاخلاص والشغف بالحق والهيام بالحقيقة يعزز هذه خلاصة للنطق وحسن البيان ودعامة الطبع ورقة الشمالك . هذه اخلال اذا استكملت في رجل تكون فيه من مجموعها تلك القوة المعجبية النادرة المسماة « فتنة الجاذبية الروحية وسحر السيطرة الشخصية » ومن كان هذا شأنه فذاك خافي أن يرجع بسائر أهل جيله وخايق أيضاً أن يتغلب على كل امر وحادث فإذا صادفته للمعضلات والمشاكل صادفت فيه فكك عقدها وحلال الغازها واذا لاقته المحن والكوارث لاقته فيه فتا كها وفراسها وينام منه لرحل بلمود صدام يحسبهم فيسحقهم . ومقذف رجام برؤسهم فيمحقهم . مثل هذا يبطل يكرن كفوفاً لكل حادثة وكارثة ولكل أزمة وشدة . فأين الرجل الاعتيادي مثلي ومثلك من ذلك البطل في ساعة الروح والخطر وقد حسرت لاهية الدهياء من نقابها . وكشفت انحنة السكراء عن نهب . فل في ما ذ تصنع اذا وجدت نفسك وسط زوبعة على كواهل امواج كالجبال في بحر جوح الموج عجنون العباب وحولك انس قد طاس الذعر بألبابهم وطار الرعب بقلوبهم - اكنت مطيقاً أن

تسترد عازب ذهنك وتربط نافر جأشك ثم تستلم مقابلد ييانك
وعنان لسانك فتصرفهما بحزم وحكمة في طمأنة افتدة اولئك
الجازعين الهالعين وتسكين خاطرهم وتوسلا الى النجاة من ذلك
الخطر ؟ واذا رمى بك الحظ السيء في أيدي لصوص أو جمهور
ثائر أو اغوال من اكلة اللحم الآدمى فاذا تصنع وكيف تلتمس
الخروج والنفذ ؟ واذا اوقعك القدر في يد فاتك من قطاع الطريق
فهم أن يسلبك مالك وروحك فاذا أنت صانع ؟ اراك تعرف
كيف تخرج من هذا المأزق الضنك بفضل قوة الذهن وشدة
العارضة وذلاقة اللسان وخلاصة المنطق ؟ منلما كان يفعل رجل
كمعاوية أو ابن العاص أو طاهر بن الحسين أو صلاح الدين أو مثل
الاسكندر أو يولوس قيصر أو القائد « مالبرة » أو البرنس
دى كوندبه أو محمد على أو نابليون ؟ (ايس من شأنى ان اتصدى
لالحاق ثروت باش. بهؤلاء الابطال من ذلك موكل الى حكم
التاريخ فى قادم الاجيال وان كان لا يسعنى الا الاعتراف والافراد
بأنى أنس فى شخصية الوزير جليل عنصراً من تلك الفحولة
وجذوة من ضيب هتيك البطولة). لا شك انه متى طاع اللص
قاطع الطريق على خدمته سميناً من اوائك الابطال احس فى الحال
انه قد لقي من هو اشد منه بأساً وصولة وقل فى نفسه « ان

كنت ربحاً فقد لاقيت اعصاراً ، ولا عجب فما اعظم الفرق
 والتفاوت بين الرجل والرجل في قوة الوجه ! الست ترى الرجل
 يتغلب على الآخر بتفوق الاول على الثاني في قوة العين وحدة المعظ
 فيبهره بذلك حتى يحيره ويربكه . او ما سمعت بالرجل كيف يستطيع
 بريطة الجأش وجراة الجنان وبالتفة بالنفس واستشعار سيما العزة
 والعظمة - أن يخضع الرجال ذوى المنزلة والمكانة والصولة والتفوذ
 والجاه فيقودهم ويسودهم ويرأس ماشاء من الشيع والاحزاب
 فربما عزل الملوك والنبي السائير وقاب الدول وللمالك . واني لا أشك
 في أن مثل نابليون بونابرت أينما وضعته وفي أيما زمان أو مكان
 للقيته فلا بد أن يسود ويقود وينفذ كل ماشاء وأراد . وقد كان
 يونس قبصر في أيام صباه وقع في أسر جماعة من القرصان . فاذا
 كان منه : افند التي بنفسه في سفينة ثم ما لبث أن أكد بينه
 وبينهم أمتن روابط الصحبة والالفة . وكان يحدثهم القصص
 وال نوادر تارة ويلو عليهم الخطب تارة أخرى . فاذ رآهم لا يمللون
 اعجاباً ولا يصفقون ضرباً هدهد بالاعدام شنقا (وقد نفذ فيه
 هذا الوعيد فيما بعد حينما صار قبصراً) . ولم تك الا مدة قصيرة
 حتى أصبح زعيمهم وعميدهم . مل هذا الرجل معصوم في جميع
 أوقاته وحالاته من آفة الاضطراب والارتباك والدهس والحيرة .

فهو لا تنفذ من يديه أوراق اللعب الفائزة فاذا التي الورقة فكسب
 « الطابق » لم تستطع أن تقول هذه آخر ورقاته اذ لا يزال لديه
 عتاداً من السلاح وذخيرة من القوة . مثل هذا الرجل يستطيع
 كما قلنا أن يقاب كيان الدولة ثم تصبح أحاديثه ضرباً من المعجزات
 والخوارق وأجل معجزاتها أنها تؤثر في سامعيها فتنة وسحراً حتى
 يولونه على مجرد السماع به اعظم الثقة واكملها وبذلك يتأتى له أن يغير
 وجه العالم وحينذاك يسعى في خدمته ويقوم بتريده صدى مساعيه
 الشعر والنثر والتاريخ وتنشأ المذاهب الفلسفية الجديدة لتعليل سبب
 وجوده وحكمة حياته واعماله . ان منزلة هذا الرجل هي تمام مقدرته
 على امتلاك عواطفه ووجداناته . ولكن سر غايه وسيطرته أدق
 وأعمق من هذا . ذلك هو سريان قوة العاليمه بلاعاقب وجريانها
 وانطلاقها بلاعقبة او حائل من ذهنه وارادته الى يديه . فالرجال
 والنساء امهين ولا رحيمه وحدثت له مـ رحيل الى مراره
 وذرع الى اغراضه . وما أحسن قول لوتر حيث يقول « انما
 الرجل من جاد الكلام » . « مال هذا لرجل كات ولايات اليونان
 تستهين . تستورد من ولاية اسبرطة » (أوفر الولايات
 نصيباً من النحول) حينما كانت تحتاج الى قائد .

واذا ضرت صفحاً عن خول الرجال من الملوك و"قواد وأهل

الحرب والقتال ألفينا في ساحات السلام ومناذج الأمن والسكينة
فخولا أيضا لا يفلون عن اوائلك جزالة وقوة وسلطانا على الانفس
وسيطرة على العقول. فهو لاء وان لم يعتلوا مسرح الحرب والسياسة
أو يتصدروا الزعامة أو قيادة وكانت صناعاتهم مادية ومناهج عيشهم
سلمية مدنية ترام مع ذلك يؤثرون أينما حلوا تأثير السماع المنمش.
أو الزمهرير المرعش. واذا نطقوا أصبح لهم وان لم يكن نطقهم
الاهمسا ونبسا. واذا خطوا قصدوا وسددوا. واذا فعلوا
أحسنوا وأجادوا. ثم يكون عملهم قدوة تنحى ومثالا يحتذى.
وهؤلاء الفحول يلقون في أخفض منازل المجتمع مثلما يلقون في
أرفعها وأسمأها.

فأساس الملكا الخطابية في جميع الحالات وعلى اختلاف
شؤون أربابها وأعمالهم وحرفهم ومراكزهم - هو قوة الشخصية
وشرف النفس وسمو الهمة. ولذلك ترى الأمم والشعوب اذا
احتاجت الى من يمثليها أمام الخصوم يرتتل أمانتها وأغراضها
ويطالب رد حقوقها عمدت الى من كان من بين أفرادها قوام
شخصية واعظم روحا وأجزلهم حظا من صفات الرجولة وخلائ
الفحولة كالخزم والرزم والحمة - الارب والحصافة والجرأة
والشجاعة مع سمو المركز الاجتماعي - جاءت اهتمامها بهذه الزايا

الاخلاقية النبيلة . والسجايا الرجولية الجليلة . أشد من اهتمامها .
 بالكفاءات الفنية كالخبرة القضائية مثلاً أو غزارة العلم بالقانون
 الدولي والتجارى أو التفقه فى العلوم الاقتصادية والسياسية . وإلى
 النوع الاول من الصفات والمزايا - أعنى صفات الرجولة والفحولة
 كانت ترمى الامة المصرية - أعنى ذوى الراى والمكاته واولى
 الفضل والكفاءة والوزن والجاه منها - حينما عمدت الى اختيار
 الرئيس الجليل ثروت باشا ليمثلها لدى الخصوم ويكون النائب
 والوكيل عنها فى المطالبة بحقوقها وتحقيق أمانيتها . واتفق صدق
 ظنها وصحت فراستها وأصبحت محمد مذهبها فى اختيار ذلك
 البطل حينما حقق شطر أمانيتها وبات ساهر الجفن قلق الضلوع
 متوقدا الاحشاء فى تحقيق مابقى من آمالها . فطوبى للامة المصرية
 ومرحى ! لقد علمت وعلم العالم اجمع انهما حينما اختارت ثروت باشا
 للدفاع عن قضيتها والمغالبة بحقوقها قد اختارت الرجل الذى اذا نادى
 بانخصومه اسمع . واذا ناضر أقنع . واذا خاصم أغم . واذا ناولاً ارغم .
 من يساجنى يساجل . جداً

يتلأ الدلو الى عقد السكر

كادوا وكنت فأزهقت مادبروا

احدى هنالك ايما ازهاق

ان السر في نجاح خطة ثروت بفضل قوة تأثيره واقناعه في خطبه وأحاديثه هو ارتكاز كلامه على أساس الحقائق النابتة . ولا مراة في انه ما كان للرئيس الجليل ولا لأى خطيب او مناظر كائناً من كان أن يبلغ ما يريد من التأثير في معارضيه واقناعهم بمجرد الملاحظات الكلامية ما لم تستقر في جوف كلامه حقيقة صلبة مادية . وقياساً على هذا نقول ان ثروت باشا خطيب عظيم لأنه يرمي في اثناء خطبه بالحقيقة تلو الحقيقة أو كما يقول أهل المجاز لأنه يصبب الحز ويطبق الفصل وقرطاس الفرض ويصمى كبداية الحقيقة وله بعد ذلك ما يسمونه مأكلة التعميم اى استخلاص الكليات من الجزئيات والقواعد من المفردات فهو يستنتج اثناء كلامه المنسجم الفياض القاعدة والفاووت ينير به جو المناقشة ويحلي به ظلمة الشك وتشبهة في أوجز اختصار واسرع ايماء كأنه لمحة البرق في غاشيات الضباب

كم حومة للجدال فرجها

والقوم عجب في مثاها خرس

شك حشاها بخطبة عن

كانها منه طعنة خلس

ثروت باشا هو الرجل الذى يشتمل على الحقائق الخطيرة
ويعرف كيف يلقي بها فى روع المخاطب ويقذفها فى جنانه - يعرف
كيف ينقلها الى وجدان المخاطب سواء اشاء المخاطب أم لم يئسا
ويمحله على الاقتناع بصحتها والاعتقاد بها بالكره . . . وعلى رغم
أنفه . . . وكم من رجل يشتمل من الحقائق الخطيرة على مثل
ما يشتمل عليه ثروت باشا ولكنه يعجز عن ملأها الى قلوب
معارضيه وعن حملها على الاعتقاد بها . وانما ميزة الرئيس الجليل
انه يعرف كيف يهتدى الى ذلك للسلك السرى والمنفذ الخفى
الذى يوصله الى كل قاب مغلق وجنان موصد من انمدة معارضية
ومناوئية . وكل معارض فى حقيقة من حقائق مكذب بهامناق
دونها باب قلبه مهما حول انفسحاء والبدء . . . لا . . . فى ذهنا
واقرارها فى ضميره بمختلف اساليب البيان وشتى وسائل النصيحة
- دعم انه يوجد فى أسرار البلاغة أسلوب دا وعنه فيه نداء
الحقيقة كنى كميلا فى قواد ذلك الكبر
مهما تحسن دونها كيف يجاز الجرد روع مارصة
نم قد يتاح لهد المنكر لمعارض ذ البين ر بصب تلاء

الحقيقة المكذبة لمفوضة في قاب عجيب غريب مخالف لآلاف الصنيع والقوال التي اعتاد ان يسمعها عليها - فيكون لهذا القاب من القوة والنفوذ ما يخرق به حجاب سمعه وقلبه ويفضي الى اعماق جنانه فيضع ثمت تلك الحقيقة ويضرب هنالك اوتادها وأطنابها فترسو وتستقر على عرش فؤاده عقيدة راسخة مكيئة عظيمة النفوذ والسلطان . فاذا ارتاح ضميره الى الخضوع لسلطان هذه الحقيقة سلم وعاش واذا كره بعد كل ذلك ان يخضع لسلطانها لم يغنه ذلك ولم ينفضه بل استراه يموت من دون ذلك كمداً فان حكم هذه الحقيقة بعد تمكنها من عقيدته سيكون نافذاً قهراً محتموماً - فاما أن نخضع لها فتكون حاكمة وما كنهه واما أن يأبى الخضوع فيموت بها - داء القتل وبنية العاجلة . - فهذا بلا شك اروح اساليب البلاغة وامصى أسلحتها والذي يعالج بمثل هذا الاسلوب ويكافح بمثل هذا السلاح لا يملك أن يثمن دولة البيان وساء ان البلاغة ويردد قول سنا عيه السلام
 د من البيان اسحرا

ولأن ما امتاز به لرئيس من حمة الاخلاص ولهيب الحمية الذي هو اصل الحدة ومنع روح والهمة في احاديثه خطبه

...وهذا مستمد من مصدرين : (١) غيرته ووطنيته الغريزية (٢) الظروف الراهنة الاستثنائية . فان الظروف - كما لا يخفى - تكون أحياناً بمثابة منبع قوة جديد يضاعف ما بالإنسان من قدرة وهمة . ومتى اجتمعت قوة الظروف وكفاءة المرء فذلك اجتماع العقل البشري والقضاء الالهي . وقد أرى اخلاص ثروت باشا لفرط حميته اشبه شئ بالنشوة قد تملكته شعوره واشتات على لبه . فهو يكاد يترنح ووطنية وغيره . واذا اراد الكلام ازدحمت سيول البلاغة في صدره ثم انطلقت تندفق دفماً فدفماً . وتراه قد تملكه موضوع الخطابة أو الحديث أعنى موضوع القضية للقدسة تملكها يترك الافكار والمعاني تنسجم في نظام هو نظام الطبيعة ذاتها - اقوى النظم البيانية وأروع الاساليب التمييزية وأجل وأعظم من أن يجارى أو يبارى . فلا جرم اذا قلنا ان ثروت باشا اذا خطب فانما الطبيعة تخطب باسائه . واذا فاضت احاديثه فانما هي الحقيقة تفيض من معيز قلبه ووجدانه . فلاعجب اذا كان تأثيرها في النفوس تاماً و... اعطاه على الاذهان والارواح ... ان طبيعة في كل حركتها و... على اختلاف صورها ومظاهرها . زنى لا أرى مد في هذا الاخلاص الرئع الشديد وفي عظيم ما ينتج عنه . من خضب لرئيس الجليل وأحاديثه

الباهرة - مصداقاً على تلك الخرافة القديمة وهي « انما يصيب الغرض من السهام ما يغمس أولاً في دم الرامي »

من حقق النظر في احاديث ثروت باشا وفي خطبه وفي خطب واحاديث سائر ائمة الخطابة والمناظرة في العالم امثال ديموسطين واسكينيز وديماديس وبيريكليس ولوتر وفوكس وشامام وباتريك هنري وآدمز وميرابو وايسوقراط وبيركشوجون بابتست وهرميت بطرس وچون نوكس - وجد أن أصدق تعريف للخطابة أو الحديث البايغ هو انه « افضل كلام صادر عن افضل روح » وانه « عنوان كل ما يحتوي الذهن من آيات الجلال والجمال » فاذا خرج الخطاب أو الحديث عن كونه مجرد آلة وأداة تمادية ما يجيش بالصدر من عقائل الافكار وكرامات المعاني وأريد به أن يكون غاية في ذاته وأن يتباهى ، ويفتخر ببعض الزخارف والحلى صاراً كذوبة وخدعة .. وليس هكذا حديث ثروت باشا ولا خطابه - وما كانت قط هكذا احاديث الفحول مذكور كما ولا خطابه - جل ليس هناك شيء لفحواه في كرامته وليس بهد « مر الاخلاص والصدق والغيرة والاباء والوطنية . وما زلت رجاء ، ولا خلاص » .. نزلت بين يثرون نرض الشريف والسبل نسح في جبهه داسيه ..

نفحات البلاغة والمفاخرة بطنين مطربات البيان والخطابة - اعني
يؤثرون الجوهر على العرض والروح على الزى والملبس . وتلك
شيمة الاخلاص الزاهية .

شتان بين كلام المحلص الجاد الغيور صادراً عن أعمق اعماق
نفسه وبين كلام المزخرف المتأنق الماث صادراً عن أغلفة قلبه
وقشوره الطاهرة - فهذا الاخير ليس سوى سحابة صيف .
وعجالة صيف . وشيء يولد مع الصباح ويذول وقت الروال .
وشبح يذهب كالظلال . بدهاب الالهواء والاميال . وأما الاول
دبة تنقش على صحيفة الرمان . وتبقى على الدهر ما في الانسان .
وتنتج أعظم النتائج من آثار المدنية ومظاهر العمران . وهل هذه
المدنية الحاضرة وآتى للذنيات وماضيها وكل ما يمر بها سائفاً
وحاضراً ومستقبلاً من آزار الانسان في هذه الحياة ومصنوعاته
ومبدعاته ومخترعاته من دول وممالك وخم وديسانير وقوانين
وتبرائع وآداب وأحلاق وعلوم وصناعات وفنون ومعاملات
تجارية واقتصادية وسياسية وقصور ومدائن وفلاع وكنايس
و... كما . تحف ومصنف وكل ما يقوم عليه صرح هذه الحياة
المدنية والدينية . وأساطين العمران - وكل ما يساعد
الإنسان في الشقي المسكن . على تخفيف عبء الحياة وتلطيف آلامها

ومعالجة آفاتهما ومحنها واساغة جرعتها المضيضة ومضغتها المرة
وتليين عجالاتها العسرة للمستعصية سهيلا سيرها بقافلة الانسانية
التمسة في اوجار هذه الحياة الشاقة الالمية الى مثوى الانسان
الاخير في سكينه القبر وهدوئه - أقول هل ترى كل هذه
الاشياء المكون منها صرح المدينة ونظام الحياة الا نتيجة كلمة
حق تعبر عن فكرة صالحة ؟

أحل ليس روت باشا بالعاب في أحاديثه وخطبه تنوخي
التأثير السطحي في الجماهير بطنين الكلم الاجوف الرنان ويخدع
العمول بزرج الكلام وتزاويته ينبغي بذلك المغامرة باللسن
والذلافة والمباهاة بالصدق واللباقة . ويرى الشبهة والدكر والجاء
والسائد - ولكنه رجس الجذو ولا خلاص والصدق قولاً وعملاً
كثير الاطراف والتفكير فاذا عاقق فاشأت من لب وفضل
وحكمة . لا يتصدى بالكلام افرض من الاغراض أو مسألة من
المسائل لا أنار شبهتها وكشف عامتها واستنار دفينها وهكذا
يجب أن يكون الكلام والا فلا ان تروت باشا ذلك الرجل
المجبول فطرته على الجذو والاخلاص والحمية يرى في قضية البلاد
المقدسة أمراً جللاً أعظم من أن يحتفل اعيب والتظاهر والمباهاة
والادلال بربات طنان الكلام وسجعاته . لقد كان الامر عنده

كما قال توماس كارليل - « أمر حياة أمة أو مملكتها - أمر فلاح أو خسران ومسألة بقاء أو فناء . فلم يك منه ازاء ذلك الا الجدل المر والاخلاص العميق . فأما التلاعب بالكلمات والعبث بالحقائق فليس من شأنه البتة . والعبث والتلاعب في المسائل الحيوية الجلى جريمة من أفظع الجرائم اذ ليس هو الا رقدة القلب وهجمة العين عن الحقائق وتقلب الرؤى في مظاهر كاذبة خداعة . فمثل هذا الانسان لا يقتصر أمره على كون أقواله وأعماله كلها أكاذيب بل انه هو نفسه أكذوبة . فأنت اذا تأملته في صميم كيانه الفيت نور الله - أعني الشرف والمروءة - قد انفقاً فيه سراحه . وخبا وقاده ووهاجه . فهو على الرغم من ذرابة لسانه وخلاصة يانه . أنك كاذب . اذ لا يزال مثل هذا الرجل سم الحياة واقفة الانسانية . فان غرك برخامة صوته وجرسه . وحلاوة جهره ونبسه . ورة مسه ولسه . لم يك في ذلك الا كحامض الكربون تراه على لطف مسراه . ولين مجراه . سما تقيماً . وموتاً ذريعاً . »

والآن بعد الذى أوردناه من ذلك الفصل المسهب والمطلب المستفيض فى وصف الركن الاول من مذنب ثروت باشا أعني الملكة الخضائية البيانية باصولها وفروعها وعددها وآلاتها ودقائقها وأسرارها ننتقل الى الركن الثانى من صرح أخلاقه الوطيد الرفيع

أعنى دمنة الطبع وعدوبة الشماثل .

لقد جاء في حكمة الاقدمين انه ان يستطيع مسرة الجلساء
واطراهم بفنون الاحاديث من كانت روحه خالية من عنصر
السرور والطرب . فان الحديث للشتمل على تحف المعاني وبدائع
الافكار اذا صدر عن روح ساخطة أو غصبي أو متضجرة أو
مشممة أعنى عن روح متنافرة مع أرواح الجلساء والمشراء كان
جديراً أن يدهش الاذهان ويهرها ولكنه ليس جديراً أن ينعش
الارواح ويدخل على النفوس عوامل الانس والصفو والحبور .
نحلة اجتذاب القلوب واستمالة الالهواء محال أن تتوافر لمن كان
موحش الناحية مقفر الجنب خشن الجانب . فان الاذهان خلاف
الارواح وليس من اللازم المحتوم أن الرجل القادر على النفاذالى
اذهان الناس بروائع كله أن يستطيع بهذه الوسطة وحدها أن
يتغذ أيضاً الى قلوبهم وأرواحهم - إذ كيف يتأتى له ذلك اذا
كان جامد الروح مظلم الهواء ركد النسيم . والرجل الخاية
نفسه من عوامل الفرح كيف يستطيع ادخال الفرح على
نفوس غيره .

ولذلك قيل ان فن استمالة النير بأسباب للمسرة انما أساسه
أن تكون قبل كل شيء مسروراً في أعماق نفسك . ومن ثم

رأينا ان أعظم كتاب الفكاهة في العالم الذين قدموا للعالمين أوفر ذخائر السرور والانس وأشهى الوان الطرب والحبور على مائدة الفنون والآداب - امثال مولير وشاكسبير وسرفانتيس واديسون وجولدسمث وفيدلن وستيرن وديكنز ونكري ورايليه وماريشوه وصاحب الف ليلة - كانوا جميعا من ذوى الطباع الفرحة الجذلى والامزجة لرطوبة الخضلة والصدور المتلوجة القريرة والنفوس الطيبة الراضية المطمئنة الملوذة بروح الصفاء والاستبشار والتفاؤل - على عكس المتشائمين المتبرمين الغاضبين الثائرين من كتاب الفكاهة امنال سويفت وبوب وفولتير ويرون الذين قد مزجوا مزاحهم بانكر الهجاء والنهم وخلطوا بمجونهم بأمض القذع والسخط والنقمة فجاءت مؤلفاتهم ادعى الى الايلام منها الى الاطراب . وادنى الى الايماح منها الى الاعجاب . واجدو بالايماش منها بالاناس . وانكى شيئا من ابرة العقرب فى الشعور والاحساس . - ذلك الى الجلم الكثير من آفات تلك الكتب للتشاؤمية فى المجتمع ومساوى آثارها فى هيكلى الانسانية مما يصغر ويضئ بجانبه ما قد حوت من الفوائد والمنافع حتى ذهب فريق كبير من دباء العلم وتقاده الى اعتبار مؤلفيها الفحول الفطاحل من ضمن عوامل الفساد ومصادر الشر والبلاء على

العالم فقال لنا الفيلسوف الالماني الطائر الصيت « فريدريك
 نيتشه » اغلقوا « يرون » وافتحوا « جيتا » . واصل هذه
 السوآت والآفات في الخالدات البعريات من تأليف اولئك
 للنوابغ هو كما اسلفت مرارة السجية ومحوضة الطبع وحرافة
 المزاج وما يتبع ذلك من جفوة الروح وقسوة القلب وغلبة الكبد
 وليس ثروت باشا بالجاني النفس ولا القاسي القلب ولا الغليظ
 الكبد ولا هو بالحامض الطباع الحريف المزاج ولا بالموحش
 الجنب المظلم الناحية الراكد النسمات . ولكنه مع متانة اخلاقه
 وصرامة عزمه وأنه لا يجمد في الحق ولا يتدفق في الباطل - تراه
 ذلك الرجل اللين الجانب المأنوس الجنب المشرق الناحية هيناً
 ليناً طلق الجبين براق الاسارير

بشر ابو مروان ان عاسرته عسر وعند يساره ميسور

وكأسيل ان قاومته انتقدت طوعه
 وتقتاده من جانبيه فيتبع

فاذا جالسته صدرته وتنحيت له في الحاشية
 واذا سارته قدمته وتأخرت مع المستأنية

واذا ياسرته صادفته سلس الخلق سليم الناحية
 واذا عاسرته صادفته شرس الرأي ايا داهيه
 فاحمد الله على صحبته واسأل الرحمن منه العافيه
 وطبيعة ثروت باشا بعدهي الدماثة والطف والرفقة والظرف
 وان كان فيه عند مقتضيات الاحوال شدة وصلابة وبأس وصرامة
 له سورة مكتتة في سكينه كما اكنن في القمد الحسام المهند
 وتلك شيمة الرجل الفاضل في كل زمان ومكان . وتلك
 كانت شيمة أبطال العرب في ذروة عزم وعلواء مجدهم - قلوب
 تذوب رحمة وعطفاً . في جوانح تلتهب حمية وأنفا . وأرواحاً تندفق
 براً وكرماً . تحت عزمات تتورعزاً وشما . كاليدبوع الثر الغزير .
 المذبذب النخيل . يكتنفه أمتع سور من الصفوان . وأمتن حاجز
 من الجلمد الصوان .

ولا خير في حبه اذا لم تكن له

بواد تحمي صفوه أن يكدرها

وتلك كانت شيمة فرسان المسيحية في عهد الفروسية الامجد
 الاشرف انذى هو نخر المدينة الغرية في القرون الوسطى - يوم
 كان ثمة الدين هم أيضاً ثمة الحرب والجهاد . وكان أعلام التقى .
 أعلام الوغى . يوم كن أبطالهم يحملون الانجيل على اسلات

الزماح . ويقرون السيف الى الصليب في نطاق ووشاح . هنالك كنت ترى أقصى غاية البر والرافة والحنان . مع أقصى غاية الثبات والشجاعة وقوة الجنان . هنالك كنت ترى التواضع والحياء والخشوع والانكسار . مع البأس والشدة وصوله العزيز القهار

خاشع تارة وجبار أخرى فتراه أرضاً وطورا سماء
وهكذا اذا طلبت منتهى الرقة والدمائة والحنان والرحمة
وجدتها في الرجل الصارم الشجاع القوى للتين - وكذلك أعذب
الماء وأصفاه هو ما صادفته في النقر والاصاب في الصخرة الصماء
والصفة الصلابة .

ومن ثم كان ثروت باشا ذلك البطل القوى الأيد الصاب
العود والمعجم رجلا سمحاً سجيحاً غزير الأنس والخفاوة جيم الخرف
والفكاهة تكدد ابتسامته تضيئ ماحوله بنور البشر والطلاقة
ويكدد الهواء يتأرجح بطيب أنفاسه اذ كانت صادرة عن روضة
الحسب الأغمر . والكرم الاوفر الابر .

ولا شك عندي في أن تلك المادة الغزيرة من الفرح
والابتهاج الفريزي في ثروت باشا هي من أعظم أسباب نجاحه في
كل ما يحاول من الخطط والتدابير وكل ما يباشر من انعامات

والمفاوضات . لأن ذلك الفرح والاتجاه بظلاله كمنشوة طبيعية
تحرك همته وتبعث عزيمته وتترك سيف جده مسلولا لا يسرداع
ومقتضى وتغنيه عن كل منشط خارجي وحافز صناعي . وأكبر
ظنى ان هذا الاتجاه والصفاء الغريزي النفساني في ثروت باشا
هو بعض مصادراتك الجاذبية والخلابة التي استطاع بها أن يؤثر
في كبار رجالات البريطانيين ممن فاوضوه في قضية البلاد المقدسة
ويستميلهم الى مذهبهم ويعنهم صحة رأيه ونصروا حجته .
وأراني خليقا أن أشبهه في ذلك بالقائد الانكليزي العظيم الدوق
أوف ه ماير . ذاك البطل الباريعي المشهور الذي بفضل حذقه
واباقته انصرت انكلترا وحلفاؤها على فرنسا في عهد لويز الرابع
عشر يوم كانت فرنسا أقوى دول اوربا جيوشا وأمرها قوادا
وأشدها بأسا وصدولة وأقهرها سطوة وسلطانا لم تكن
جيوش حلفاء بريطانيا حروم الصويبة الموالبة مع
فرنسا في ذلك العهد عرضة اموامل النزاع والشقاق لا يزال
يقع بينها النعمور والمساحنة فلو كانت ستمرت على تلك
الحال ما كانت سمرت من فرنسا بطائل بل كان من المؤكد
هزيمتها ودمارها . بسايف تلك الدولة . ولكن القدر الذي
اراد غير ذلك جعل من خلابة القائد مايرة ، ومن جاذبيته

ومن رقة شيمته وحلاوة انسه وعذوبة شمائله ابلغ وسيلة وأحسن واسطة لضم شوارد القلوب بين الحلفاء وتأليف نوافر النفوس وجمع بدائد الاهواء والاميال ونظم تلك العناصر المتساختة في سلك واحد من الوثام والالفة وقياد الجميع بمجمل التوفيق والهداية الى غرضهم الاوحد الفرد من تلك الحرب السعواء - على الرغم من متباين مذاهبهم وآرائهم وبما كان متفشيًا بينهم من عوامل التحاقد والتحاسد ونزوات التمسف والتهور ونزغات الطيش والضلال . فإبما ملاط من بلاطات تلك الدول المتحالفة كان يذهب اليه القائد المبررة ويفتاه كان لا يلبث بفضل سجاحة خافقه وحلاوة سجاياه وعدوبة طبعه أن يستميل اهله ويستدرجهم مهما بلغ من عنادهم وشكستهم حتى يحملهم على قبول شروطه واتباع رأيه .

لقد امتار ثروت باشا انواع من صفاء النفس وهدوء الروح وسكينة الجأش لها في نفوس مخاطبيه ومجالسيه من الاثر العميق ما يشبه تأثير النخم الرخيم والحنان الشحنة ولا عجب فان الصفاء والهدوء من اللذات وكل نظام فنانا يكون نظاماً بفضل ما ينطوى في جوفه من الموسيقى الصامتة أي من روح الموسيقى او بمباراة أخرى كل نظام موسيقى في عصره وجوهره فهذا الهدوء والسكينة والصفاء في ثروت باشا - في مخاضيه ومحاسنه

تأثيراً يسببهم من نفوسهم ويحتذبهم اليه بنوع من الكبرياء الخفي . فلا جرم اذا قلنا ان مثل هذا الاخلاب تكون روحه منهلاً للانس ومستراداً للنعيم والسرة وسناً بشره يفيض على جوانب الجو كمثل رونق الضحى . وحديثه ينفث في الهواء كأنفاس النعamy . تنفع بارج الخزامى .

أو كأنسيم الفخر غب الحيا يختال في أردية الفخر



واذ ما اشار هبت صبا للـ لك وخت الايوان من كافور
هذه السكينة والهدوء والصفاء الغريزية الفطرية (مع حدة
الذهن الهائلة) هي التي بفضلها بلغ نابليون - أعظم رجل في
التاريخ الحديث - من ذروة المجد والدلاء وقمة الحسب والفخار
ما راع الملاء وبهر العالم - وهي التي بفضلها أيضاً استطاع ذلك
الرجل المدهش أن يحتسر 'رزاء' الدهر وعن الزمان في عظمة
وجلال يسومها ساء من اللهو والعب وأن يسلم لخسارة
ملك 'علم' استسلامه من خسر دوراً في امة الترد أو الشطرنج
وك - زين زرب - ش عن صرامته وأسه في مواضع
جد وحيد - ر - يج - وعسح الجمن حه الشرح والحفارة
عرب لا ينس حو - كاهة - ال - ك ص - حه وحمه الكبريم

ابتسامة صادقة من فؤاد صادق — لأن من الابتسامات ما تكون
 كاذبة متبعدة عن فؤاد كاذب كسائر الكاذب صاحبها من أعمال
 وأقوال . وما زال الابتسام الصادق والضحك الخالص الصريح
 ينبعث من القلب الطاهر النقي الرفيق الحاشية . الأمين الناحية .
 الغزير مادة الحنان والرحمة . فتلك الضحك يكون عنوان
 للكرم والخير . وشاهد المروءة والبر . اذا كان كاذب الضحك
 آية الشر والنكر . وأما اختب والغدر . وما زال الحر الشريف
 يمزح في الاحايين ويهزل . والبر الكريم يطرب ويجذل .
 وما زلنا نرى الاربب الحصيف يفصل نظام حكمته المين بشذور
 الامازيج والفكاهات . ويرصع ديباجة كلامه الجدى الرزين بفصوص
 المعاني والمداعبات . ومن ثم ما قاله نوماس كارليل في وصف
 افراط الفكاهة والضحك في سيد شعراء العالم قاطبة : « وايم
 شا كسير » « لا ارى دليلا أصدق على ما يمتاز به ذلك لشاعر
 اخذ من كرم النفس ورقة الطير ونماء الضمير وصفاء السريرة
 من غواء الضحك وافراط المزح في رويته » لا ترى ان
 « مضحكه تنحط عليك كشائب الخيث الزر . ودفع السيل
 الهمر . ألا ترى انه ذ نصب حـ . أشد اص رويته غرمت ، تراعى
 المزح والدعابة انبرى يهبل على رأسه م لا يحصى من ان ين

الهزل والمجون وينقله من المواقف والاشكال المضحكة فيما فيه
أقصى عجب العاجبين . وضحك الضاحكين فيحيل اليك ان
شا كسير يضحك من ذلك الشخص الذي هو سليل وهمه ومنع
خياله ضحكا مفرطا يملء صدره واضلاعه . وهو بعد ضحك
طيب صالح لا يراد به السخرية من البؤساء والمساكين والضعفاء
التي هي الأم انواع الضحك لما تنطوي عليه من السفالة والخبث
والنذالة . وانى أرى ضحك شا كسير وغيره من ذوى الكرم والبر
والرأفة ليس من قبيل معمة الحريق تحت القدر . يقهقه لهيبه
وضرامه والقدر تنلي وتمور . ولكنه ضحك مسوب بالرحمة
والعطف حتى على الانبياء والادعياء . فمن ذلك الضحك لاشبهه
إلا بساط نور الشمس على صدر البحر الرحيب . »

وكذلك ثروت باشار حل الجد والحدوالة والالتاة والوارة
والرزاة والعزم والصرامة . لا يحلو مع ذلك من ردة الطرف
وحلاوة الايناس وطرف الفكاهة والدعة قبله من جوهرة
كرمة ادى ان صفحتها . وجلالهم وهبتها على حين قد
سرى سرى حزنهم . ومنه . من يدي مزكراهم
من جوهرة . من ريق والتمانه .
من الكرم

والسخطاء . وأشعة الفطنة والدكاء وجرات العزم والمضاء
ومن أركان مناقب ثروت أيضاً الثقة بالنفس والاعتزاز
بالرأي والنفاذ والصرامة . فهو يعضى في تنفيذ إرادته مغضاه النجم
الثاقب متحملاً مسؤولاً أعماله وتبعاتها متتحكماً ما يعترضه مما
يراه هو اعتراضاً باطلاً واعتباراً كاذباً . غير مبال بما يصبوب إليه
من سهام لللام والتفنيد وقوارص المذل والتفريع اعتباطاً بما
يعتقد أنه سيكون من صالح نتائج ومحمود العواقب . ثم يراه
هو يبصره النافذ ورويته البصيرة وأن خفي على غيره من
الأشخاص المتعادين ممن لم تمنعهم الطبيعة ما ميزته هو به من
الدكاء والفطنة والدهاء فلا عجب إذا كان ثروت اشاك غيره
من الأبطال ، الفحول يتدب فيما يأتي ويذر وفيما يجر رحقه من
سر الحكمة ووجه الصواب ما ليس يظهر لسواه من الناس
إذا كان كل فائد يظل أعرف بخطته من سائر الجنود وأصر بما
ينتهج لهم من منهج السعي والسير وسبل الفوز والنجاة .
العمل المرفوع في ذهنه وخزيعة الرحف للرسم . ثم يراه
قلبه اتناز ودهية . ثم يراه من دون . وهو يرحده
المسؤول عن العاقبة راجعاً . ثم يراه يرحده . ثم يراه

اعتراضهم وتقدم إلا سحابة صيف لن تلبث أن تزول متى طلعت
من ورائها شمس نتائج أعماله مشرقة بلجاء وإذا ذلك يعلم اقوام
أن مذهب الوزير كان الحق الصراح وخطته الصدق المبين وكان
عمله منزها عن الاغراض والاهواء بريثا من شوائب الانانية .
بل هادما لعوامل الانانية ماحقا لعناصرها مشبعا بمواطف
الوطنية والاخلاص والتضحية .

ونحن اذا آتسنا في أخلاق ثروت باشا خلة الثقة بالنفس
والاعتزاز بالرأي فقد ما آتس الناس ذلك في كل بطل وقائد .
وهل كان الاعتزاز بالنفس الاشيمة النفس الثائرة على الاكاذيب
والباطيل المترفة عن مراعاة اكاذيب التقاليد والاصطلاحات .
واباطيل السنن والاعتبارات . الآخذة بالجد والاقدام والاصرار
والمثابرة بعزيمة لا تهت ولا تكل . وصريّة لا تثلم ولا تقل .
المستهرثة باكاذيب الاراء والعقائد . فصاحب مثل هذه النفس
الكبيرة الشماء ينطلق الى غاية انطلاق الكوكب المشبوب
، يسترد الا في سننه طربا على نفحات موسيقى روحه العظيمة الجيشة
، بعداحة ونوتات من حواء ثرواج . وضجت المعامع . وصخب
تزعزع . وهبت لعوامف . وزجرت القوامف . وكاد الكون
أن يتعطم فيتهم . هذه وديث البصوة في انصع مجالها . وابعد

مراميا . وهي وان راعت بعض القوم واخافهم - لمعجزم عن
سبر أغوارها . وادراك أسرارها . - فالواجب على الجميع أن
يوقوها حقها من الاجلال والا كبار . اذا كانت قد حفت
من شواهد الجلال وآيات السمو والمعظمة بما ينبغي أن يثير عواطف
الاعجاب والا كبار في نفس كل شريف بل في نفس كل من علق
بنفسه أدنى أثر من عناصر الشرف والكرم والمروءة - فيملؤه
عجبا وطربا من جلائل أعمال ذلك البطل (وان قصر ذهنه عن
تمام إدراكها) ثم يلهمه شيئا من الصبر والثبات انتظارا وترقبا لما
سيكون من نتائج فعله . وعواقب أعماله . - وحسبه أثناء ذلك
أن يحمل نفسه على الاعتقاد بأن أفعال مثل هذا الرجل القوي
انما هي أفعال المولى جل شأنه يأتيها على يد عبد من عباده . فقبيح
بأي مخلوق أن يتسرع اليها باللوم والطمع والهجاء وذميمة أن
يعجل الى منفذها بالشر والشغب والمناوأة أو يمترضه في سبيله
اخشن الصعب بالعرفلة والتعظيم والمقاومة - خسبه بخشونة مركبه
ووعودة مسلكه . وإنه يبيت ساهر العين من أجل عيون ملء
أجفاتها الرغد . وينصب متمب الجسد من أجل أجساد . تتقارب
على اللين مهاد . ويتجرع غصص الاء . في سبيل أقوام يرشفون
أقدح المسرات والنم . ويختلط أشواك الخضر من شجر الكد

والعناء . لمصاحبة من يقطفون ثمار الراحة من أفنان الدعة والصفاء .
 ان الرجل العظيم يهمل عمله مدفوعاً اليه بدافع وجداني
 مستسر في خفايا نفسه العميقة العظيمة - فحكمة هذا الدافع
 الوجداني لا يمكن أن تكون بادية لميرون العامة والجاهل من لما
 تبدو وتظهر لمصاحبه - بدايل ان كل امرئ يكون أعرف بسريرة
 وجدانه من غيره ويكون أبعد نظراً وأقصى مربي فيما يتعلق
 بمذهبه الخاص به دون غيره وبخطته التي هو انتهجها دون سواه .
 والسكانزى الذين لا يريدون أن يعترفوا للرجل العظيم
 بشرف مسعاه . وحمو غايته وهرماه - إما تقصر عن إدراك
 مراميه أو لآفة في نفوسهم - ينكرون عليه بمدحمته وحسن
 نيته . فيتهمونه بالسعي وراء حاجة في نفسه وبغية شخصية أنانية .
 ومن ثم يحكمون عليه بما لا يليق أن ينسب الى الفحول والابطال .
 أمثال هؤلاء الظالمين الجائرين لا يرون في أبطال العالم الذين هم بناء
 مافى العالم من مجد وعظمة ومشيدو ما فيه من صروح الحضارة
 والمدنية العالية - والدين هم في الحقيقة اعلام التاريخ وفرائد عقده
 التنظيم الملائمة منهم سلسلة المدينيات الذهبية - الا اشراراً آثمين
 لا فضل لهم ولا خير فيهم . وانهم لم يأتوا من أعمالهم العظام ما أتوا
 الا ارضاء شهوات أنانية واشباعاً لمطامع شخصية . والواقع ان

اولئك الاماكين المعتدين بالكذب والزور على مقامات العظماء
 في كل زمان ومكان هم الجناة الآثمون الذين لم يسلم من السنهم
 بطل ما أيا كان في حاضر الزمن وغابرهم زعموا أن الاسكندر
 الاكبر كان مجنوناً مصاباً بجنون الغزو والفتح بملء انهدوخ بلاد
 اليونان . واصمق آسيا - وزعموا أن حب الشهرة والولوع
 بالصيت كان باعنه الوحيد على فتوحاته العظيمة بدليل ان هذه
 الفتوحات قد ادت في النهاية الى الصيت والشهرة . ومثل هذا
 قاله اولئك الاماكون عن يولوس قيصر وهانيال والسفاح وتيمور
 لنك ومحمد الفاتح وشارلمان وشارل الثاني عشر ملك السويد (الذين
 سموه « مجنون الشمال - اشارة الى موقع مملكته من انحاء المعمور)
 ونابليون بونابرت وكذلك خيل اليهم انه قد استطاعوا أن يثبتوا
 الجنون على ائمة العالم وقادته وأقطابه . وكأنني بهم قد استنتجوا من
 ذلك (وان لم يصرحوا بهذا الاستنتاج) انهم هم الاكابر والفحول
 والعظماء - لانايليون ولا محمد الفاتح ولا عمرو ولا أمثالهم - وأنهم هم
 أجل وأعظم من هؤلاء الاعلام والافطاب بدليل أنهم لم يغزوا آسيا
 كالاسكندر ولم يفتحوا روما كهانيال ولم يدوخوا اوربا كما فعل
 نابليون وانما حصروا كل مجهودهم وهمتهم في أن يأكلوا ويشربوا
 ويتركوا غيرهم يأكل ويشرب وبذلك عاشوا وماتوا سالمين مسلما

منهم آمنين مأمونا من شرم
 فهؤلاء التفاد الاصاغر أشبه شيء بالبعوض الذى يحاول أن
 يلدغ بأبرته الضائلة الواهية المناكب العراض والاعناق الضخمة
 من أسود المجتمع وضياعه فتكل ابرتهم وتبرى دون أن تنال
 تلك الليوث بأذى ضائر. أو هم كما قال الاعشى
 كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه، لوعل
 هذا البعوض التفاد مازال يظهر فى العالم منذ كان العالم لم
 يخل منه عصر من المصور ولا مصر من الامصار. فنحن نتلو
 نبأه فى اليازة هو ميروس تحت اسم « ترسييس » ذلك المخلوق
 الخفير الذى لم يكن له هم ولا دأب الا سب الامراء والملوك -
 فكان جزاؤه على الدوام الضرب بالعصى والجلد بالسياط. وأشد
 عذاباً عليه من ذلك شوكة الحسد المضيض وابرة الحقد الأليم
 التى قضى عليه أن لا يزال يحملها فى جلده وجمرة النيفظ والحنق
 التى قيص له أن لا تنفك مدفونة فى صميم كبده. وحسبه فشلا
 وخيبة مع كل ذلك أن تصبح آراؤه الوجيرة الرشيدة. واتتماداته
 السليمة السديدة - يوماً ما ان عاجلا أو آجلا - قد ذهبت بمد
 كل مجهوداته الجسيمة ومحاولاته العظيمة هباء منتورا. « وفل جاء
 الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا : »



والآن بعد ما اجلت قلبي الضعيف جولة في هذا الميدان
 الفسيح - مجال البطولة والفحولة - وممته خوضة في ذلك الخضم
 العميق - عباب العظمة والهمة والرجولة - التي به في اكناف
 الراحة نضوا متعباً حسيماً من طول ما اصطك أثناء جولاته
 بهضاب تلك المبقرية الباذخة . وجبال تلك البطولة الشاخنة .
 وأطرح صميتي في يَم النأليف ذلك الهاجس المائج الشائر المضطرب
 لتلقي نصيبها من الطفو أو الرسوب . وجزاءها من العطب أو
 السلامة .

انقد أمضيت برهة على هضاب جبل « أوليب » مجال
 الأبطال وملعب الالهة (في أساطير اليونان) أتأمل روائع آياتها
 وبدائع معجزاتها . حتى أغم قلبي جلالاً وجمالاً . وبهرني ذلك
 للشهد المريب فأخدرت نازلاً وأنا أسبح بحمد الله عجباً وطرباً واحمد
 الصانع البديع الذي يأبى كرمه وفضله أن يترك مقابح هذه الحياة
 وشوهادها في أى عصر وبقعة خالية من محاسن الرجولة . مقفرة
 عن مفاخر العظمة والبطولة .

مشروع ملنر

مذكرة

١ - لكي يبنى استقلال مصر على أساس متين دائم يلزم تحديد العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر تحديداً دقيقاً ويجب تعديل ما تمتع به الدول ذات الامتيازات في مصر من المزايا وأحوال الاعفاء وجعلها أقل ضرراً بمصالح الملاد

٢ - ولا يمكن تحقيق هذين الغرضين بغير معارصات جديدة تحصل للغرض الاول من ممثلين معتمدين من الحكومة البريطانية وآخرين معتمدين من الحكومة المصرية ومفاوضات تحصل للغرض الثاني بين الحكومة البريطانية وحكومات الدول ذات الامتيازات وجميع هذه المفاوضات ترمي الى الوصول الى اتفاقات معينة على القواعد الآتية :-

٣ - اولاً - تعقد معاهدة بين مصر وبريطانيا العظمى تعترف بريطانيا العظمى بموجبها باستقلال مصر كدولة ملكية دستورية ذات هيئات نيابية وتمتع مصر بريطانيا العظمى بالحقوق التي تدرم لصيانة مصالحها الخاصة وتمكينها من تقديم الضمانات التي يجب أن تعطى للدول الاجنبية لتحقيق تحس تلك الدول عن تلك الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات

ثانياً - ترمم بموجب هذه المعاهدة نفسها محالة بين بريطانيا العظمى

ومصر تنعهد بمقتضاها بريطانيا العظمى أن تمنع مصر في الدفاع عن سلامة أرضها وتنعهد مصر أنها في حالة الحرب حتى ولو لم يكن هناك مساس بسلامة أرضها تقدم داخل حدود بلادها كل المساعدة التي في وسعها الى بريطانيا العظمى ومن ضمنها استعمال ما لها من المواني وميادين الطيران ووسائل المواصلات للاغراض الحربية .

٤ - تشمل هذه المعاهدة احكاما للاغراض الآتية :-

اولا - تتمتع مصر بحق التمثيل في البلاد الاجنبية وعند عدم وجود ممثل مصري معتمد من حكومته تعهد الحكومة المصرية بمصالحها الى الممثل البريطاني وتنعهد مصر بأن لا تتخذ في البلاد الاجنبية خطة لا تتفق مع المحافظة أو توجد صعوبات لبريطانيا العظمى وتنعهد كذلك بأن لا تعقد مع دولة اجنبية أي اتفاق ضار بالمصالح البريطانية .

ثانياً - تمنح مصر بريطانيا العظمى حق ابقاء قوة عسكرية في الاراضي المصرية لحماية مواصلاتها الامبراطورية وتعين المعاهدة المكان الذي تمسك فيه هذه القوة وتسمي ما استنبهه من المسائل التي تحتاج الى التسوية ولا يعتبر وجود هذه القوة بأي وجه من الوجوه احتلالاً عسكرياً للبلاد كما انه لا يمس حقوق حكومة مصر .

ثالثاً - تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية مستشاراً يعهد اليه في الوقت عينه بالاختصاصات التي لصندوق مالدن الآن ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في جميع المسائل الاخرى التي قد ترغب في استشارته فيها .

رابعاً - تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية موظفا في وزارة الحقاية يتمتع بحق الدخول على الوزير ويجب احاطته علماً على

الدوام بجميع المسائل المتعلقة بإدارة القضاء فيما له مساس بالاجانب
ويكون ايضاً تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في أي أمر
مرتبط بحفظ الامن العام

خامساً - نظراً لما في النية من نقل الحقوق التي تستعملها الى الآن
الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة
البريطانية تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى في التداخل بواسطة ممثلها
في مصر لئمنع أن يطبق على الاجانب أي قانون مصري يستدعي الآن
موافقة الدول الاجنبية وتتمهد بريطانيا العظمى من جانبها أن لا تستعمل
هذا الحق الا حيث يكون مفعول القانون جائراً على الاجانب .

صيغة أخرى لهذه المادة

نظراً لما في النية من نقل الحقوق التي تستعملها للآن الحكومات
الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة البريطانية
تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى في التداخل بواسطة ممثليها لئمنع أن
ينفذ على الاجانب أي قانون مصري يستدعي الآن موافقة الدول
الاجنبية وتتمهد بريطانيا العظمى من جانبها أن لا تستعمل هذا
الحق الا في حالة القوانين التي تتضمن تمييزاً جائراً على الاجانب في مادة
فرض الضرائب اولا توافق ادىء التسريع المشتركة بين جميع الدول
ذوات الامتيازات .

سادساً - نظراً للعلاقات الخاصة التي تنشأ عن المهالبة بين بريطانيا
العظمى ومصر يمنح الممثل البريطاني مركزاً استثنائياً في مصر ويخول
حق التقدم على جميع الممثلين الآخرين .

سابعاً - الضباط والموظفون الاداريون من بريطانيين وغيرهم

من الاجانب الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة يجوز انتهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية في أي وقت خلال سنتين بعد العمل بالمعاهدة وتحدد المعاهدة المعاش أو التعويض الذي يمنح للموظفين الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة عما هو محمول لهم بمقتضى القانون الحالي .

وفي حالة عدم استعمال الحق الفول بهذا الاتفاق نبقى احكام التوظيف الحالية بغير مساس .

٥ - تعرض هذه المعاهدة على جمعية تنظيم ولكن لا يعمل بها لا بعد انقاذ الاتفاقات بين الدول الأجنبية على ابطال محاكمها القضائية وانقاذ الأوامر العالية المدة لنظام المحاكم المختلطة .

٦ - بهذا الى جمعية التنظيم وضع قانون نظامى جديد تدير حكومة مصر في المستقبل بمقتضى أحكامه ويتضمن هذا النظام أحكاماً تقضى بحصول الوزراء مسئولين امام الهيئة التشريعية وتقضى أيضاً باطلاق الحرية الدينية لجميع الأشخاص والحماية الواجبة لحقوق الأجانب .

٧ - تحصل التمديلات اللارم ادخالها على نظام الامتيازات باتفاقات تمقد بين بريطانيا العظمى والدول المختلطة ذوات الامتيازات وتقضى هذه الاتفاقات بابطال المحاكم القضائية الأجنبية لكي يتيسر تعديل نظام المحاكم المختلطة وتوسيع اختصاصها وسريان التشريع الذى تسنه الهيئة التشريعية المصرية (ومنه التشريع الذى يفرض الضرائب) على جميع الاجانب فى مصر .

٨ - تعرض هذه الاتفاقات على أن تنتقل الى الحكومة البريطانية الحقوق التى كانت تستعملها الحكومات الأجنبية المختلطة بمقتضى نظام

الامتيازات وتشتمل أيضاً أحكاماً تفصيلى بما يأتى . -
أولاً - لا يسوغ العمل على التمييز الجائر على رعايا أى دولة وافقت
على ابطال محاكمها القنصلية ويتمتع هؤلاء الرعايا فى مصر بنفس المعاملة
التي يتمتع بها الرعايا البريطانىون .

ثانياً - يؤسرة نون الجنسية المصرية على قاعدة النسب فيتمتع
الاولاد الذين يولدون فى مصر لأجانبى بجنسية أبيهم ولا يحق اعتبارهم
رعايا مصرين .

الثالث - تخول مصر موظفي مصلبات الدول الأجنبية نفس النظام
الذى يتمتع به القناصل الأجانب فى إنجلترا .

رابعاً - المداهدات والاتفاقات المالية التى اشتركت مصر فى
التعاقد عليها فى مسائل التجارة والملاحة ومنها اتفاقات البريد والتلغراف
تبقى نافذة المفعول أما فى المسائل التى ينالها مساس ما جرد ابطال المحاكم
القنصلية فتعفى مصر المداهدات النافذة المفعول بين بريطانيا العظمى
والدول الأجنبية صاحبة الشأن مثل معاهدات تسليم المجرمين وتسليم
البحارة الفارين وكذلك المعاهدات التى لها صفة سياسية سواء كانت
معقودة بين أطراف عدة أو بين طرفين مثال ذلك اتفاقات تحكيم
والاتفاقات المختلفة المتعلقة بسير الحروب وذلك كله ريثما تمقدا اتفاقات
خاصة تكون مصر طرفاً فيها .

خامساً - تحصر حرية إنشاء المدارس وتعليم لغة الدولة الأجنبية
صاحبة الشأن على شرط أن تخضع هذه المدارس من جميع الوجوه
للقوانين السارية بوجه عام على المدارس الأوردية بمصر .

سادساً - تضمن أيضاً حرية ابقاء أو إنشاء ماعد دينيه وخيرة

كالمستشفيات الخ وتنص المآاهدآت أيضا على التغيرات اللازمة في صندوق الدين وعلى إبعاد العنصر الدولى عن مجلس الصحة في الاسكندرية.

٩ - التشريع الذى تستلزمه الاتفاقات السالفة الذكر بين بريطانيا والدول الأجنبية يعمل به بمقتضى مراسيم تصدرها الحكومة المصرية وفي الوقت عينه يصدر مرسوم يقضى باعتبار جميع الاجراءآت التشريعية والادارية والقضائية التى اتخذت بمقتضى الاحكام العرفية صحيحة .

١٠ - تقضى المراسيم المالية المعدلة لنظام المحاكم المختلطة بتحويل هذه المحاكم كل الاختصاص الذى كان غولا الى الآن للمحاكم القنصلية والأجنبية ويترك اختصاص المحاكم الأهلية غير ممسوس

١١ - بعد العمل بالمآاهدة المشار إليها فى البند الثالث تبلغ بريطانيا المظمى نصها الى الدول الأوروبية الأجنبية وتعضد الطاب الذى تقدمه مصر للدخول عضواً في جمعية الأمم .

مشروع كرزون

بنصوص مشروع اتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

أولاً - انتهاء الحماية

١ - في مقابل إبرام المعاهدة الحالية والتصديق عليها تقبل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى رفع الحماية الممننة على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ والاعتراف بمصر من ذلك الحين دولة متمتعة بحقوق السيادة (Sovereign State) تحت امرة ملوكية دستورية . فيمقتضى هذا قد أبرمت وتستمر راقية بين حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشعبه من جهة وبين حكومة مصر والشعب المصرى من الجهة الأخرى معاهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف .

ثانياً - العلاقات الأجنبية

٢ - تتولى الشؤون الخارجية لمصر وزارة الخارجية المصرية تحت إدارة وزير معين لذلك .

٣ - يمثل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى فى مصر قوميسير عال يكون له فى جميع الأوقات وبسبب مسؤولياته الخاصة مركز استثنائى ويكون له حق التقدم على ممثلى الدول الأخرى .

٤ - يمثل الحكومة المصرية فى لوندون وفى أية عاصمة أخرى ترى الحكومة المصرية أن المصالح المصرية يمكن أن تستدعى هذا التمثيل فيها معتمدون سياسيون يكون لهم اقب ومرتبة وزير .

٥ - بالنظر لامتهدات التى أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها فى

مصر وعلى الخصوص فيما يتعلق بالدول لأجنبية يجب أن توجد أوثق الصلات بين وزارة الخارجية المصرية والقوميسير المالى البريطانى الذى يقدم كل المساعدة الممكنة للحكومة المصرية فيما يتعلق بالمعاملات والمفاوضات السياسية

٦ - لاندخل الحكومة المصرية في أي اتفاق سياسى مع دولة أجنبية بدون أن تستطلع رأي حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بواسطة القوميسير المالى البريطانى .

٧ - تتمتع الحكومة المصرية بحق تعيين ممثلين قنصليين في الخارج حسب مقتضيات مصالحها .

٨ - لأجل تولى الشؤون السياسية بوجه عام والقيام بالحماية القنصلية للمصالح المصرية في الاماكن التى لا يوجد فيها ممثلون سياسيون أو قناصل مصريون يضع ممثلو جلالة ملك بريطانيا العظمى أنفسهم تحت تصرف الحكومة المصرية ويقدمون لها كل مساعدة في قدرتهم .

٩ - تستمر حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى على تولى المفاوضات لانفاء الامتيازات الحالية مع الدول ذوات الامتيازات وتقبل مسؤولية حماية المصالح المسرعة الاحاب في مصر وتتداول حكومه جلالة الملك مع الحكومة المصرية قبل البت في هذه المفاوضات رسمياً .

ثالثاً - النصوص العسكرية

١٠ - تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر في الدفاع عن مصالحها الحيوية وعن سلامة أراضيها .

لأجل القيام بهذه التعهدات والحماية المواصلات الارطورية البريطانية الحماية اللازمة تكون للقوات البريطانية حرية المرور في مصر

ولها أن تستقر في أي مكان في مصر ولاية مدة يحدان من وقت
آخر . ويكون لها أيضاً كل وقت مالها الآن من التسهيلات لأحراز
واستعمال التكدات وميا بن التمرين والمطارات والترسعات الحربية والمين
الحربية .

رابعاً - استخدام الموظفين الأجانب

١١ - بالنظر للمسؤوليات الخاصة التي تتحملها بريطانيا العظمى
وبالنظر للحالة القائمة في الجيش المصري والمصالح العمومية تعهد
الحكومة المصرية ألا تعين ضباطاً أو موطعين أجانب في أية مصلحة
منها قبل موافقة القوميسير العالي البريطاني .

خامساً - الإدارة الدلية

١٢ - تعين الحكومة لمصرية بمصادرة In consultation with
حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً مالياً توكل اليه في الوقت
المناسب الحقوق التي يقوم بها الآن أعضاء صندوق الدين ويكون هذا
القوميسير المالي مسؤولاً بوجه أخص عن دفع المطلوبات الآتية في
مواعيدها :

- (١) المبالغ المخصصة لميزانية المحاكم المختصة .
- (٢) جميع المعاشات والسنويات الأخرى المستحقة للموظفين
الاجاب المحلن على المعاش وورثتهم .
- (٣) ميزانية القوميسيرين المالي والفصائي والموطين التامين
لها .

١٣ - لأجل أن يؤدي القوميسير المالي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط احاطة تامة بجميع الأمور الداخلة في دائرة وزارة المالية ويكون له في كل وقت التمتع بحق الدخول على رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية .

١٤ - ليس للحكومة المصرية عقد قرض خارجي أو تخصيص إيرادات مصلحة عمومية بدون موافقة القوميسير المالي .

سادساً - الادارة القضائية

١٥ - تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً قضائياً يكلف بسبب التعهدات التي تحملتها بريطانيا العظمى القيام بمراقبة تنفيذ القانون في جميع المسائل التي تمس الاجانب .

١٦ - لأجل أن يؤدي القوميسير القضائي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط احاطة تامة بجميع الامور التي تمس الاجانب وتكون من اختصاص وزارة الحقانية والداخلية ويكون له في كل وقت التمتع بحق الدخول على وزيرى الحقانية والداخلية .

سابعاً - السودان

١٧ - حيث ان رقي السودان السلمي هو من الضروريات لأمن مصر ولدوام مورد المياه لها تتعهد مصر بأن تستمر في أن تقدم لحكومة السودان نفس المساعدات الحربية التي كانت تقوم بها في الماضي أو أن تقدم بدلاً من ذلك لحكومة السودان امانة مالية تحدد قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين

تكون كل القوات المصرية في السودان تحت امر الحاكم العام وغير ذلك تتمتع بريطانيا العظمى بأن تضمن مصر نصيبها العادل من مياه النيل ولهذا الغرض قد تقرر أن لا تقام أعمال ري جديدة على النيل أو روافده جنوبي وادي حلفا بدون موافقة لجنة مؤلفة من ثلاثة أمراء يمثل أحدهم مصر والثاني السودان والثالث أوغندا.

ثامناً - قروض الجزية

١٨ - المبالغ التي تمهد خديوي مصر في أوقات مختلفة بدفعها للبيوت المالية التي أصدرت القروض التركية المضمونة بالجزية المصرية تستمر الحكومة المصرية على تخصيصها كما كان في الماضي لدفع الفوائد والاستهلاك لقرضي سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ إلى أن يتم استهلاك هذين القرضين.

تستمر الحكومة المصرية أيضاً في دفع المبالغ التي كان جارياً دفعها لسداد فوائد قرض سنة ١٨٥٥ المضمون.

عند ما يتم استهلاك قروض سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ وسنة ١٨٥٥ تنتهي مسئولية الحكومة المصرية فيما يتعلق بأي تمهد ناشئ عن الجزية التي كانت تدفعها مصر لتركيا سابقاً.

تاسعاً - اعتزال الموظفين والتعويض المستحق لهم

١٩ - للحكومة المصرية الحق في أن تستغني عن خدمة الموظفين البريطانيين في أي وقت كان بعد تقاذ هذه المهادنة بشرط أن يمنح هؤلاء تعويضاً مالياً كما سيأتي بيا، وذلك زيادة على الماش أو المكافأة التي يستحقونها بمقتضى احكام استخدامهم

ويكون للموظفين البريطانيين الحق بنفس هذه الشروط في الاستعفاء من الخدمة في أي وقت بعد نفاذ هذه المعاهدة .

تسري جميع هذه الاحكام على الموظفين الذين لهم الحق في المعاش والذين ليس لهم الحق في المعاش وأيضاً على موظفي البلديات ومجالس المديرات والهيئات المحلية الاخرى .

٢٠ - الموظفون المرفقون أو المحالون على المعاش طبقاً لنص المادة السابقة تعطي لهم زيادة على التعويض اعادة اياهم لبلادهم تكون كافية لسد نفقات ترحيل الموظف نفسه وعائلته ومناهه المنزلي الى لندره .

٢١ - تدفع التعويضات والمعاشات بالجنهيات المصرية باعتبار سعر ثابت قدره ٩٧ قرشاً صاعاً ونصف قرش صاعاً للجنهيه الانجليزي ٢٢ - يوضع جدول عن التعويضات :

(١) للموظفين الدائمين

(٢) للموظفين المؤقتين

بمعرفة رئيس جمعية خبراء حسابات للتأمين (Society of Actuaries)

عاشراً - حماية الاقليات

٢٣ - تتعهد مصر بان النصوص الوارد ذكرها فيما بعد تعتبر قوانين أساسية وألا يتضارب معها أو يؤثر عليها أي قانون أو لائحة أو عمل رسمي وألا ينقض مفعولها قانون أو لائحة أو عمل رسمي

٢٤ - نتعهد مصر بأن تضمن لجميع سكان مصر الحماية التامة الكاملة لأرواحهم وحريةهم من غير تمييز لسبب مولدهم أو تبعيتهم الاولية أو لغتهم أو جنسهم أو دينهم .

يكون لجميع سكان مصر الحق في أن يقوموا بحرية تامة علانية أو غير علانية بشعائر أية ملة أو دين أو عقيدة ما دامت هذه الشعائر لا تتنافى بالنظام العام أو الاداب العمومية.

٢٥ - جميع الحائزين للرعوية المصرية يكونون متساوين أمام القانون ويكون لكل منهم التمتع بما يتمتع به الآخرون من الحقوق المدنية والسياسية من غير تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين .

اختلاف الأديان والعقائد والمذهب لا يؤثر على أي شخص حائز للرعوية المصرية في المسائل الخاصة بالتمتع بالحقوق المدنية والسياسية مثل الدخول في الخدمات العمومية والتوظيف والحصول على ألقاب الشرف أو مزاولة المهن أو الصناعات .

لا يسوغ فرض أي قيد على أي شخص متمتع بالرعوية المصرية في حرية استعماله لأية لغة في معاملاته الخصوصية أو التجارية أو في الدين أو في الصحف أو في المطبوعات من أي نوع كانت أو في الاجتماعات العمومية .

٢٦ - الأشخاص الحائزون للرعوية المصرية التابعون للأقليات القومية أو الدينية أو اللغوية يكون لهم الحق في القانون وفي الواقع في نفس المعاملة والضمانات التي يتمتع بها غيرهم من الحائزين للرعوية المصرية وعلى الخصوص يكون لهم حق مساو لحق الآخرين في أن يشعروا أو يذيروا أو يراقبوا على نفقتهم معاهد خيرية أو دينية أو اجتماعية ومدارس أو غيرها من دور التربية ويكون لهم الحق في أن يستعملوا فيها لغتهم الخاصة وأن يقوموا بشعائر دينهم بحرية فيها ما

المذكرة التفسيرية

تبليغ من نائب جلالة الملك

الى حضرة صاحب العظمة سلطان مصر .

في ٣ ديسمبر سنة ١٩٢١

يا صاحب العظمة

انه بموجب التعليمات التي وصلتني من حكومة جلالة الملك لي الشرف
أن أرفع الى مقام عظمتكم البيان الآتي المتضمن آراء حكومة جلالة
فيما يتعلق بالمفاوضات التي حرت حديثاً مع الوفد المرسل من قبل
عظمتكم تحت رئاسة صاحب الدولة عدلي يكن باشا أن حكومة جلالة
قدمت الى عدلي باشا مشروع اتفاق لعقد معاهدة بين الامبراطورية
البريطانية ومصر كانت حكومة جلالة على استعداد لأن توصي جلالة
الملك ومجلس النواب بقبوله ولكنها علمت بمزيد الاسف أن ذلك
المشروع لم يحز قبولا لديه . ومما زاد أسفها أنها تعتبر اقتراحاتها هذه
سخية في جوهرها واسعة الطاق في نتائجها فاما لا يمكنها أن نبني محلا
لأى أمل في إعادة النظر في المبدأ الذي يجب عليه تلك الاقتراحات
لذلك كان من المستحسن أن نخطط حكومة جلالة علم عظمتكم احاطة
واوية بالاعتبارات الرئيسية التي استرشدت بها والروح التي صدرت
عنها تلك الاقتراحات .

ان هناك حقيقة جليلة سادت العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر

مدة أربعين سنة ويجب أن تبقى هذه الحقيقة سائدة على الدوام وهي التوافق التام بين مصالح بريطانيا العظمى في مصر وبين مصالح مصر نفسها . ان استقلال الامة المصرية وسيادتها كلاهما عظيم الاهمية للامبراطورية البريطانية . ان مصر واقعة على خط المواصلات الرئيسى بين بريطانيا العظمى وممتلكات جلالة الملك فى الشرق وجميع الاراضى المصرية هي فى الواقع ضرورية لهذه المواصلات لان مصر لا يمكن فصلها عن سلامة منطقة قناة السويس . لذلك فان حفظ مصر سالمة من تسلط أية دولة عاقبة أخرى عليها هو فى الدرجة الاولى من الأهمية للهند وأستراليا ونيوزيلانده وجميع مستعمرات وولايات جلالتها فى الشرق ويؤثر فى سعادة وسلامة نحو ثلاثمائة وخمسين مليوناً من رعايا جلالتها ثم ان نجاح مصر بهم هذه البلاد ليس لان كلا من بريطانيا العظمى ومصر هي أفضل عملية للأخري فقط بل لان كل خطر جسيم على مصلحة مصر التجارية أو المالية يدعو الى مداخله الدول الأخرى فيها ويهدد استقلالها . هذه كانت الدواعى الرئيسيه للعلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر وهي لا تزال الآن على ما كانت عليه من القوة فى العام الماضى .

تقد اعترف الجميع بما أصاب هذا الائتلاف من النجاح بوجه عام أثناء الحرب العظمى . ولما بدأ بريطانيا العظمى تهتم بمصر اهتماماً فعلياً كان المصريون مريسة الاحتلال المالى والموصى الادارى وكانوا نحت رحمة أي قادم ولم يكن فى طاقتهم مقاومة ضارب الوسائل القتالة للاستغلال الاجنبى تلك الوسائل التي تسلب من نفوس الامة كرامتها وتمحو قواها الحيويه فاذا كانت الامة المصرية الآن أمة نشيطة ذات

كرامة فانها مدينة لهذه النهضة على الخصوص لمعونة بريطانيا العظمى ومشورتها ان المصريين سلموا من المداخلة الأجنبية واعينوا على انشاء نظام ادارى وانه وقد تدرب عدد كبير منهم على ادارة الأمور والحكم واطرد نحو مقدرتهم ونجحت مآلاتهم نجاحاً فوق المنتظر وقد قامت سعادة جميع الطبقات على أسس ثابتة . وفي هذا التقدم السريع لم يكن هناك غل للاستغلال أن بريطانيا العظمى لم تطلب لنفسها ربحاً مالياً أو امتيازاً تجارياً والأمة المصرية قد جت كل ثمار مشورة بريطانيا العظمى ومساعدتها لها . أن نشوب نار الحرب بين الدول الأوروبية العظمى سنة ١٩١٤ راد بالضرورة على الائتلاف ثوبياً بين الأمبراطورية البريطانية ومصر . ولما انضمت الدولة العثمانية الى جانب المانيا في الحرب لم يكن أثر ذلك قاصراً على تهديد المواصلات البريطانية وحدها بل كان مهدداً لها ولاستقلال مصر على السواء تهديداً عاجلاً فكان اعلان الحماية على مصر اعترافاً بهذه الحقيقة وهي أنه لا يمكن دفع الخطر عن الأمبراطورية البريطانية ومصر معاً الا بعمل مشترك تحت قيادة واحدة . كان تساع نطاق الحرب بدخول تركيا فيها السبب في قتل ونشوب آلاف من رحا حلاله الملك من الهند و استراليا ونيوزيلاند ومن رجال بريطانيا العظمى أيضاً وقبورهم في غاليبولي وفلسطين والعراق شاهدة على الجهد العظيم الذي كابدته شعوب الأمبراطورية البريطانية بسبب دخول تركيا . قد اجتازت مصر هذه المحنة دون أن يمسها ضرر بفصل جهود من بعثت بهم تلك الشعوب من الجنود . فسكت خسائر مصر طعيفه ولم يزد دينها وثروتها لأن أعظم مما كانت قبل الحرب في حين أدالكساد الاقتصادي قد اشتدت وطأته على أكثر البلدان الأخرى . فليس من الحكمة أن

الشعب المصري يتغاضى عن هذه الحقائق أو ينسى لمن هو مدين بذلك كله . ولولا القوة التي أبدتها الأمبراطورية البريطانية في الحرب لاصبحت مصر ميدان حرب بين القوات المتحاربة ولوطئت هذه القوات حقوق مصر بأقدامها وأمنت ثروتها . ولولا نصر الحلفاء لم تكن في مصر أمة الآن تطالب بحقوق السيادة الوطنية بدلا عن حماية أجنبييه فالحرية التي تتمتع بها مصر الآن وما تتطلع اليه من حرية أوسع انما هي مدينه لهما للسياسة البريطانية والقوة البريطنيه .

ان حكومة جلالة الملك مقتنعة بأن الاتفاق التام في المصالح بين بريطانيا العظمى ومصر الذي جعل ائتلافاً نافعا لكليهما في الماضي هو دعامة العلاقة التي يجب على كليهما استمرار المحافظة عليها وعلى الأمبراطورية البريطانية الآن كما كان في الماضي أن تحمل على طاعتها في آخر الأمر مسئولية الدفاع من أرضى عظمتكم ضد أي تهديد خارجي . وكذلك عليها تقديم المونة التي قد تطلبها في أي وقت حكومة عظمتكم لحفظ سلطتكم في البلاد . ثم أن حكومة جلالة الملك تطلب فوق ذلك أن يكون لها دون غيرها الحق في تقديم ما قد تحتاج حكومة عظمتكم من المشورة في ادارة البلاد وتدير مالياتها وترقية نظامها القصص ومواصلة علاقتها مع الحكومات الأجسده . على أن حكومة جلالته لا ترمي من وراء هذه المطالب الى منع مصر من تمتعها بكامل حقوقها في حكومة ذاتية وطنية بل هي ترمي بذلك الى التمسك بها قبل الدول الأجنبييه الأخرى . وهذه المطالب قوامها تلك الحقيقة وهي أن استقلال مصر واستتباب النظام فيها وسعادتها ركن أساسي لسلامة الأمبراطورية البريطانية لحكومة جلالة الملك بأسف على أن

مندوبى عظمتكم لم يتقدموا أثناء المفاوضات تقدماً يذكر في سبيل الاعتراف بما للأمبراطورية البريطانية دون سواها من الأسباب الصحيحة للمتمسك بهذه الحقوق والمسئوليات .

اذ شروط المعاهدة التى تعتبرها حكومة جلالة الملك ضرورية لحفظ هذه الحقوق وكفالة هذه المسئوليات قد أدرجت فى مواد المشروع الذى سيرفمه الى عظمتكم صاحب الدولة عدلى باها : وأتم هذه الشروط هو ما يتعلق بالجنود البريطانىة فإن حكومة جلالة الملك قد عنيت أتم عناية ببحث الادلة التى قدمها الوفد المصرى فى هذا الشأن ولكم لم نستطع أن نقبلها . لأن حالة العالم الحاضرة وعجري الأحوال فى مصر منذ عقد الهدنة لا يسمحان بأي تعديل كان فى توزيع القوات البريطانىة فى الوقت الحاضر ومن الواجب اعادة القول بأن مصر هي جزء من مواصلات الأمبراطورية البريطانىة . ولم يكدهمضى جبل على مصر منذ انقذت من الفوضى وهناك علامات على أنه لا يبعد على المتطرفين فى الحركة الوطنيه أن يزجوا بمصر ثانية فى الهوة التى لم يطل العهد على انقاذها منها . وقد زاد اهتمام جلالة الملك بهذا الشأن لما رآه من عدم رغبة وفد عظمتكم فى الاعتراف بأن الامبراطورية البريطانىة يجب أن يكون عندها ضمان قوى ضد أي تهديد مثل هذا لمصالحها والى أن يحين الوقت الذى يكون فيه سلوك مصر مدعاة الى الثقة بالضمانات التى تعطىها يكون من الواجب على الأمبراطورية البريطانىة تقديمها أن تستبقى مآزاه كافياً من الضمانات . وأول هذه الضمانات رؤاسها هو وجود جنود بريطانىة فى مصر وحكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تتخلى عن هذا الضمان ولا أن تنقص منه .

على انها تعيد القول وتأكد به بأن مطالبها في هذا الصدد لا يقصد بها استمرار حماية لا فعلا ولا حكما بل بالعكس أن أمنيتها القلبية الخالصة هي أن تتمتع مصر بحقوق وطنية ويكون لها بين الامم مقام دولة متمتعة بحق السيادة على أن تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بالامبراطورية البريطانية بماهدة تكفل للفريقين مصالحهما وأغراضهما المشتركة . ولهذا الغاية التي جعلتها حكومة جلالة نصب عيذها اقترحت رفع الحماية فوراً والاعتراف بمصر « دولة متمتعة بحقوق السيادة تحت أمرة ملكية دستورية » والاستعاضة عن العلاقات القائمة الآن بين الامبراطورية البريطانية ومصر « بماهدة دائمة رابطة سلام ووداد وتحالف » وكانت حكومة جلالة تأمل أن مصر باحادة وفرة الخارجية ترسل ممثلها في الحال الى الممالك الاجنبية كما انها كانت على استعداد لتعضيد مصر في انضمامها الى جمعية الامم اذا طلبت ذلك وبذلك كان يتحقق لمصر في المال والدول المنفعة بحقوق السيادة من السلطة والميزات ولكن رفض حكومة عظمتكم الحاضرة لهذه لاقتراحات اوجد حالة جديدة . وهذه الحالة لا تؤثر في مبدأ السياسة البريطانية ولكنها بالضرورة تقلل من التدابير التي يمكن تنفيذها الآن ولذلك فان حكومة جلالة الملك ترغب أن تبدي بوضوح حالة موقفها الآن .

فما يتعاق بالخاضر لا يمكن لحكومة جلالة تنفيذ اقتراحاتها بدون رضا الامة المصرية واشترائها ولكن حكومة جلالة تحافظ على الرغبة التي كانت لديها على الدوام وهي العمل على انماء مواهب المصريين وزيادة عدد الموظفين منهم في كل فرع ولا سيما في الفروع الادارية العاليه التي كثر فيها عدد الموظفين الاوربيين وحكومة جلالة مستعدة

لأن تواصل بمشاورة حكومة عظمتكم المفاوضات مع الدول الأجنبية لأجل إلغاء الامتيازات لكي يكون الموقف الدولي جلياً عند ما يحين وقت إصدار التشريع المصري الذي سيحل محل تلك الامتيازات. وكذلك نرجو حكومة جلالتك أن الساطة التي يباشرها الآن القائد العام تحت القانون العسكري تباشرها الحكومة المصرية وحدها بمقتضى القوانين المدنية المصرية وهي تسر برفع الأحكام العسكرية حالما يصدر « قانون التضيقات » ويعمل به في كل المحاكم المدنية والجائية في مصر وهو قانون لا بد منه لحماية الحكومة المصرية وحماية السلطة البريطانية في مصر

وأما من جهة المستقبل فإن حكومة جلالتك الملك ترغب أن توضح بمبارة جليلة السياسة التي تولى اتباعها. فقد علمت أن المشروع الذي قدمته الى وفد عظمتكم قد رضى بحجة أن الضمانات التي تضمنها المشروع لصياغة المصالح البريطانية والأجنبية تقضي على التمتع بالحكومة الذاتية متمماً صحيحاً وهي تأسف غاية الاسف على أن احتباء الجنود البريطانية في مصر واشتراك الموظفين البريطانيين مع وزارتي الخزانة والمالية يساء فهم المراد منهما الى هذا الحد. اذا كان الشعب المصري يستسلم الى امانته الوطنية مهما كانت هذه الاماني صحيحة ومشروعة في ذاتها دون أن يكثرث اكثرنا كايماً بالحقائق التي تستحكم في الحياة الدولية فإن تقدمه في سبيل تحقيق مطمحهم الاممي لا يصيه التأخير فقط بل يتعرض للخطر تعرضاً تاماً. اذ ليس من فائدة ترجي من وراء التصغير من شأن ما على الامم من الواجبات وتمظيم مالها من الحقوق وان الزعماء المتطرفين الذين يدعون الى هذا

لا يعملون على نهوض مصر بل يهددون رقيها . وهم بما كان لهم من
 الاثر في مجرى الحوادث قد تحدوا مرة بعد مرة الدول الاجنبية في
 مصالحها وأثاروا مخاوفها . وكذلك عملوا في الاسابيع الاخيرة على
 التأثير على مصير المفاوضات بنداآت مهيبة استثاروا بها جهل العامة
 وشهواتهم . وان حكومة جلالة الملك لا تعتبر انها تخدم مصلحة
 مصر بتساهلها ازاء تهيج من هذا القبيل ولن يمكنوا مصر أن تسير
 في سبيل الرقي الا متى اظهر قادتها المستولون من الحزم والعزيمة ما يكفل
 قمع مثل هذا التهيج فان العالم الآن تألم من جهات عديدة من الاندفاع
 في نوع من الوطنية المتعصبه المضطربة وحكومة جلالة الملك تقاوم
 هذا النوع من الوطنية بكل شدة سواء في مصر او في غيرها . وان
 اولئك الذين يستسلمون لتلك النزعات انما يعملون على جعل القيود
 الاجنبية التي يطلبون الخلاص منها اشد لوماً وبذلك يطيلون أجلها .
 واذا كان الامر كذلك فان حكومة جلالة الملك مراعاة لمصلحة مصر
 ومصالحها الخاصة أيضاً تستمر بلا تردد على مواصلة غرضها كمرشدة
 لمصر وأمينه على مصالحها ولا يكفيها أن تعلم أن في استطاعتها العودة
 الى مصر اذا تبين أن مصر بعد أن تركت لنفسها بغير معونة قد عادت
 الى عهد البذير والاضطراب الذي لازمها في القرن الماضي . فرغبة
 حكومة جلالة الملك أن تستكمل العمل الذي بدى به في عهد اللورد
 كرومر لا أن تبدأه من جديد . وهي لا تنسى أن تبقى مصر تحت
 وصايتها بل بالعكس ترغب في تقوية عناصر التعمير في الوطنية المصرية
 وتوسيع مجال العمل أمامها وتغرب ارفت الذي يمكن فيه تحقيق
 الملمح الوطني تحقيقاً تاماً . ولكنها ترى من الواجب أن نصر على

الاحتفاظ بالحقوق والسلطة الفعالة لأجل صيانة مصالح مصر ومصالحها الخاصة على السواء وذلك الى أن يظهر الشعب المصرى انه قادر على صيانة بلاده من الاضطراب الداخلى وما يترتب عليه حتما من تداخل الدول الاجنبية .

وسبيل التقدم الوحيد للشعب المصرى يقوم على تأزره مع الامبراطورية البريطانية لاعلى تنافرهما . وحكومة جلالاته لرغبتها فى هذا التأزر مستعدة فيما يتعلق بها الى البحث فى أية طريقة قد تعرض عليها لاجل تنفيذ اقتراحاتها فى جوهرها وذلك فى أى وقت ترده حكومة عظمتكم . على انها مع هذا لا يسمها تعديل المبدأ الذى بليت عليها تلك الاقتراحات ولا اضعاف الضمانات الجوهرية التى تشتمل عليها . وهذه الاقتراحات من مقتضاها أن يكون مستقبل مصر فى أيدي الشعب المصرى بنفسه . فكلما زاد اعتراف شعبكم بوحدة المصالح البريطانية ومصالحه قلت الحاجة الى هذه الضمانات . وقادة مصر المسئولون هم الذين عليهم فى هذا المهد الثانى من اشتراكهم مع بريطانيا العظمى أن يثبتوا بقبولهم النظام الوطنى المعروض عليهم الآن وبالتزام جانب الحكمة فى العمل به ان المصالح الحيوية للامبراطورية البريطانية فى بلادهم يمكن أن توكل لصايتهم بالتدريج .

رد الوفد الى سبي

على مشروع الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

اطلع الوفد الرسمي المصري على المشروع الذي سلمه اللورد كرزون الى رئيس الوفد بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢١ .

ولقد رأي أن هذا المشروع تضمن فيما يتعلق بأكثر المسائل التي تناولتها مناقشتنا والمذكرات التي تبادلناها منذ أربعة شهور نفس النصوص والصيغ التي عرضت علينا عند بدء المفاوضات ولم تقبلها حينئذ .

فمن المسألة العسكرية وهي ذات أهمية كبرى استبقى المشروع الحل الذي قاومناه أشد مقاومة . ولم يقتصر على ذلك بل توسع في مرامه بما جعله أشد وطأة . على ان حماية المواصلات الامبراطورية ، وهي التي قبل في مفاوضات العام الماضي أنها العلة الوحيدة لوجود قوة عسكرية في القطر المصري ، لا تبرر هذا الحل .

في حين أنه كان يكفي تعيين نقطة في منطقة القتال تنحصر فيها طرق ووسائل المواصلات الامبراطورية وكذلك القوة التي تتولى حمايتها نص المشروع على تحويل بريطانيا العظمى الحق في ابقاء قوات عسكرية في كل زمان وفي أي مكان بالاراضي المصرية ووضع أيضاً تحت تصرفها كل مالى القطر من وسائل المواصلات وطرقها . وهذا انما هو الاحتلال بذاته ، الاحتلال الذي يهدم كل معنى للاستقلال بل ويذهب

الى حد القضاء على السيادة الداخلية . على ان الاحتلال العسكري في الماضي ، ولو لم تكن له الاصفة مؤقتة ، قد كفى لأن يثبت لبريطانيا العظمى المراقبة المطلقة على الادارة كلها وان لم يكن هناك أي نص في معاهدة أو تقرير لأي سلطة .

أما مسألة العلاقات الخارجية ، وهي المسألة الوحيدة التي عدلت فيها الصيغة الاولى التي كانت وضعها وزارة الخارجية البريطانية وذلك بقبول مبدأ التمثيل ، فان المشروع قد أحاط الحق الذي اعترف لنا به بقيود كثيرة أصبح معها بمثابة حق وهمي ، اذ لا يتصور أن تتوفر لدى وزير الخارجية الحرية التي يقتضيها القيام بأعباء منصبه وتحمل مسؤوليته اذا كان ملزماً بنص صريح بأن يبقى على اتصال ويثق بالمندوب السامي . فان ذلك معناه أن يكون خاضعاً في الواقع لمراقبته مباشرة في ادارة الامور الخارجية . وعدا ذلك فان الالتزام بالحصول على موافقة بريطانيا العظمى على جميع لاتفاقات السياسي ، حتى ما لا يتناقض منها مع روح التحالف ، فيه اخلال خطير بمبدأ السيادة الخارجية . وأخيراً فان احتباء لقب المندوب السامي ، وهو لقب لم يجر العادة بمنحه الى الممثلين السياسيين لدى البلاد المستقلة ، هو أوضح في الدلالة على طبيعة النظام السياسي المقترح لمصر .

ومن جهة أخرى فان تأجيل مسألة الامتيازات دافعاً الى الاعتقاد بأنه لم تبق حاجة الى النص عليها في المعاهدة وان المفاوضات بشأنها في المستقبل تكون موكولة الى مصر صاحبة الشأن الاول مع معادرتها في ذلك سياسياً من جانب حليفتها . ولكن المسألة منظور اليها اليوم كأنها تعني على الاخص بريطانيا العظمى التي تتولى من الآن حماية

المصالح الاجنبية . وتريد أن تباهر وحدها عند الاقتضاء المفاوضات بشأن الغاء الامتيازات .

أما فيما يتعلق بالمندوبين (القوميسيرين) المالي والقضائي وبتدخلهما في ادارة الشؤون الداخلية كلها باسم حماية المصالح الاجنبية تداخلا قد يصل في بعض الاحوال فيما يختص بالمندوب (القوميسير) المالي الى شل سلطة الحكومة والبرلمان فاننا لا نريد هنا أن نكرر ما سبق لنا ابداءه من الاعتراضات في مذكراتنا .

على انه يتحتم علينا القول بأن المناقشات التي تلت تأجيل مسألة الامتيازات بعثت في نفوسنا الشعور بأن الاتفاق فيما يتعلق بحماية المصالح الاجنبية سيقوم على قواعد أكثر ملاءمة للسيادة المصرية . أما مسألة السودان التي لم يكن قد تناولها البحث فلا بد لنا فيها من توجيه النظر الى ان النصوص الخاصة بها لا يمكن التسليم بها من جانبنا . فان هذه النصوص لا تكفل لمصر التمتع بما لها على تلك البلاد من حق السيادة الذي لا نزاع فيه وحق السيطرة على مياه النيل .

ان الملاحظات المقدمة لا تجعل ثمة حاجة الى مناقشة المشروع تفصيلا اذ فيها ما يكفي للدلالة على روجه ومزمهه . وغير هذا فقد التزم المشروع تكرار ذكر تعهدات بريطانيا العظمى و « المسؤولين الخصوصيه » الواقعة على المندوب السامي وكذلك الغرض الجديد . وهو قصد صيانة المصالح الحيويه لمصر . الذي اتخذ سبباً لوجود القوة العسكرية وبهذا تم للمشروع صبغة الوصاية الفعلية .

انما قبلنا المهمة التي عهد بها اليها عظمة السلطان كنا نؤمل
الوصول الى ابرام معاهدة تحالف مؤيدة لاستقلال مصر تأييداً حقيقياً
وكفيلة في الوقت نفسه بصيانة المصالح البريطانية وعندئذ فان مصر
حليفة بريطانيا العظمى كانت تعد من واجبات كرامتها الوفاء باخلاص
بما تقطعه على نفسها من اليهود . ولكن التحالف بين أمتين لا يمكن
أن يتحقق الا على شريطة أن لا يقضى على احدهما بالخضوع الدائم .
وان روح المسألة التي سادت مفاوضاتنا كانت تسمح لنا بالتفاوض
بنجاح المفاوضات . ولكن المشروع الذي آمنا لم يحقق هذا الامل .
فهو بحالته لا يعمل محلاً للأمل في الوصول الى اتفاق يحقق أمان
مصر الوطنية ما

لوندرة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢١

الى ثيقتان الجديدتان

كتاب الورد اللتي الى عظمة السلطان

يا صاحب العظمة

(١) أنسرف بأن أعرض لمقام عظمتكم أن الناس قد ذهبوا في تأويل بعض عبارات المذكرة التفسيرية التي قدمتها الى عظمتكم في الثالث من شهر ديسمبر مذاهب تخالف أفكار الحكومة البريطانية وسياستها وهو ما آسف له أسد الاسف

(٢) ولقد يخال المرء مما نشر عن هذه المذكرة من التعليقات العديدة أن كثيراً من المصريين التي في روعهم أن بريطانيا العظمى توشك أن ترجع في نواياها القائمة على التسامح والعطف على الأمنى المصرية وانها تنوى الانتفاع بمركزها الخاص بمصر لاستبقاء نظام سياسى ادارى لا يتفق والحريات التي وعدت بها

(٣) غير انه ليس شيء أبعد عن خاطر الحكومة البريطانية من هذه الفكرة . بل ان الاساس الذي بنيت عليه المذكرة التفسيرية هو ان الغاية من الضمانات التي تطلبها بريطانيا العظمى ليست ابقاء الحماية حقيقة أو حكماً . وقد نصت المذكرة على أن بريطانيا العظمى صادقة الرغبة في أن ترى مصر متممة بما تتمتع به البلاد المستقلة من ميراث أهلية ومن مركز دولي

(٤) واذا كان المصريون قد رأوا في هذه الضمانات انها تجاوزت الحد الذى يلتزم مع حالة البلاد الحرة فقد غاب عنهم ان انجلترا انما

الجأها الى ذلك حرصها على سلامة "نفسها" لقاء حالة تتطلب منها أشد الحذر خصوصاً فيما يتعلق بتوزيع القوات العسكرية . على أن الاحوال التي يمر بها العالم الآن لن تدوم . ولا يلبث كذلك أن يزول الاضطراب السائد في مصر منذ الهدنة . والامل وطيد في أن الاحوال العالمية صائرة الى التحسن . هذا من جانب . ومن جانب آخر فكما قيل في المذكرة سيجيء وقت تكون فيه حالة مصر مدعاة الى الثقة بما تقدمه هي من الضمانات المصرية لصيانة المصالح الاجنبية

(٥) اما أن تكون إنجلترا راغبة في التداخل في ادارة مصر الداخلية فذلك ما قالت فيه الحكومة البريطانية ولا تزال تقول ان اصدق رغباتها وأخلصها هو أن تترك للمصريين ادارة شؤونهم . ولم يكن يخرج مشروع الاتفاق الذي عرضته بريطانيا العظمى عن هذا المعنى . واذا كان قد ورد فيه ذكر موظفين بريطانيين لوزارات المالية والحقانية فان الحكومة البريطانية لم ترم بذلك الى استخدامهما للتدخل في شؤون مصر . وكل ما قصده هو أن تستبق اداة اتصال تستدعيها حماية المصالح الاجنبية .

(٦) هذا هو كل مرعى الضمانات . ولم تصدر هذه الضمانات قط عن رغبة في الخيلولة بين مصر وبين التمتع بحقوقها الكاملة في حكومة أهلية .

(٧) فاذا كانت هذه هي نوايا انكلترا فلا يمكن لأحد أن ينكر أن إنجلترا يعز عليها أن ترى المصريين يؤخرون بعملهم حلول الاجل الذي يبلغون فيه مطمحاً ترغب فيه انكلترا كما تتوق اليه مصر . أو أن ينكر انها تكره أن ترى نفسها مضطرة الى التداخل لرد الامن الى

نصايه كلما أدركه اختلال يثير مخاوف الاجانب ويجعل مصالح الدول في خطر . وانه ليكون مما يؤسف له أن يرى المصريون في التناذير الاستثنائية التي اتخذت أخيراً أي مساس بمطمحهم الايمى أو أية دلالة على تغيير للقاعدة السياسية التي سبق بيانها . فان الحكومة البريطانية لم يعد غرضها أن تضع حداً لتهييج ضار قد يكون لتوجيهه الى اهواء العامة تتأجج تذهب بشجرة الجهود القومية المصرية . ولذلك كان الذي روعي بوجه خاص فيما اتخذ من التناذير مصلحة القضية المصرية التي تستفيد من أن البحث فيها يجري في جو قائم على الهدوء والمناقشة باخلاص .

(٨) والآن وقد بدت تعود السكينة الى ما كانت عليه بفضل الحكمة التي هي قوام الخلق المصري والتي تتغلب في الساعات الحاسمة فاني لسعيد أن أنهى الى عظمتكم أن حكومة جلالة الملك تنوى أن تغير على البرلمان بأقرار التصريح الملحق بهذا . واني على يقين بأن هذا التصريح يوجد حالة تسود فيها الثقة المتبادلة ويضع الاساس لحل المسألة المصرية حلانها ثانياً مرضياً .

(٩) وليس ثمة ما يمنع منذ الآن من اعادة منصب وزير الخارجية والعمل لتحقيق التمثيل السياسي والفنصلي لمصر .

(١٠) أما انشاء برلمان يتمتع بحق الاشراف والرقابة على السياسة والادارة في حكومة مسؤولة على الطريقة الدستورية فالأمر فيه يرجع الى عظمتكم والى الشعب المصري .

واذا ابطأ لأى سبب من الاسباب انفاذاقانون التضمينات (اقرار الاجراءات التي اتخذت باسم السلطة العسكرية) السارى على جميع

ساكنى مصر والذى أشير اليه في التصريح الملحق بهذا فانى أود أن
أحيط عظمتمكم بأنى الى أن يتم الغاء الاعلان الصادر فى ٢ نوفمبر سنة
١٩١٤ سأكون على استعداد لايقاف تطبيق الاحكام العرفية فى جميع
الامور المتعلقة بحرية المصريين فى التمتع بحقوقهم السياسية .

فالمكلمة الآن لمصر . وانه ليرجى انها وقد عرفت مبلغ حسن
استعداد الحكومة البريطانية ونواياها تسترشد فى أمرها بالمقل
والروية لا يعامل الاهواء .

ولى مزيد العرف المح

القاهرة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

(اللبى فيلد ماريفال)

تصريح لمصر

بما ان حكومة جلالة الملك عملا بنواياها التي جاهدت بها ترغب في الحال في الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة وبما أن للملاقات بين حكومة جلالة الملك وبين أهمية جوهرية للامبراطورية البريطانية — بموجب هذا تعلن المبادئ الآتية :

(١) انتهت الحماية البريطانية على مصر . وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة .

(٢) حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات (اقرار الاجراءات التي اتخذت باسم السلطنة العسكرية) نافذ العمل على جميع ساكني مصر تلغي الاحكام العرفية التي أعلنت في ٢ نوفمبر ١٩١٤

(٣) الى أن يحين الوقت الذي يتسنى فيه ابرام اتفاقات بين حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالامور الآتية بيانها وذلك بمفاوضات ودية غير مقيدة بين الفريقين تحتفظ حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولى هذه الامور وهي :

« ا » تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية في مصر

« ب » الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تداخل أجنبي بالذات أو بالواسطة

«ج» حماية المصالح الاجنبية في مصر وحماية الاقليات

«د» السودان

وحتى نبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه الامور

على ما هي عليه الآن .

تأليف الوزارة الجديدة

امركريم نمرة ١٣ لسنة ١٩٢٢

صادر لحضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا

عزيزي عبد الخالق ثروت باشا

ان القرار الذي ابلغنا اياه صاحب المقام الجليل المندوب السامي لدولة بريطانيا العظمي فيما يختص بانتهاء الحماية البريطانية على مصر بالاعتراف بها دولة مستقلة ذات سيادة يحقق أحر أمنية لنا ولشعبنا العزيز وهو نمرة الجهاد القومي الذي تعهدناه على الدوام بالتشجيع والتأييد ولا ريب عندنا في أن استمساك الامم بروابط الوثام والائحاد والتماسها جانب الحكمة في هذا الدور الجديد من حياتها السياسية كغفل بتحقيق كامل امانها

ونظراً لما نعرفه لكم من الجهد المشكور في خدمة القضية المصرية ولما لنا من الثقة التامة بكم وما نمهده فيكم من الجدارة الكاملة للقيام بمهام الامور - قد اقتضت ارادتنا السلطانية توجيه سند رئاسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرئاسة الجليلة لمهتكم . وقد أصدرنا أمراً هذا لدولتكم للاخذ في تأليف وزارة جديدة يكون من بينها وزير للخارجية وعرض مشروعه لجنابتنا لصدور مرسومنا العالي به . ولما كان من أجل رغباتنا أن يكون للبلاد نظام دستوري يحقق التعاون بين الامم

والحكومة لذلك يكون من أول ما تعني به الوزارة اعتداد مفروع ذلك النظام .

وانا نسأل الله العليّ القدير أن يجعل التوفيق رائدنا فيما يعود على بلادنا ورجالنا بالخير والسعادة وهو المستعان .

صدر بسرأي طابدين في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ - أول مارس ١٩٢٢
الامضاء - (فؤاد)

برنامج الوزارة

يا صاحب العظمة :

أتقدم الى سدة عظمتكم بفائق التكر على ما نفضلت فأوليتني من الثقة السامية اذ عهدت الي بتأليف الوزارة الجديدة ووجهت الي رتبة الرئاسة الجلية .

واني لأشرف بأن أعرض على عظمتكم امماء الوزراء الذين تتألف منهم هيئة الوزارة وقد قبلو مشاركتي في العمل وهم :

الاعمال	صديقي باشا	وزارة المالية
وابراهيم فتحي باشا	»	الحرية والبحرية
وجعفر ولي باشا	»	الاوقاف
ومصطفى ماهر باشا	»	المعارف العمومية
ومحمد شكرى باشا	»	الزراعة
ومصطفى فتحي باشا	»	الحقانية
وحسين واصف باشا	»	الاشغال العمومية
وواصل مميك بك	»	المواصلات

وقد احتفظت وزارتي الداخلية والخارجية
فاذا وقع هذا الاختيار موقع الاستحسان لدى عظمتكم يصدر
المرسوم العالي بالتصديق عليه
يا صاحب العظمة :

لم يكن لرملائي ولي ونحن نشاطر الأمة أمانيها في الاستقلال الا
أن قرر الوفد الرسمي الذي تولى المفاوضات لعقد اتفاق مع بريطانيا
العظمى على ما نعمل . فلم يكن يسعنا أن نتولى اعباء الحكم مادامت
المبادئ التي تسترشد بها الحكومة البريطانية في سياستها نحو مصر
هي تلك التي كانت تظهر من مشروع ١٠ نوفمبر من العام الماضي ومن
المذكره التفسيرية التي تلته . فان تولى الحكم في ظل مثل هذه المبادئ
قد يكون فيه معنى القبول بها .

غير أن الكتاب الذي رفعه فحامة المندوب السامي البريطاني الى
عظمتكم وتصريح الحكومة البريطانية في البرلمان قد أحدثا في الحالة
تغييراً كبيراً فأصبح من الممكن أن تتألف هذه الوزارة اذ أنها ترى
أن الشعور القومي أصاب ترضية من هاتين الوثيقتين لا من ناحية
الاعتراف باستقلال مصر حالا وقبل أي اتفاق محسب إل ولان
المفاوضات المقبلة ستكون حرة غير مقيدة بأي تعهد سابق
أما وقد حزنا هذا الدور بغير فلم يبق على مصر الا أن تثبت
لبريطانيا العظمى أن ليس بها في سبيل حماية مصالحها من حاجة للتشدد
في طلب ضمانات قد يكون فيها مساس باستقلالنا وان خير الضمانات
في هذا الصدد وأجلها أن نأرأ هي حسن نية مصر ومصلحتها في حفظ
المهود .

على أن الوزارة ترى أنه لكي تكون جهود البلاد في سبيل تحقيق كامل أمانها بحيث تقوى جميع ثمرها يجب أن يؤلف بين عمل الحكومة وبين عمل هيئة تنوب عن الأمة وأن تسمى الهيئة متساندين لأغراض متعددة ولذلك فإن الوزارة عملاً بأوامر عظمتكم ستأخذ في الحال في اعداد مشروع دستور طبقاً لمبادئ القانون العام الحديث وسيقرر هذا الدستور مبدأ المسؤولية الوزارية ويكون بذلك الهيئة النيابية حق الاشراف على العمل السياسي المقبل .

وفى عن البيان ان اتعاذ هذا الدستور يقتضي إلغاء الاحكام العرفيه هذا وان اعاده منصب وزير الخارجية سيعين على العمل لتحقيق التمثيل السياسي والقضلى لمصر في الخارج

ونظراً لأن النظام الادارى الحالى لا تتفق مع النظام السياسي الجديد ومع الانظمة الديموقراطية التي ستمنحها البلاد فإن الوزارة قد اعترفت أن تتولى الأمر بنفسها وبلا فريق في الحكم الذى ستمحصل كل مسؤوليته أمام الهيئة النيابية المصرية وسيكون رائدها في ادارة شؤون الأمة توجيهها الى المصلحة القومية دون غيرها والوزارة موقفه بأن أكبر عامل لنجاح مصر في تسوية المسائل التى بقى حلها وأقوى حجة تستعين بها في تأييد وجهة نظرها هو أن تقبل على هذا الدور الجديد متحدة الكلمة مؤتلفة القلوب وأن تأخذ بدواعي النظام وتلتزم جانب الحكم

والوزارة تحيى العصر الجديد الذى كان لعظمتكم أجل أثر في طلوعه على الأمة بفضل ما بذلته عظمتكم من المساعي الوطنية العالبة وهي واثقة أن ستلقى من لدن عظمتكم كل تأييد في عمل النقد وانها

نرجو ان يحىء مكلا لجهود البلاد .
وانى لا أزال لمظمتكم العبد الخاضع المطيع والخدام المخلص
الامين ؟

(ثروت)

القاهرة فى ٢ رجب سنة ١٣٤٠ (أول مارس سنة ١٩٢٢)

خطب ثروت باشا في وفود المهنتيين

ملخصة في مقطم ٢١ مارس سنة ١٩٢٢

خلاصة خطب ثروت باشا

في وفود الاعيان

يوم ٢١ مارس سنة ١٩٢٢

ان مصر خطت الخطوة العظمي في سبيل الاستقلال وذلك بفضل
أهلها - كل على قدر اشتراكه في الاتحاد والتضامن في سبيل
الاستقلال . فهم أى الوفود يهتفون دولته به ويفكرونه عليه ولكن
دولته يرد ثناءهم اليهم ويفكر الأمة وأبناءها الذين جدوا وجاهدوا
لنيل هذا الاستقلال بتضامنهم واتحاد كلتهم حتي حصلوا على هذه
النعمة العظمي من نعم الله التي يجب عليهم التحدث بها على الدوام . قال
فلقد حضر هذا الصباح معتمدوا الدول الاجنبيه الى سراى طابدين
العاصمة لجلالة الملك فقدمهم دولته الى جلالاته واحدا واحدا ثم خطب
أقدمهم عهداً فهناً لجلالاته باستقلال مصر مجاهرا على رؤوس الاشهاد
ثانياً انه اذا فلما أن مصر خطت الخطوة العظمي في سبيل
الاستقلال فليس المراد من ذلك ان مصر لم تحصل على استقلالها لأنها
حصلت عليه من الوجهة الوطنية المصرية وانما المراد أنه لا يزال أمام

مصر مفاوضات يلزمها أن تفاوضها من الوجهة البريطانية لأن انكلترا
تطلب من مصر ضمانات . فقد كانت انكلترا قابضة على استقلال مصر
وهي تقول لنا انه وديمة بيدي اسلمكم اياه متى أعطيتوني الضمانات
التي أطلبها منكم . وكان دولته ينتقل من هذا الكلام الى الكلام
عن الوفد المصري الرسمي ويطرى مآثر صاحب الدولة عدلى باشا فيه
وامتناعه عن أن يقيد الامة بأعطاء الضمانات المطلوبة حتي عاد دولته
ورفاقه من دون أن يتم الاتفاق على الاستقلال المطلوب . وانحاز
ثروت باشا وغيره من الوزراء الباقين في هذا القطر الى دولة عدلى باشا
وقالوا قوله ورفضوا مافرضه وهكذا فضل أعضاء الوزارة الحالية
معتمدين في ذلك كله على اتحاد الامة وحسن نضامها وصدق غيرها
وعزيمتها حتي قدر الله ان رضيت انكلترا بتسليم وديمة الاستقلال الى
مصر . وأن لا تطلب الوزارة المصرية أية كانت بالضمانات التي تريدها
بل تطلب الامة المصرية ذاتها . فنالت مصر استقلالها وفازت بحريتها
وهي لم تقيد بشيء ولا أخذ عليها عهد ما . والآن تسعي الوزارة في
انشاء برلمان مصرى يكون له القول الفصل في مسألة الضمانات
الانكليزية . قال دولته فاذا بحث نواب أمتكم في تلك الضمانات
ووجدوها مطابقة لاستقلالهم ومصلحة بلادهم قبلوها واذا لم يجدوها
كذلك رفضوها وهم أسياذ في بلادهم . ثم كان دولته يتخلص من ذلك .
ثالثا ان الفوز التام في سبيل هذا الاستقلال انما ينال اذا سلكت
الامة سبيل العقل والروية وحافظت على السكون وتعام النظام واظهرت
للأوربيين جميعا انها أمة نحسن السير وتستطيع التقدم في مراتب
الكمال بعد تمتعها بنعمة الاستقلال . قال دولته وهذا يتوقف أمره

عليكم ويطلب منكم . والحكومة ترجو انكم تضافرونها عليه
وتكونون لها عوناً فيه فهي مستعدة لأن تضع يديكم ما يلزم لحفظ
السكون والنظام من وسيله وعده من الوسائل المعروفة وعاقدة النية
على أن لا تدخرو سماً في تأييد النظام وشدة أزر المحافظين عليه والضرب
على كل يد تميت به وتعيث فساداً في البلاد . وهي مصممة أيضاً على
أن تفرغ جهدها في عمل كل ما تقتضيه مصلحة البلاد من الاعمال
وما يقتضيه السكون والنظام وتقدم البلاد والمباد في الراحة والرفاهة
وترجو أن الامة تتأني في حكمها على عملها ولا تتسرع بالاصغاء الى
الاقوال التي لا تطابق الواقع حتى يتضح لها الخث من الثمين والصدق
من المين فتحكم حكمها بعد ذلك . وكانت الوفود تقابل أقوال دولته
بالهتاف والدعاء . وخصوصاً عند ذكر دولة عدلى باشا وكانت تهتف
طويلاً وتصفق كثيراً .

خطبة

صاحب الدولة ثروت باشا في مأدبة الكوكتنتال

محضرات السادة الاجلاء

انى أعجبك الاغتياب بموقفي بينكم في هذا اليوم السعيد الميمون
الذي هو أول عيد لميلاد مولانا المعظم بعد اعلان استقلال البلاد
أرى أيها السادة من واجبي قبل كل شيء أن انمى بكل احترام
واجلال تحية لصاحب عرش مصر على ما أبداه من التفانى في شد أزور
أمته والاخذ بنصرها في هذا الدور العظيم من أدوار تاريخها
الطويل المجيد

لقد كان من بواعث سعادتي أن رأيت بنفسي عن كتب ما قام به
ملكنا النبيل من الجهاد في القضية المصرية فأثبت بهذا أن الدم لا يكذب
وكتب لنفسه في تاريخ المجد صحيفة خالدة جديرة بأن اسماعيل وحفيد
ابراهيم ومحمد علي فليحي سيد مصر المستقلة ولتهتف جميعاً من قلب
مقيم بالاخلاص والولاء ليحي جلالة الملك فؤاد الاول

ثم نمحي بعد ذلك هذه الامة الكريمة التي عرفت قدر نفسها
واستهسكت بحقها وأبت أن تنازل عما يوجب عليها تاريخها الحافل
بالعظام وبحتمه عليها ماضيها العظيم وأظهرت من الحكم وسداد الرأي

ما اكسبها احترام الام وجعلها جذيرة بما تطمح اليه من المستقبل
الزاهر فانه اذا كان لأحد فضل فيها وصلنا اليه وفي ما ستمصل اليه
بمؤن الله وتأييد ملك البلاد فالفضل في الواقع للإمة بأجمعها ولما
أبداء كل فرد منها كبيراً أو صغيراً في صدق الوطنية وروح التضحية
أيها السادة : أنتم من صفوة ابناء الامة ومن خيرة أهل الفضل
والحجى فيها ولكم أكبر مصلحة في نجاحها ويسرها فانا انهر هذا
الطرف السعيد لكي اكشفكم بما يجول في نفسى وأخاطبكم اليوم لكي
أستمد العون والتعضيد منكم على ما أنا ماض فيه مع زملائي فانما نحن
لكم نعمل وبكم نعتز وليس لنا من الحول الا بمقدار ما نرى منكم من
الاخذ بناصرنا وما تولونا من ثقة

لنرجع اذن أيها السادة قليلا الى الوراء لنتعرف الحالة على حقيقتها
ولنتبين منها أهمية الخطوة التى خطوناها أخيراً

يسطت بريطانيا العظمى هاتها على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤
على أثر دخول تركيا الحرب العامة وانضمامها الى دولتي الوسط وأعلنت
في تبليغها للمغفور له السلطان حسين كامل ان جميع الحقوق التى كانت
لتركيا قد سقطت عنها وآلت الى الحكومة البريطانية ولكنها أعلنت
في الوقت نفسه انها تعتبر هذه الحقوق وديعة تحت يدها لسكان
القطر المصري

كانت نيران الحرب مشتعلة والنفوس ثائرة وقد أوشكت أركان
الحضارة أن تنهار وأصبح مصير الشعوب معلقاً في ميزان القدر فلم يكن
في وسع مصر الا أن تصبر حتى تنجلي هذه الكارثة ويتبين وجه الحق
وأقبلت على بريطانيا تنجدها نجدة الكريم للكريم ولم تدخر جهداً

في سهيل مدحا بالمعونة حتى بسم ثمر النصر فلما امضيت الهدنة بأدوات
المضمر تقاضي انجلترا ما وعدت به في اعلانها من أن حقوق تركيا وديمة
تحت يدها لسكان مصر وتطالبها برد الوديعة لاصحابها

ولا أرى داعياً الى الاسهاب في بيان ما وضع في هذه السنوات
من الجهاد الطويل وما حدث فيه من التطور في الافكار فكلكم اشتهرك
فيه وكلكم كان من المجاهدين ولكني اذكركم اني كنت في ذلك العهد
عضواً في الوزارة متشرفاً فيها برئاسة ذلك الوطني الجليل حضرة صاحب
الدولة حسين رشدي باشا ورميله الصديق الوفي الامين دولة عدلي باشا
فأبّت الوزارة أن تسكت على حق مصر أو تقبل في هذا الحق هوادة
أو تمويهاً فلما حالت الحكومة البريطانية بيننا وبين ابداء ما نريد
كانت الاستقالة المعروفة ولا ينكر أحد ما كان لهذه الاستقالة من
الأثر في تاريخ الحركة المصرية كان المذهب الذي تذهب اليه الحكومة
البريطانية في بادئ الأمر ان مصر قد دخلت في دائرة الحماية فلن
تخرج منها وقد أوفدت اللورد مائر الى مصر لكي ينظر في خير
الانظمة لهذه البلاد في دائرة الحماية فلما تبين لها انه ما من مصري
يرضى بتلك الحماية التي فرضت على مصر فرضاً لضرورات خاصة تحولت
عن موقعا الاولى وانتهى بها الامر الى الاعتراف بأن الحماية لم تعد
علاقة مرسية وطلبت الى مصر المفاوضة في ابدال هذه العلاقة بغيرها
يتبين لكم من هذا ان السياسة البريطانية تجاه مصر كانت قائمة
على أن الغاء الحماية لا يمكن أن يتم الا في مقابل علاقة جديدة تحمل عليها
وعلى أن لبريطانيا العظمى في هذا القطر مصالح جوهرية لا بد لها من
تأمينها وصانها فلن تعترف باستقلالها الا مني اعطيناها هذه الضمانات

فوالا أيها السادة نفهم ان "لجنة" المصالح انجلترا ومصالح جميع
الدولة الاجانب على الهواء هو عرض مصر نفسها على حسن محصل
كدولة "متمدنة" راقية ومصالحها في حلف "عربدها" فلقد أخفينا
بأسباب الرقي من عهد بميد وأدخلنا الى بلادنا الانظمة الحديثة
فيها راية "العرفان" وأوفدنا البعثات العلمية الى البلاد الغربية وبالأجل
نهضنا من عهد محمد علي نهضة عظيمة حتى صبح أن يقال ان مصر قطعة
من اوربا ومع هذا فان الامة المصرية لاجل اثبات حسن قصدتها
وشديد رغبتها في الاتفاق مع بريطانيا العظمى وتبديد غاومها سلت
مبدئياً بفكرة الضمانات وانما بشرط اساسي لا يحصى عنه وهو ان
لا تعارض هذه الضمانات مع الاستقلال وعلى أمل ان لا تلبث الحال
قليلا حتى ترى انجلترا ذاتها ان لا حاجة بها الى هذه الضمانات
تشكلت الوزارة المدنية لتتولى المفاوضة في القضية المصرية
بعد أن أعلنت الحكومة الانجليزية رأيها ولا يمكنني أن أنكر ذكر
هذا الحادث يمر دون أن أقوم بواجب أشعر به نحو ذلك الذي كان
مثلا في الوطنية ونكران الذات واهي به دولة "رعدى باها" لقد تولى
دولته رئاسة الوزارة قبل ذلك مرات عدة وبلغ اسمي مقام يمكن أن
يطمع اليه انسان ومع ذلك فانه قبل أن يدخل عضواً في الوزارة الجديدة
لان البلاد كانت في تلك الساعة في حاجة الى مواهبه وعلمه فا تردد في
اجابة نداء الواجب ولم يقعه عن ذلك اعتبار من الاعتبارات
سافر الوفد الرسمي الى انجلترا وعلى رأسه ذلك الرجل الكبير القلب
الكبير النفس عدلي يكن باشا للمفاوضة في عقد اتفاق وقد اخذ على نفسه
ان يعمل على تحقيق الاستقلال وطهارة امته بل طاهر قبل ذلك ضميره

وربه على أن لا يقبل اتفاقاً يخل بهذا الاستقلال بأي وجه من الوجوه . طالت المفاوضات شهوراً بين الرجا والياس الى ان تكشفت عن المشروع الذي قدمته بريطانيا العظمى الى الوفد في ١٠ نوفمبر من العام الماضي وهو المشروع الذي عرف بين الناس باسم مشروع كرزون نظر عدلي باشا الى المشروع فرأى أن بريطانيا العظمى غالت فيما طلبته من الضمانات وان هذه الضمانات لا تتفق وما يهاد به امته من استقلال لا تحوطه رية فارتدت لحظة في رفض برءا فترت فيه الحسكة بالقسم والبراءة السياسية بعزة النفس كان في وسعه أن يمرض المشروع على امته وان يلقى على عاتقها مسئولية قبوله أو رفضه ولكن عدلي عرض المشروع على ضميره أولاً فكان نصيبه الرفض

أيها المادة : سينشر يومان الايام ما طوي من الصعائف وما خفي من أسرار المفاوضات حينئذ يعلم بنو مصر جميعاً أنه مامن رجل دافع عن بلده كما دافع عدلي باشا عن مصر أثناء المفاوضات الرسمية وان الموقف الشريف الذي وقفه ذلك الوزير الكبير والوطني الصميم كان في ذاته أعظم تأكيد لشخصية مصر التي صممت على نيل استقلالها والتي تأبى أن توقع على صلح يضعف هذه الشخصية . انما الوطنية الصحيحة . الوطنية الصادقة تشمل ولا تتكلم وكل همهما موجه الى جلب النفع للوطن . فلزم عدلي باشا الصمت . كان خصومه يرمونه بأشنع ما يرمي به انسان من نقص في الوطنية وضعف في العقيدة القومية فكان جوابه الوحيد على هذه اتهم العمل على انبات حق مصر وأما ما عدا ذلك فلم يكن له عنده من شأن فكان وطنياً عظيماً في صمته كما كان وطنياً عظيماً في حسن دفاعه ولقد أعلنا تضامننا مع الوفد في رفضه للمشروع وفي رده عليه .

نم أيها السادة كئنا وماذا يقولون زال نقر الوفد على ما حصل في هذا الرقص
لأننا نأبي كل الآباء أن نقرأ أي اتفاق أو معاهد ينقض الاستقلال
ملادنا

ولكن بريطانيا العظمى أمسكت بالمشروع في يدها ولا زالت
بالاستقلال التام أمام عيوننا وقالت ها أنا ذا على استعداد للاعتراف
لكم بالاستقلال ولإلغاء الحماية المفروضة عليكم ولكن بشرط أن
أقتضى مسك عمه . فلما وما هو الثمن ؟ قالت أن تمنوني ما أطلبه من
الضمانات المبيية في المشروع فإن فعلتم كان لكم ما تريدون وإن أبيتم
فالحماية باقية في أعناقكم

قال الوفد الرسمي كلا وقلنا نحن كلا وقالت البلاد كلها بصوت واحد
كلا لأننا نريد استقلالاً صحيحاً ولأن ما تمترف به انجلترا في المشروع
تهدمه هائيك الضمانات

أما اليوم فقد تغيرت الحال فإن بريطانيا العظمى قد ألغت الحماية
على مصر . ألغتها ولم تتقاض ذلك الثمن الذي جعلت تقاضيه منا شرطاً
لإلغائها وما دى جلالة ملكنا المعظم بأن بلادنا دولة مستقلة تامة السيادة
وأبلغنا هذا المطلق الملكي من وزارة خارجيتها إلى وكلاء الدول الأجنبية
في مصر كما أبلغهم إياه جناب المارشال السى حياء ما رد هؤلاء الوكلاء
وصول البلاغ إلى دولهم وبأدرت الوزارات الأجنبية بتقديم تهاتها إلى
حكومتها على هذا العهد الجديد وأرسل الملوك ورؤساء الجمهوريات
إلى جلالة الملك فؤاد الأول تهانيمهم بالاستقلال

أيها السادة لقد كما لغاية سنة ١٩١٤ مستقائين استقلالاً داخلياً
نحت سيادة الدولة العثمانية فلما نشبت الحرب العامة وسقطت سيادة

تركيا عنا أصبحنا مستقلين حكما ولكن تمسك بريطانيا العظمى بانتقال حقوق تركيا اليها بحكم اعلان الحماية حال بيننا وبين استقلالنا أما اليوم فقد سقطت الحماية أيضاً دولياً بصورة نهائية فأصبحت مصر دولة مستقلة في نظر الدول جماعاً

ومهما كان رأى الناس في أمر الحماية واختلاف نظرم اليها من جهة صحتها أو بطلانها فما لا نزاع فيه أن بعض الدول وافقت عليها وانه من الوجهة الدولية أصبحت هذه الحماية صحيحة على الأقل في نظر هذه الدول أما اليوم فقد انتهى الأمر وسواء كانت هذه الحماية صحيحة أو باطلة فقد غت آثارها

يقولون ولكن بريطانيا قد احتفظت بأمور معينة كانت مبنية في المشروع الذي رفضته البلاد . وجوابي . أن هذه الامور احتفظت بها بريطانيا من تلقاء نفسها وبمحض ارادتها ومن غير أن توقع لها صكا بإقرارها . ولكن مشروع المعاهدة كان يجعل قبول هذه الصمات شرطاً أساسياً لالغاء الحماية وهناك على ما أظن فرق كبير بين أن تكون الضمانات صادرة عن ارادة انجلترا وبين أن تكون انجلترا حاصلة عليها بصفة شرعية برضي مصر

وفصلا عن هذا فان انجلترا قد احتفظت بهذه الصمات بصفة عامة دون تعرض للتفاصيل وقد سبق أن بينا أن مبدأ الصمات في ذاته سلمت به غالبية الامة وانما كان الاختلاف يقع عند التفصيل . والتصرح الأخير كتنفي بالاجمال واجتنب التفصيل . ثم أن الحكومة البريطانية في تبليغها الى جلالة الملك لم يسمها الا الاعتراف بان الامور المحتفظ بها تكون محلاً لمفاوضة مقبلة حمة غير مقيدة فبقي حق مصر

كاملا حتى لو وجعنا الى هذا التليخ
وفوق هذا كله فاما اينما أن ترتبط أي ارتباط بأي أمر من هذه
الامور وقلنا أن الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع تكون للبلاذ بمثلها
برلمانها

وبالاجمال فإن مصر خرجت من هذه المعركة السياسية فائزة بالازالة
التي كانت تسعي الى تحقيقها دون أن ترتبط بأي ارتباط أو تلتزم بمعهد
يقيد حريتها في العمل فيما تقي وان استقلالها أصبح معترفا به من
الدول

نترك هذا الموضوع وننتقل الى نظام الحكم في بلادنا
لقد جعلنا أساس برنامجنا فيما يتعلق بالحكم أن تكون لبلادنا هيئة
نيابية وأن تكون الوزارة مسئولة أمامها عن كل أعمالها فما تستطيع
البقاء في مناص الحكم الا اذا أولاها البرلمان ثقته لحققنا بذلك دفعة
واحدة ما يح صوت البلاذ في المطالبة به سنوات عديدة فلم تظهر بطائل
ومالم يحصل عليه كثير من البلاذ الا بعد أن بذلت في سبيله جهداً
كبيراً

ويترتب على هذا النظام بطبيعة الحال أن يكون للوزارة تمام الحرية
في تولى ادارة البلاذ وسياستها دون أن يشاركها في ذلك أحد لان تحمل
المسئولية يفترض في ذاته حتما هذه الحرية اذ بما لا يمكن تصويره أن
يكون للبرلمان الكلمة العليا في شئون البلاذ والاعتراف عليها وتكون
الوزارة مسئولة أمامه عن هذه الشئون فلا تبقى في مساندها الا بسيرها
على ارادته وتوجيهها انفاذ مقاصده ثم تكون في الوقت ذاته خاضعة
لأية سلطة أخرى فيما يتعلق بالشئون عينها

هي اننا ايها السادة لم ننتظر اتمام النظام البرلماني حتي نأخذ المسؤولية على
 ايماننا بل نحن قد اخذناها على حاتقنا من أول لحظة وأصبحت ادارة
 شئون البلاد في يدنا بتمام الحرية فلم يبق للمستشارين هذا الاثر الذي
 كلكم كنتم تعرفونه وتحسون به وأصبحت كلمتهم لا تخرج عن حد
 المشورة ولا اريد الحوادث فاجبركم بما سيكون في القريب العاجل
 وانخلاصة في هذا الباب أن مصر الآن من الوجبة لداخلية أصبحت
 أمورها بيد ابنائها وأنهاء تصح في القريب العاجل ذات نظام دستوري
 على أحدث النظم العصرية

ولم يبق علينا الا أن نقنع انجلترا أن ليس بها من حاجة الى التمسك
 بالضمانات التي تريد الاحتفاظ بها فتخطو بريطانيا العظمي خطوة أخرى
 بالاكْتفاء بما لا يتنافى منها مع استقلالنا القومي

أيها السادة : ليس لدينا وسيلة لتأيد ما نذهب اليه اكبر من تعلقنا
 باهداب السكينة والازمانا الهدوء وأخذنا بأسباب النظام فان حججهم
 الكبرى في ما يبدونه من رغبة في الضمانات هي شدة حذرهم على مصالحهم
 وخوفهم عليها وعدم اطمئنانهم في تركها لمهدتها فاذا قضينا على عوامل
 الفتنة والاضطراب وجعلنا التزام السكينة رائدنا قاننا نلزم هذا السلاح
 بأيديهم ويدفع حججهم علينا ولا مشاحة في أن كل من يعمل على
 تمكير السلام أو اثاره الاضطراب مجرم في حق وطنه عامل على هدم
 كيانه

علي أن خصوصتنا السياسيين لا يرون اننا فعلنا شيئاً أو أن الوثائق
 الجديدة تحوي أمراً جديداً وأذا إلغاء الحماية واعلان الاستقلال وتبليغه
 للدول واعتراف هذه الدول به وادخال النظام النيابي الكامل وتقرير

مبدأ مسئولية الوزارة أمام البرلمان على هذا الوجه - كما ذكرنا في
في نظر بعض الناس متى جاء على يد خصومهم
لاغرابية في ذلك فان للاعتبارات الشخصية عند البعض مقاماً فوق
كل مقام . تقولوا علينا الاقاويل وأذاعوا عنا ما أذاعوا في ظل هذه
ومرضها وزعموا أن الوزارة ستعرض لحرية الانتخابات وان البرلمان
سيكون العمود في يدها . من أين أنام علم الغيب ومن أين جاءهم أنها
ستعمل ذلك وأية مصلحة لها في أن لا تعرف من الامة الا رأياً فاسداً
لا يتفق ورأيها الصحيح

لقد نسوا انهم بهذا يرمون أمهم بأقبح التهم وينسبون اليها أنها
تفقد كالألغام وتستسلم استلاماً أعمى للحكام حتي فيما يعود على الوطن
بالتلف والمذلة

لقد نسوا أو تناسوا أيها السادة أننا أشخاص زائلون وانما لن
نقى مترمين في دست الاحكام الابدية من الزمن ثم نقضي للحبيل الثلاثة
أما النظام الدستوري فهو نظام ثابت دائم وهو أتم ما وصل اليه الناس
الى اليوم لتمثيل الامة أحسن تمثيل وللإشراف على الحكم بأهمها . سنذهب
نحن أما النظام فسيتبقى وعجيب ان رجالاً يتولون الحكم زمناً قصيراً
يعملون على تحقيق مثل هذا النظام الصالح لكي يجملوه أداة في يدهم
وسلاحاً يشبهونه في وجه خصومهم

أيها السادة لن تكون الانتخابات مراً مكتوماً فستشركون جميعكم
فيها بل يشترك فيها كل مصري له حق الانتخاب وستذيع أخبارها
وتناقشها الافواه وسترون بأنفسكم أن الحكومة بريئة مما يتهمون بها
وان هذه التهم وليدة الظن الاثم

انني أعتقد أن تحقيق النظام البرلماني 'صحيفة فغار - ولو ان
التمسخر كله في الامة واليها - فلن يبلغ بنا سوء الرأي الى تسويد هذه
الصحيفة بمثل ما ينسبون اليها من التداخل المعيب فلا تصفوا أيها
السادة الى ما يقولون ويميدون واحكموا بما سترون لا بما تسمعون
بهائي أجاهر لكم وهل وأنتم في حاجة الى مثل هذه المجاهرة بأن
الانتخابات ستكون حرة بعيدة عن عوامل التأثير وافساد الفضاير

كذلك أخذ خصومنا علينا عدم الناء الاحكام العرفية حالا
نم ان الناء الاحكام العرفية لم يصبح أمراً مرهوناً بإرادة السلطة
المسكينة وهو اليوم بيد الحكومة المصرية من حيث المبدأ ولكن
الشروط التي لا يشك أحد في وجوبها لالغاء تلك الاحكام لا تتحقق
بين حمضة عين وانتباهتها ، يعلمون ذلك ولكنهم يغالطون ويشوهون
الواقع في أمر قانون التضمينات للتسدرع بذلك في اتهام الوزارة في
اخلاصها وصدق نواياها

تعلمون حضراتكم انني في سنوات الحرب وبمدها صدرت تشريعات
مهمة استمدت فيها سلطة القائد العام لجعلها سارية على الاجانب حينما
كان الالتجاء الى الطرق العادية في اصدار القوانين غير ميسوراً ومقرراً
بالصعوبات أو محتمل البطء في أمور تقضى بالاستعجال كضريبة الخمر
وقانون أجور المباني وايقاف سريان المدد والمواعيد القانونية وكانظمة
المتعلقة بأشخاص الاعداء وأموالهم وتنفيذ معاهدات الصلح

كذلك منعت المحاكم الاهلية والمختلطة لاسباب مختلفة من نظر
مسائل داخله في اختصاصها أو يجوز اعتبارها كذلك لتتولاها محاكم
عسكرية أو لجان أو غير ذلك من الهيئات وصدرت في هذه المسائل

أحكام وقرارات وبني على أساسها حقوق وامتيازات ثم صدرت
أوامر إدارية وتدابير تتعلق بالأمن أو للنظام العام

وتعلمون حضراتكم أن كل ذلك حصل وإن السلطة العسكرية
اشتركت في أعمال التشريع والقضاء والإدارة العادية فبسبب
الامتيازات الأجنبية وبسبب الحرب هذا فضلا عن المركز الخاص الذي
تتبع لها بسبب معاهدات الصلح فأصبحت أشبه بنظام عادي بالرغم من
أن الأحكام العرفية بطبيعتها أداة استثنائية

تعملون ذلك حضراتكم ولا تجهلون أن كل ما بني على هذا النظام
يجب أن ينهار إذا زال أساسه وأنه إذا ألغيت الأحكام العرفية سقطت
كل التشريعات التي اتخذت بمقتضاها وأصبح من الممكن أن تنقض كل
الحقوق المدنية التي بنيت على أحكام السلطة وأوامرها بل أن يقتض
على السلطة أبواب مسؤولية واسعة

ليس منا من لا يوجب في إلغاء الأحكام العرفية وبلا تأخير ولكن
كل السائل يشمر بأننا لا يمكننا إلغاءها دون إقرار التصرفات الماضية
ولا عبء بما يراه غير المسؤولين الذين يرون أنه يكفي أن نطلب فنجاب
عرف الناس ذلك ومحموا أنه يجب إصدار قانون لإقرار التصرفات
الماضية فقال بعضهم انما أريد به تقرير الحماية وتنظيم أحكامها وهم
يعلمون أن ذلك القانون لا يخرج أمره عن أن يكون تصفية للماضي
ولا علاقة له مطلقا بالنظام المستقبل فانقطة التضمينات هي التي أفسحت
المجال للضالين أن يذهبوا إلى التأويل ما شاءوا وحقيقة الأمر أن
ذلك القانون يسمى بالإنجليزية Bill of Indemnity ومعناه الصحيح
القانون الذي يقيل من المسؤولية ويرفعها

على ان بعض من يفكرون من وجود الاحكام المؤقتة ويطلبون
بالتالي يعملون في الوقت نفسه على عرقلة مساعي الحكومة في ذلك وقد
وعدت هذه الوزارة بأنها اعتماداً على حسن موقف الامة ستسعي في
الحصول على الرجوع فيما اتخذ من التدابير المقيدة للحرية طبقاً للاحكام
العرفية ولكن الذين لا يرجعون حرية يحرضون على الفتنة ويشجعون
الرماع على الاخلال بالنظام وأعمال التهيج والارهاب (أرون في ذلك
حيثاً من الخير لبلاد) ولكن هذه الحكومة لن تري مانعاً من القيام
بواجبها وستمضي أعمالها بما تقتضيه عليها ذمتها وضميرها ولا تلتقي بالا
لهذه الحركات التي لم يقصد بها وجه الله ومصصلحة الوطن حتى اذا فرغت
من حملها وتقدمت به الى الامة أدرك كل باغ أن صفحتها بيضاء وان
اخلاصها عظيم

هذا ما أردت أن أقوله لكم في هذا المقام ولكني قبل الختام
وبمناسبة ما ذكره حضرة صديقنا شيخ المحامين وكبيرهم ابراهيم بك
الهللأوى (وكانني به قد خشي أن تنفي عزائمنا لما تلقاه من المعارضة)
لا أرى بداً من أن أطمئنه وأن أوجه أنظاركم إليها السادة الى انني لا أكره
المعارضة بل اذا العدمت هذه المعارضة فاني أعمل على خلقها لما لها
من وقع وفائدة في الوصول الى الحقيقة وتعميم كل أمر على أكل وجه
ولكنني أريد المعارضة الشريفة التي تترفع عن الاعتبارات الشخصية
ولا تنزل الى اختلاق الاكاذيب والميل على النيل من الخصم بكل
وسيلة والنظر الى كل حمل من أعماله بمنظار البغضاء والعداوة انني أريد
الخصومة الشريفة التي لا تنتظر الا لمصلحة الوطن وخير البلد وتدرس
كل أمر لدانه مجرداً عن كل اعتبار شخصي هذه الخصومة الشريفة

على الناس سبيل آرائهم وتزدري بأقذارهم وترجمهم في الطرقات وتعمل
 على اضهادهم ماديا وأديبا عقابا لهم على رأى أو قول تلك المشغولة
 الجماء المجرمة التي ترم أنها تعمل هذا باسم الحرية ودفاها عن الحرية
 فتحقق بذلك القول المشهور (أيتها الحرية كم من الجرائم ترتكب باسمك)
 تلك الممارضة المجرمة يجب علينا جميعاً مكافئها الى النهاية لأنها نكبة
 على بلد فاهض وسأجد من عونكم ما يميننى على الوقوف في وجهها
 أيها السادة متى فتح البرلمان المصرى أبوابه فستعوم منا أحزاب
 وشيع تبعاً لاختلاف الآراء وتعدد وجهات النظر وسيعمل كل حزب
 على خدمة الوطن بالسبيل التي يراها أقوم السبل أما اليوم فانا جميعاً
 سواء أمام المطلب الاممي للامة واذا كنا في وقت من أوقات تاريخنا
 في حاجة الى الاتحاد فانما هو هذا الوقت الذي نرجو فيه أن نسمي في
 ازالة ماحول بيننا وبين التمتع الكامل باستقلالنا
 فانا أنادي الامة باسم الوطن ومصلحته بضم صفوفنا وتناسى
 الماضي وليكن كلنا حرباً واحداً في خدمة بلادنا
 والله المسئول أن يرب اليوم الذي تتحقق فيه جميع آمالنا في ظل
 حضرة صاحب الجلالة ملك مصر أطلال الله ملكه وأدام هذه

حديث ثروت باشا

عن السودان

مع مكاتب الاهرام

في ٢٢ مايو سنة ١٩٢٢

تفضل صاحب الدولة رئيس الوزارة بالجواب على الاسئلة التي
التيناها بخصوص السودان وهذا نص الحديث :

(س) لفت الناس كثيراً في مسألة السودان في المهد الأخير

~~في مسألة السودان في المهد الأخير~~ ~~في مسألة السودان في المهد الأخير~~ ~~في مسألة السودان في المهد الأخير~~ ~~في مسألة السودان في المهد الأخير~~ ~~في مسألة السودان في المهد الأخير~~
بالنسبة لمصر ؟

(ج) نذكر ان مسألة السودان من المسائل المحتفظ بها

للمفاوضات المقبلة كما ورد ذلك في كتاب المندوب السامي البريطاني الى

جلالة الملك في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ولكن ليس معنى الاحتفاظ

بمسألة لزمان مقبل ألا يكون للحكومة المصرية رأى فيها ومذهب

تدافع عنه وتسمي لتحقيقه وغير صحيح ان الحكومة لم تبد رأيها

في مركز السودان بالنسبة لمصر فان برنامج الوزارة كان بهذه العبارة

« لم يكن لزملائى ولى » ونحن نشاطر الامة أمانتها في الاستقلال الا

أن تقر الوفد الرسمى على ما فعل « ولم ينب عن ذهن أحد أن الوفد

أشار في الرد الذي أرسله الى الوفد كرزون الى مذهب في علاقة مصر

بالسودان وقال في ذلك : « أما مسألة السودان التي لم يكن قد تناولها البحث فلا بد لنا فيها من توجيه النظر الى أن النصوص المتعلقة بها لا يمكن التسليم بها من جانبنا . فان هذه النصوص لا يمكن لمصر المتع بما لها على تلك البلاد من حق السيادة الذي لا نزاع فيه وحق السيطرة على مياه النيل

وليس معنى اقرار الوفد الرسمي على ما فعل الا أن الوزارة أخذت بعذبه في المسائل المختلفة التي ترمض لها في الرد ومنها مسألة السودان فرأى الحكومة في السودان رأى غير مكنوم . واذا لم يكن الدين ينتقدون على الحكومة عدم ابداء رأيها في السودان قد تذهبوا الى هذا الرأي فليس ذلك من ذنب الحكومة .

(س) ولكن ماهو رأى الحكومة اراء ما يروونه من احتمال تغيير حالة السودان قبل الوصول الى المفاوضات . وهل هي تنوى السكوت على هذه الحالة الجديدة ؟

(ج) احتفظت الحكومة الانجليزية بمسألة السودان كما احتفظت بغيرها من المسائل وأشارت الى أن معنى ذلك الاحتفاظ هو أن هذه المسائل تبقى على ما كانت عليه حتى يحىء دور المفاوضات فلا محل لتوقع أى تغيير في حالة السودان قبل ذلك الدور وما دامت المفاوضات ستجرى حرة حالية من كل قيد فكل ركن من أركان المسألة سيتناوله البحث والتمحيص .

ولقد جرى لى مع فخامة المندوب السامي البريطاني حديث في هذا الشأن وكنا على اتفاق انه مهما كانت نظرية كل فريق فانه لن يحدث من أحد الجانبين أى تغيير في حالة السودان أو بت في شأنه .

بل يجب بقاء القديم على قدمه حتى يحىء دور المفاوضات بين الحكومتين المصرية والانكليزية . وقد صرحت الحكومة الانكليزية بذلك أخيراً في مجلس النواب البريطاني بلسان أحد وزرائها . وعلى ذلك فلا محل لأثارة البحث في هذا الموضوع الآن

وعندي ان مسألة السودان مسألة متشعبة الوجوه ومن مصلحة القضية المصرية أن يكون البحث فيها هاملاً لجميع أطرافها في وقت واحد وهذا لا يتيسر الا وقت المفاوضات حيث تلتقى الوجهتان المصرية والانكليزية بصفة تامة واضحة . وأرجو أن لا يتعذر اذ ذاك الوصول الى حل مرض . ثم أن لهذه المسألة كما لغيرها من المسائل المحتفظ بها من الاهمية الكبرى والدقة ما يقتضى باعتراف الهيئة النيابية على المفاوضات بشأنها .

خطبة ثروت باشا في لجنة الدستور

حضرة صاحب الدولة

وحضرات الاعضاء المحترمين

اني بامم حكومة جلالة الملك المعظم فؤاد الاول احييكم في هذا الاجتماع الذي هو أول اجتماع للجنةكم الموقرة كما أحيي فيكم الفيرة الوطنية والرغبة الصادقة في خدمة بلادكم العزيزة اذ قبلتم ان تشاركوا الحكومة في مهمة وضع مشروع الدستور للمملكة المصرية بمد اعلان استقلالها

ان الحكومة ايها السادة تقدر كل التقدير خطورة المهمة التي وكلت اليها من جانب ملك البلاد وتعلم حق العلم عظيم مسئوليتها عن حسن القيام بها امام ضميرها وامام الامة والتاريخ كذلك تعلم ان مهمة وضع دستور للبلاد لا يكفى في ادائها على الوجه الصالح أن ينقل ما وضع لغيرها من البلاد بغير تمحيص وتدقيق بل يجب أن تلاحظ في تقرير احكام هذا الدستور تقاليد البلاد المحلية وطاداتها وختلف الاعتبارات الاجتماعية فيها وان يستفاد في وضع نصوصه من تجارب الامم الاخرى كذلك أيها السادة لم تتردد الحكومة منذ طلبت اليها القيام بهذه المهمة في أن لا تستأثر في ادائها برأيها وأن لا تكتفى في ذلك بما لرجالها من الخبرة الخاصة بحالة البلد وبالاظمة العامة . بل صحت

هزيمتها على الاستماعة في ذلك بحجة ذوى السكفآت من ابناء البلاد
 وقد كان من حشنى حظها أن ليتم دعوتها ورضيت أن تشاركوها
 في مسئوليتها وأن تضجوا من وقتكم وراحتكم شيئاً كثيراً في سبيل
 تحقيق التعاون بين الامة والحكومة ووضع الحبر الاسمانى لحياة
 مصر المستقلة لذلك لا يسنى الا أن أهنئكم بهذا الصعود وأن أسديكم
 خالص الشكر على العون الجليل الذى لا شك في أن الحكومة ستثاله
 من اشتراككم معها وأن شكرى لكم ليزداد اذا ذكرت الضجة التى
 أقيمت حول مسألة وضع الدستور وانها لم تصرفكم عن مجمع نداء
 الضمير والواجب

ان الحكومة لم تقتصر في الدعوة الى معاوتها على فريق دون آخر
 بل وجهتها أيضاً الى من قفت عليهم الظروف بأن يعتبروا أنفسهم
~~مسؤولين عن مستقبل مصر~~ ~~مسؤولين عن مستقبل مصر~~ ~~مسؤولين عن مستقبل مصر~~ ~~مسؤولين عن مستقبل مصر~~
 ملتحين اليهم وأبوا أن يتقدموا الى المشاركة في هذا العمل الوطنى الخطير
 ولمرى أن في تصرفهم ما يقضى بالعجب فأن مصير الدستور أن يطبق
 على الأمة جميعها لا على طائفة دون غيرها وكنت استبعد أن تدخل
 لشخصيات في شأن يجب بطبيعته أن يملو على كل تلك المنافسات ..
 لقد أعجب أكثر من ذلك أن أراهم يخطئون النظر حتى من وجهة
 مصلحتهم الخصوصية . فلقد كان اشتراكهم في عمل اللجنة يسمح لهم
 الاطلاع على كل ما يجرى فيها ويمكنهم من الوقوف على حقيقة ما جرت
 به السنة السوء وليتبينوا أن ليس هناك أمور مقررة من قبل تعرض
 الى اللجنة المجرد الشكل وانقد فاتهم برفضهم الدخول في اللجنة فرصة
 كان احقهم بالحرص عليها فرصة عرض آرائهم والادلاء بحججهم واللجنة

أخذ بها فيتضح لهم أنها لم تكن متحيزة أو صادرة عن غرض أو هوى أو أن ترفضها فيكونوا قد أراهم واضاً ثم والحساب بهذا ذلك بيد الامة لا أخرى مقدار ارتباط هذا الرفض بالحركة التي روجت منذ أيام الدعوة الى عقد جمعية وطنية وما اذا كانت سبباً أو نتيجة على ذلك لا يعني الآن وانما يغنيني تحييس هذه الآراء خصوصاً وان تلك الدعوة كان ينطوي فيها شيء ليس بالعليل من سوء الظن بالحكومة وتهمتها في اخلاصها اني أترك جانباً ذلك التعريق الذي يدأب على تمحدي الحكومة ومناواتها واقامة العرافيل في وجهها مهما حرر ذلك على الجانب من الشر والوبال

أما التعريق الثاني فإنه يحكم على الاشياء حكماً نظرياً صرفاً ويحطىء تطبيق النظريات على الواقع اولئك هم الذين يؤمنون بنسبهم الى العلم الا على يد جمعية وطنية وانه لا يصح دستور الا اذا كان كذلك -
علماً أن القوانين الدستورية وتواريجها ومبادئها معروفة ومنشرة بين جميع الناس وفي وسع كل انسان أن يرجع اليها ليعرف مقدار نصيب تلك النظريات من الصحة ويمكنني أن أقول لحضراتكم أن الأمر في وضع القوانين الدستورية ليس على ما يدكرون فأن كثيراً من البلاد الاوروبية وغير الاوربية لم تكن قوانينها الدستورية وليدة جمعية وطنية وأذكر على سبيل الاستدلال تلك الامة العظيمة التي قطعت شوطاً كبيراً في سبيل الحضارة والمدنية وأعني بها الامة اليابانية وهي تلك البلاد التي أصبحت في مركز لا أريد أن أغالي فأقول أن أمم أوروبا تحسدها عليه ولكن مركزها على كل حال مما تنفبط عليه أمم أوروبا فأن بعضها كان الدستور فيها من عمل جمعية وطنية ولكنها الاقل عدداً

السبب في تولي الجمعية الوطنية هذا العمل يرجع الى ظروف استثنائية خاصة كالثورة أو زوال السلطة الشرعية فيها وحلول سلطة مؤقتة عليها أما الأمم الاخرى فقد سادت في وضع دساتيرها على الطريق العادي ~~ولكن دساتيرها من ملوكها~~ وأذكر على سبيل المثال إيطاليا والنمسا والبرتغال وتركيا .

فيجب أن لا يفتى عن أذهان أولئك القائلين بنظرية الجمعية الوطنية تلك الفروق بيننا وبين من اضطرتهم أحوالهم الاستثنائية الى ~~اللاتجاه~~ الجمعية وطنية لوضع نظام حكوماتهم اذ اننا والله الحمد لسنا في حالة من تلك الاحوال

على انه فيما يتعلق بمصر يجب لأجل تعيين السلطة التي تتولى وضع الدستور الرجوع الى قانوننا العام وقد جرى الأمر فيه على أن تصدر القوانين النظامية من ولي الأمر سواء كان ذلك في انشاء مجلس الوزراء وهو أول حجر وضع في بليان النظام الديموقراطي في مصر أو ما في تلا ذلك من النظم البياية التي أوجدت نوعاً من الاشتراك بين الامة والحكومة وهي قانون مجلس شورى النواب وقانون مجلس شوري ~~القبولين~~ والجمعية العمومية والقانون الذي انشأ الجمعية التشريعية واذا كان قانون سنة ١٨٨٢ قد شذ عن هذا القياس فان ذلك يرجع الى أنه في ذلك العهد كانت ثورة على العرش دعت الى اعتصاب وضع الدستور من صاحب السلطة في وضعه وهذا ما يريد ما نذهب اليه من أن وضع الدستور بطريق ولي الأمر ليس فيه افتيات على حقوق الامة أو ~~تخروج~~ خروج عن القواعد المألوفة

قد يقول قائل اذالم يكن الدستور من وضع جمعية وطنية فان في وضع

ولى الامر أن يسترده في أي يوم من الايام وهو قول لا يقول به الا كل رجل يجهل مبادئ القانون الحديث وتطوراته لأنه مهما يكن من طريقة وضع الدستور واصداره فإن استرداده بعد ذلك محال اذا أنه بمجرد صدوره يصبح حقاً مكتسباً للأمة

انهم يقولون ان الجمعية الوطنية هي الوسيلة الوحيدة لوقوف على رغبات الامة وحاجاتها . وأخشى أن أقول في هذا انه حق يراد به باطل ذلك لانه حتى مع التسليم جدلاً بأن المبادئ العامة في مصر تسمح بأن مثل هذا العمل تتولاه جمعية وطنية فإن هناك أشخاص يعملون منذ زمن على ترويح سوء الفطن بالحكومة وعلى التقليل من أهمية ماوصلت اليه البلاد وعلى الشكك في مانحن قادمون عليه بحيث اذا اجتمعت جمعية وطنية سادت فيها تلك الآراء والنزعات وانقلب العمل فيها الى معارضة وتهويز وتمطيل تمتنع معه كل نتيجة صالحة بل يخشى أن ينقلب ويالا على البلاد ذلك انه بالرغم من أن البلاد نالت فوزاً عظيماً بإعلان استقلالها واعتراف الدول به الا أن المسألة المصرية لم تسو بعد تسوية تامة نهائية اذ لا يزال أمامنا مفاوضات يجب أن تمكن مصر من الوصول الى دورها موفورة القوة تامة النظام لم تمسد عليها عوامل الشر والقوضى آمال النجاح فيها .

يدعون اننا بيماننا هذا نرمي الامة بالمعجز والقصور عن تقدير مصلحتها فانه يعلم اننا نجعل أمتنا كل الاجلال ونضعها فوق كل اعتبار وان هذا نفسه هو الذي يدعوننا أن نقيها في هذه الآونة الدقيقة من عوامل الفساد ودواعي التخلييل . ولعمري لأن تنهم تهمة سيتجلى وجه الحق فيها بعد قليل خير لنا من أن نترك البلاد تسود فيها القوضى

ويجري الشعب فيها مجراء فأنا التهمة اذا اصطدمت بالواقع المحسوس
 زائلة ولكن اضرار الشعب والقوضى هائلة وآثارها باقية
 وأريد هنا أن أسأل عن قيمة المخاوف والشكوك التي يريد
 بعضهم أن ينشرها بين الناس ويحيط بها عمل الحكومة واللجنة
 يزعمون أننا نخشى الجمعية الوطنية لأنها لو دعيت للاجتماع لاتخذت
 من القرارات مالا يتفق مع ميول الحكومة نريد بالاقصصار على تأليف
 لجنة أن تتحكم في النظام الدستوري وأن تحول بين الامة وبين ابداء
 رغباتها وأقول ان بننا وبين الامة عهداً بمحدد جوهر ما يختلف فيه
 الآن لنا برنامج قطعنا فيه على أنفسنا أننا سنراعى في الدستور الذي
 نضعه أحدث مبادئ القانون العام وعلى الاخص المسئولية الوزارية
 أمام البرلمان أترى يهكون في مبادئ القانون العام الحديث نفسها أم
 يجهلون أن مبدأ المسئولية الوزارية هو محور النظام الدستوري
 وجوهرة ولبابه والأمان الكافي ضد خروج السلطات عن حدودها
 والاساس الصالح للتعاون بين الامة والحكومة أو يجهلون أن ما خلا
 هذا المبدأ لا يبلغ أهميته ان هذا المبدأ ضابط لاحكام الدستور نفسه
 قالوا أن وضع الدستور بهذه الطريقة لن يجمل للامة سبيلا الى
 تغيير شيء من أحكامه على اننى لا أدري مبلغ هذا التكهن من الصحة
 فأنا ما أعلمه عن القواعد الدستورية وهي التي أشرت اليها في برنامج
 الوزارة أن الدستور يشتمل عادة على نص يحتفظ به بسبيل يكون من
 حق للامة مشخصة في ادخال ما يري ضرورة ادخاله من التعديلات ...
 سيبري الناس اذا انتظروا قليلا أن محاولة عرقلة الحكومة في أعمالها
 لم يكن من مصلحة البلاد في شيء وان الحكومة ماتوخت ولن تتوخي

شيئا غير مصلحة الوطن القائمة التي تتلاقى أمامها الاغراض الثلاثة
والاوهام الباطلة

سيرى الناس يوم يصبح الدستور حقيقة واقعة بأن التهمة التي
وجهت للحكومة غير صادقة أن يرون أنفسهم امام نظام يسمح للإرادة
للعمامة بأن يكون لها مظهر حقيقى وأثر فعلى فى تصرف لعمال العمامة
وفى كل شيء يتعلق بمستقبل البلاد

قالوا اننا خرجنا عن برنامج وزارة عدلى باشا الذي كنا متضامنين
معه فيه . ولكنهم نسوا أو تناسوا أن مهمة الجمعية الوطنية بحسب
ذلك البرنامج لم تكن فى الأصل وضع دستور للبلاد وإنما كانت مهمتها
النظر فى الاتفاق الذي تألفت وزارة عدلى باشا للمفاوضات فيه ثم وضع
الدستور المبني على نصوص هذا الاتفاق بعد ذلك

فلمهتمان لا تقبلان التجربة وكان يجب على الجمعية اذا هي أقرت
الاتفاق أن تراعى فى وضع الدستور ما يكون قد تضمنه من الشروط
والقيود أما اليوم فان وضع الدستور متقدم على الاتفاق وإذا كان
لا يبنى عليه فانه يجب على أي حال أن لا يسد الطريق للوصول اليه -

هذه هي الحقائق التي أردت أن أبسطها امام حضراتكم وان
ما تعرفه الحكومة في حضراتكم من الكفاءة والكفاية لهذا العمل
أحسن ضمان لان يكون عملكم خير مرشد وهاد الى رغبات البلاد
وحاجاتها

ولا أريد أن أختم كلامى بنفى اشارة الى التضحية الكبيرة التي
قدمها حضرة صاحب الدولة رشدى باشا بقبول الاشتراك في عمل
هذه اللجنة ولا أخفى على حضراتكم أن فكرة اسناد الرئاسة لدولته

أقد حطرت مراراً على بالي من أول يوم فكرت فيه الحكومة في
تأليف اللجنة

ولكن علمنا بمقدار ما يبذل من نفسه وصحته في اداء الواجب
الذي يدعو اليه للوطن ومصلحته وحبنا لشخصه ورغبتنا في تمتعه
بالصحة التامة كل ذلك جعلنا نتردد من غايبته في الامر .
غير اننى لما غايبت بعد ذلك أحدا من حضراتكم الا وسألتى مما
إذا كان رشدى باشا مفتركا في عمل اللجنة وأظهر رغبته في أن يراه
على رأسها فلم أجد بداً أمام هذا الاجماع من ايسال هذه الرغبة
الى علمه

فتقدم كماداته الى الخدمة الوطنية غير ملتفت الى ما يكلفه ذلك من
تحميل صحته هذه المتاعب الجديدة ولكنه اشترط شرطاً لم يكن في
وسعى قبوله وترك لدولته الحرية في أن يقدمه بنفسه لحضراتكم
تتصرفوا فيه كما تريدون وأختم القول بتكرار التحية لحضراتكم
وتوجيه الرجاء الى المولى عز وجل أن يلهمكم السداد وأن يوفقنا جميعاً
لى ما فيه الخير والبلاد

شروط ثروت باشا لتأليف الوزارة

(نقلا عن مقطع ٣١ يناير سنة ١٩٢٢)

أولاً - عدم قبول مشروع كرون والمذكرة التفسيرية
ثانياً - تصريح الحكومة البريطانية بالناء الحماية والاعتراف
 باستقلال مصر قبل الدخول في كل مفاوضة
 ثالثاً - إيجاد وزارة خارجية مصرية وتمثيل خارجي من تعيين
 سفراء وقناصل

رابعاً - إيجاد برلمان مشكل من هيتين احدهما مجلس نواب
 والاخرى مجلس شيوخ ويكون للبرلمان المذكور السلطة التامة على
 أعمال الحكومة وتكون الوزارة مسؤولة أمامه

خامساً - اطلاق يد الوزارة بلا مشاركة في جميع أعمال الحكومة
 تمكيناً للوزارة من تحمل مسؤولية الحكم أمام البرلمان
 سادساً - ألا يكون للمستشارين في الوزارات الا رأى استشاري
 وأن يبطل ما للمستشارين الآن من الحق في حضور جلسات مجلس
 الوزراء

سابعاً - حذف وظائف المستشارين في القريب العاجل ماعدا
 وظيفتي مستشاري الحفانية والمالية فانهما تبقيان الى ما بعد ظهور
 نتيجة المفاوضات الجديدة

ثامناً - استبدال الموظفين الاجانب بموظفين مصريين وأخذ
المدة لذلك من الآن وللمين وكلاء مصريين على الفور لجميع الوزارات
ووكيل ثالثة ووكيل للخارجية ووكيل للمواصلات ووكيل للاشغال
العمومية ووكيل للداخلية ووكيل آخر للداخلية في الصحة

تاسعاً - رفع الاحكام العسكرية ووعده الوزارة اعتماداً على حسن
موقف الامة بالسمي في سحب ما اتخذ من الاجراءات بمقتضى الاحكام
العرفية ومن جهة ذلك فك اعتقال المعتقلين المصريين حينما كانوا

عاشراً - الدخول في مفاوضات جديدة - بعد تشكيل البرلمان
المصرى - مع الحكومة البريطانية بواسطة هيئة مصرية يشرف البرلمان
المصرى نفسه على تمثيلها للنظر في مسألة السودان وفيما لا ينافي استقلال
البلاد من الضمانات التي تطلبها الحكومة البريطانية تأميناً لمصالح
الامبراطورية البريطانية ومصالح الاجانب في مصر وذلك كله على شرط
أن تكون هذه المفاوضات غير مقيدة بشرط أو قيد من القيود
والشروط المبينة في مشروع كرزون

وبعد الانتهاء من هذه المفاوضات يكون القول الفصل في نتيجةها
للامة المصرية المخصصة في برلمانها .

٣	المقدمة
	الفصل الاول	
٧	مشروع كرزون والمذكرة الايضاحية
	الفصل الثاني	
٤٨	التصريح لمصر
	الفصل الثالث	
١٣٠	الحالة الحاضرة - واجب الامة في موقعها الحالي
	الفصل الرابع	
١٨٠	مناقب ثروت باشا
٢٣٣	مشروع ملحق
٢٣٩	مشروع كرزون
٢٤٦	المذكرة التفسيرية
٢٥٥	رد الوفد الرسمي
٢٥٩	الوثيقتان الجديدتان
٢٦٣	تصريح لمصر
٢٦٥	تأليف الوزارة الجديدة
٢٦٦	برنامج الوزارة

تابع الفهرست

٤

- | | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|--|
| ٢٧٠ | ... | ... | ... | ... | خطب ثروت باشا في وفود المهنتين |
| ٢٧٣ | ... | ... | ... | ... | خطبة صاحب الدولة ثروت باشا في مأدبة الكونتنتال |
| ٢٨٧ | ... | ... | ... | ... | حديث ثروت باشا عن السودان |
| ٢٩٠ | ... | ... | ... | ... | خطبة ثروت باشا في لجنة الدستور |
| ٢٩٨ | ... | ... | ... | ... | هروط ثروت باشا لتأليف الوزارة |

3
513
514